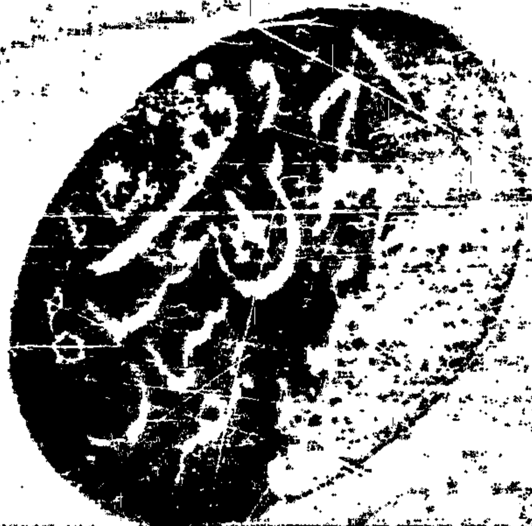
كتاب شرح الايمان والاسلام
تصنيف الشيخ الامام القدوة الصالح
الفالح المعتقد شيخ الاسلام بركة
الانام ابي العباس احمد بن الشيخ
عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين ابي
البركات بن تيميه رحمهم الله تعالى
ونفعنا بهم وقدس
اسرارهم وحشرنا
معهم بكرمه
امين





عقائد ٢٣

كتب من كان نهاية الادب للنويري

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم قال الشيخ الإمام العالم العلامة بقية السلف الكرام شيخ الإسلام ومفتي
الأنام بحر العلوم نخبة الراسخين منبع الفهوم وكنز المستفيدين الرباني المجتهد
سيدنا أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة
مجد الدين أبي البركات بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله نستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
اعلم أن الإيمان والإسلام يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس في حقيقة الإيمان
والإسلام ونزاعهم واضطرابهم وقد صنفت في ذلك مجلدات والنزاع في ذلك من
حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف ونحن نذكر ما يستفاد من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم مع كلام الله تعالى فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام
الله ورسوله فإن هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء بل نذكر من
ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن رد موارد
النزاع إلى الله وإلى الرسول خير وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة
فنقول قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الإسلام ومسمى
الإيمان ومسمى الإحسان فقال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا
وقال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر
خيره وشره والفرق مذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث
أبي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه أن جبريل جاء في صورة إنسان
أعرابي فسأله وفي حديث عمر أنه جاء في صورة أعرابي وكذلك فسر الإسلام
في حديث ابن عمر المشهور قال بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وحديث
جبريل يبين أن الإسلام المبني على خمس هو الإسلام نفسه ليس المبني غير المبني

عليه

عليه بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلاث درجات أعلاها الإحسان وأوسطها
الإيمان ويليه الإسلام فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسنا ولا كل
مسلم مؤمنا كما سيأتي بيانه إن شاء الله في سائر الأحاديث كالحديث الذي رواه حماد
ابن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له أسلم تسلم قال وما الإسلام قال أن يسلم لله قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك
قال فأي الإسلام أفضل قال الإيمان قال وما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وبالبعث بعد الموت قال فأي الإيمان أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر
السوء قال فأي الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا
لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما أفضل الأعمال
إلا من عمل بمثلهما قالها ثلاثا حجة مبرورة أو عمرة رواه أحمد ومحمد بن نصر المروزي
ولهذا يذكر هذه المراتب الأربعة فيقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن
من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر السيئات والمجاهد من جاهد نفسه
لله وهذا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد
وغيرهما بإسناد جيد وهو في السنن وبعضه في الصحيحين وقد ثبت عنه من غير وجه
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ومعلوم أن من كان مأمونا على الدماء والأموال كان المسلمون
يسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ولولا سلامتهم منه
لما ائتمنوه وكذلك في حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة وفي حديث عبد الله
ابن عبيد بن عمير أيضا عن أبيه عن جده أنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإسلام
قال إطعام الطعام وطيب الكلام قيل فما الإيمان قال السماحة والصبر قيل فمن أفضل
المسلمين إسلاما قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قيل فمن أفضل المؤمنين إيمانا
قال أحسنهم خلقا قيل فما أفضل الهجرة قال من هجر ما حرم الله عليه قال أي الصلاة
أفضل قال طول القنوت قال أي الصدقة أفضل قال جهد من مقل قال أي الجهاد أفضل
قال أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك قال أي الساعات أفضل قال
جوف الليل الغابر ومعلوم أن هذا كله مراتب بعضها فوق بعض وإلا فالمهاجر لا بد
أن يكون مؤمنا وكذلك المجاهد ولهذا قال الإيمان السماحة والصبر وقال في الإسلام إطعام

الطعام وطيب الكلام والاول مستلزم للثاني فان من كان خلقه السماحة فعل هذا بخلاف
الاول فان الانسان قد يفعل ذلك تخلقا ولا يكون في خلقه سماحة وصبر ولذلك قال افضل
المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا
ومعلوم ان هذا يتضمن الاول فمن كان حسن الخلق فعل ذلك قيل للحسن البصري ما
حسن الخلق قال بذل الندى وكف الاذى وطلاقة الوجه نكف الاذى جزء من حسن
الخلق وستاتي الاحاديث الصحيحة بانه جعل الاعمال الظاهرة من الايمان كقوله الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وقوله
لوفد عبد القيس امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان تؤدوا خمس ما غنمتم ومعلوم انه
لم يرد ان هذه الاعمال تكون ايمانا بالله بدون ايمان القلب لما قد اخبر في غير موضع انه لا بد
من ايمان القلب فعلم ان هذه مع ايمان القلب هو الايمان وفي المسند عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد
الا وهي القلب فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا بخلاف العكس وقال سفين بن عيينة
كان العلما فيما مضى يكتب بعضهم الى بعض بهولا الكلمات من اصلح سريرته اصلح الله علانيته
ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لاخرته كفاه الله امر دنياه
رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص فعلم ان القلب اذا صلح بالايمان صلح الجسد بالاسلام
وهو من الايمان يدل على ذلك انه قال في حديث جبريل هذا جبريل جاكم يعلمكم دينكم
فجعل الدين هو الاسلام والايمان والاحسان فتبين ان ديننا يجمع الثلثة لكن هو درجات
ثلث مسلم ثم مؤمن ثم محسن كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله والمقتصد والسابق
كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه وهكذا من اتى بالاسلام الظاهر
مع تصديق القلب لكن لم يقم بما يجب عليه من الايمان الباطن فانه معرض للوعيد كما سياتي
بيانه ان شا الله واما الاحسان فهو اعم من جهة نفسه واخص من جهة اصحابه
من الايمان والايمان اعم من جهة نفسه واخص من جهة اصحابه من الاسلام والاحسان

اعم

اعم من جهة نفسه واخص من جهة اصحابه من الاسلام فالاحسان يدخل فيه الايمان
والايمان يدخل فيه الاسلام والمحسنون اخص من المومنين والمومنون اخص من المسلمين
وهذا كما نقول في الرساله والنبوه فالنبوه داخله في الرساله والرساله اعم من
جهة نفسها واخص من جهة اهلها فان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فالانبياء
اعم والنبوه نفسها جزء من الرساله فالرساله تتناول النبوه وغيرها بخلاف الرسل
فانهم لا يتناولون الانبيا وغيرهم بل الامر بالعكس فالنبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام
والايمان بما اجاب به كما يجاب عن المحدود بالحد اوما كذا ما في الحديث الصحيح
لما سئل عن الغيبة قال ذكرك اخاك بما يكره وفي الحديث الاخر الكبر بطر الحق وغمط
الناس وبطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس احتقارهم وازدراوهم وسيذكر
ان شا الله سبب تنوع اجوبته وانها كلها حق ولكن المقصود ان قوله بني الاسلام
على خمس كقوله الاسلام هو الخمس كما ذكر في حديث جبريل فان الامر المركب من
اجزا تكون الهيئة الاجتماعية فيه مبنية على تلك الاجزا ومركبة منها فالاسلام
مبني على هذه الاركان وسنبين ان شا الله اختصاص هذه الخمس بكونها
هي الاسلام وعليها بني الاسلام ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات وقد
فسر الايمان في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الاسلام هنا لكنه لم يذكر
فيه الحج وهو متفق عليه فقال امركم بالايمان بالله وحده هل تدرون ما الايمان بالله
وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلاه وايتا الزكاه وصوم رمضان وان تودوا خمس ما غنمتم او خمسا من المغنم
وقد روي في بعض طرقه الايمان بالله وشهادة ان لا اله الا الله لكن الاول اشهر وفي روايه
ابي سعيد امركم باربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وقد فسر في حديث
شعب الايمان بهذا وبغيره فقال الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبه
افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبه من الايمان
وثبت عنه من وجوه متعدده انه قال الحيا شعبه من الايمان من حديث ابن عمر
وابن مسعود وعمران بن حصين وقال ايضا لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده
ووالده والناس اجمعين وقال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال والله لا يومن

قبلي من رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوائقه وقال من راى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقال ما بعث
الله من نبي الا كان له في امته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم انه يخلف من
بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يومرون فمن جاهدهم بيده
فهو مومن ومن جاهدهم بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن ليس
قوله م وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا من افراد مسلم والذي نفسي بيده لا تدخلون
الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا
السلام بينكم وقال في الحديث المتفق على صحته من رواية ابي هريرة ورواه البخاري
حين يزني من حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مومن ولا يشرب الخمر
حين يشربها وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا ينتهب نهبة
يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مومن فيقال اسم الايمان تارة يذكر مفردا غير
مقرون باسم الاسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما وتارة يذكر مقرونا اما بالاسلام
كقوله في حديث جبريل ما الاسلام وما الايمان وكقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات وقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
وقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وكذلك ذكر الايمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القران كقوله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واما مقرونا بالذين اوتوا العلم كقوله تعالى قال الذين اوتوا العلم
والايمان وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وحيث ذكر الذين
امنوا فقد دخل فيهم الذين اوتوا العلم فانهم خيارهم قال تعالى والراسخون في العلم
يقولون امنا به كل من عند ربنا وقال لكن الراسخون في العلم منهم والمومنون يومنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويذكر ايضا لفظ المومنين مقرونا بالذين هادوا والنصارى
والصابئين ثم يقول من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم
فالمومنون في ابتدا الخطاب غير الملة والايمان الاخير عمهم كما عمهم في قوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية وسنبسط هذا ان شا الله فالمقصود هنا العموم والخصوص
بالنسبة الى الباطن والظاهر من الايمان واما العموم بالنسبة الى الملل فتلك مسالة اخرى

فلا

فلما ذكر الايمان مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة الشهادتين والصلاة والزكاة
والصيام والحج وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وهكذا في الحديث الذي رواه احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاسلام علانية والايمان في القلب واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام
والاعمال الصالحة كقوله في حديث الشعب الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وكذلك ساير الاحاديث التي يجعل
فيها اعمال البر من الايمان ثم ان نفي الايمان عند عدمها دل على انها واجبة وان ذكر
ايمان صاحبها ولم ينف ايمانه دل على انها مستحبة فان الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى امر ذلك
الله به ورسوله الا اذا ترك بعض واجباته كقوله لا صلاة الا بام القران وقوله لا ايمان
لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له ونحو ذلك فاما اذا كان الفعل مستحبا في العبادة لم ينفها
لانتفاء المستحب فان هذا لو جاز لجاز ان ينفي عن جمهور المومنين اسم الايمان والصلاة
والزكاة والحج لانه ما من عمل الا وغيره افضل منه وليس احد يفعل افعال البر مثل ما فعلها النبي
صلى الله عليه وسلم بل ولا ابو بكر ولا عمر فلو كان من لم يات بكمالها المستحب يجوز نفيها
عنه لجاز ان ينفي عن جمهور المسلمين من الاولين والاخرين وهذا لا يقوله عاقل فمن قال
ان النفي هو الكمال فان اراد انه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة
فقد صدق وان اراد انه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله
ولا يجوز ان يقع فان من فعل الواجب كما وجب عليه ولم ينتقص من واجبه شيا لم يجز
ان يقال ما فعله لا حقيقة ولا مجازا فاذا قال للاعرابي المسي في صلاته ارجع فصل
فانك لم تصل وقال لمن صلى خلف الصف وقد امره بالاعادة لا صلاة لفذ خلف الصف
كان لترك واجب وكذلك قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون يبين ان الجهاد واجب
وترك الارتياب واجب والجهاد وان كان فرضا على الكفاية فجميع المومنين مخاطبون
به ابتدا فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله اذا تعين ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق رواه مسلم
فاخبر انه من لم يهم به كان على شعبة نفاق وايضا فالجهاد جنس تحته انواع متعددة

ولابد ان يجب على المومن نوع من انواعه ولذلك قوله انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون
الصلاه ومما رزقناهم ينفقون اوليك هم المومنون حقا فهذا كله واجب فان التوكل
على الله واجب من اعظم الواجبات كما ان الاخلاص لله واجب وحب الله ورسوله
واجب وقد امر الله بالتوكل في غير اية اعظم مما امر بالوضو والغسل من الجنابه ونهى
عن التوكل على غير الله قال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقال الله لا اله الا هو وعلى الله
فليتوكل المومنون وقال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المومنون وقال تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين واما قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا فهذا من احوال القلب واعماله مما يكون من لوازم الايمان الثابتة
فيه بحيث اذا كان الانسان مومنا لزمه ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له واذا لم يوجد
دل على ان الايمان الواجب لم يحصل في القلب وهذا كقوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم
اوليك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاخبر انك لا تجد مومنا يواد المحادين
لله ورسوله فان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي احد الضدين الاخر فاذا وجد الايمان
انتفى ضده وهو موالاه اعداء الله فاذا كان الرجل يوالي اعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا
على ان قلبه ليس فيه الايمان الواجب ومثله قوله تعالى في الاية الاخرى ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اوليا ولكن كثيرا منهم فاسقون فذكر جملة شرطية تقتضي انه اذا وجد الشرط
وجد المشروط بحرف لو التي تقتضي مع الشرط انتفا الشرط فقال ولو كانوا يومنون
بالله والرسول وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا فدل على ان الايمان المذكور ينفي اتخاذهم
اوليا ويضاده ولا يجتمع الايمان واتخاذهم اوليا في القلب ودل ذلك على ان من اتخذهم اوليا
ما فعل الايمان الواجب من الايمان بالله والنبي وما انزل اليه ومثله قوله تعالى لا تتخذوا اليهود
والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم فانه اخبر في تلك الايات ان

متوليهم

متوليهم لا يكون مومنا واخبر هنا ان متوليهم هو منهم فالقران يصدق بعضه بعضا
قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وكذلك قوله انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه دليل على ان
الذهاب المذكور بدون استيذانه لا يجوز وانه يجب ان لا يذهب حتى يستاذن
فمن ذهب ولم يستاذنه كان قد ترك بعض ما يجب من الايمان فلهذا نفا عنه الايمان فان
حرف انما يدل على اثبات المذكور ونفي غيره ومن الاصوليين من يقول ان ان للاثبات وما للنفي
فاذا جمع بينهما دلت على النفي والاثبات وليس كذلك عند اهل العربية ومن تكلم في ذلك
يعلم فان ما هذه هي الكافة التي تدخل على ان واخواتها فتكفها عن العمل لانها انما تعمل اذا اختصت
بالجمل الاسمية فلما كفت بطل اختصاصها فصار يليها الجمل الفعلية والاسمية فتغير
معناها وعملها جميعا بانضمام ما اليها وكذلك كانما وغيرها وكذلك قوله تعالى ويقولون
امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اوليك بالمومنين واذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اوليك هم الظالمون
انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واوليك هم المفلحون فان قيل اذا كان المومن حقا هو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات
فقد قال اوليك هم المومنون حقا ولم يذكر الا خمسة اشيا وكذلك قال في الاية الاخرى انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اوليك هم الصادقون وكذلك قوله ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون بالله ورسوله
قيل عن هذا جوابان احدهما ان يكون ما ذكر مستلزما لما ترك فانه ذكر وجل قلوبهم
اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت اياته مع التوكل عليه واقام الصلاة على الوجه المامور
به باطنا وظاهرا وكذلك الانفاق من المال والمنافع فكان هذا مستلزما للباقي فان وجل
القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه وقد فسروا وجلت بفرقت وفي قراه
ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت قلوبهم وهذا صحيح فان الوجل في اللغة هو الخوف يقال
حمره الخجل وصفره الوجل ومنه قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون قالت عايشة يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويخاف ان يعاقب قال لا يا ابنة

الصديق هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه وقال السدي في قوله تعالى
إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه وهذا كقوله تعالى
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقوله ولمن خاف مقام
ربه جنتان قال مجاهد وغيره من المفسرين هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي
الله فيتركها خوفاً من الله وإذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته
فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور قال سهل بن عبد الله ليس بين العبد وبين
الله حجاب أغلظ من الدعوى ولا طريق أقرب إليه من الافتقار وأصل كل خير في الدنيا والآخرة
الخوف من الله ويدل على ذلك قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون قال مجاهد
وإبراهيم هو الرجل يريد أن يذنب الذنب فيذكر مقام الله فيدع الذنب رواه ابن أبي الدنيا عن
ابن الجعد عن شعبة عن منصور عنهما في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون
في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وهم المؤمنون المتقون المذكورون
في قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين كما قال في آية البر أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون وهؤلاء هم المتبعون للكتاب كما في قوله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى وإذا لم يضل فهو مهتد وإذا لم يشق فهو مرحوم وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم
ولا الضالين فإن أهل الرحمة ليسوا مغضوباً عليهم وأهل الهدى ليسوا ضالين فتبين أن
أهل رهبة الله يكونون متقين لله مستحقين لجنته بلا عذاب وهؤلاء هم الذين أتوا بالإيمان
الواجب ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء والمعنى أنه لا يخشاه
إلا عالم فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم كما قال في الآية الأخرى أمن هو قانت آناء
الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون والخشية أبداً متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطاً كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا
ذلك لكان أمناً فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه
قال العلماء ثلاثة فعالم بالله ليس عالماً بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله وعالم بالله عالم بأمر الله
فالعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بأمر الله ونهيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده وإذا كان أهل الجنة هم العلماء
الممدوحون في الكتاب والسنة لم يكونوا مستحقين للذم وذلك لا يكون إلا مع فعل
الواجبات ويدل عليه قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من
بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فوعد بنصر
الدنيا وبثواب الآخرة لأهل الخوف وذلك إنما يكون لأنهم أدوا الواجب فدل على أن الخوف يستلزم
فعل الواجب ولهذا يقال للفاجر لا يخاف الله ويدل على المعنى قوله تعالى إنما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم عن هذه الآية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب
وكذلك قال سائر المفسرين قال مجاهد كل عاص فهو جاهل حين معصيته وقال الحسن وقتادة
وعطاء والسدي وغيرهم إنما سموا جهالاً لمعاصيهم لا أنهم غير مميزين وقال الزجاج
ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءاً وإنما يحتمل
أمرين أحدهما أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه والثاني أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن
عاقبته مكروهة وآثروا العاجل على الآجل فسموا جهالاً لإيثارهم على الراحة الكثيرة والعافية
الدائمة فقد جعل الزجاج الجهل إما عدم العلم بعاقبة الفعل وإما فساد الإرادة وقد
يقال هما متلازمان وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية والمقصود هنا أن كل عاص
لله فهو جاهل وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله وإنما يكون جاهلاً لنقص خوفه
من الله إذ لو تم خوفه لم يعص ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية
الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً وذلك لأن تصور المخوف يوجب الهرب منه وتصور
المحبوب يوجب طلبه فإذا لم يهرب من هذا ولم يطلب هذا دل على أنه لم يتصوره
تصوراً تاماً ولكن قد يتصور الخبر عنه وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه
غير تصور المخبر به وكذلك إذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً فإن الإنسان
يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً وكذلك
إذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ولم يكذب المخبر بل عرف صدقه لكن قلبه
مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب
وفي الكلام المعروف عن الحسن البصري ويروى مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم

علمان فعلم في القلب وعلم على اللسان فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده وقد
اخرجا في الصحيحين من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المومن الذي يقرا القران
مثل الاترجه طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران مثل التمر طعمها
طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرا القران مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها
مر ومثل المنافق الذي لا يقرا القران مثل الحنظله طعمها مر ولا ريح لها وهذا المنافق الذي
يقرا القران يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق انه كلام الله والرسول حق ولا يكون
مومنا كما ان اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناهم وليسوا مومنين وكذلك ابليس وفرعون
وغيرهما لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامه فان ذلك يستلزم العمل
بموجبه لا محاله ولهذا صار يقال لمن لم يعمل بعلمه انه جاهل كما تقدم وكذلك لفظ العقل
وان كان هو في الاصل مصدر عقل يعقل عقلا وكثير من النظار جعله من جنس العلوم فلا بد ان
يعتبر مع ذلك انه علم يعمل بموجبه فلا يسمى عاقلا الا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ولهذا قال
اصحاب النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ومتى فعل ما يعلم انه يضره فمثل هذا ما له عقل فكما ان الخوف من
الله يستلزم خشيه وخشيته تستلزم طاعته فالخايف من الله ممتثل لاوامره
مجتنب لنواهيه وهذا هو الذي قصدنا بيانه اولا ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فذكر
ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاخبر
ان من يخشاه يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال تعالى هو الذي يريكم اياته
وينزل لكم من السما رزقا وما يتذكر الا من ينيب وقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
ولهذا قالوا في قوله سيذكر من يخشى سيتعظ بالقران من يخشى الله وفي قوله وما
يتذكر الا من ينيب انما يتعظ من يرجع الى الطاعه وهذا لان التذكر التام مستلزم
التاثر بما يذكره فان تذكر محبوبا طلبه وان تذكر مرهوبا هرب منه ومنه قوله تعالى
سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب فبشره بمغفره واجر كريم وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب فنفى الانذار عن غير هولاء مع قوله سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم فاثبت لهم
الانذار من وجه ونفاه عنهم من وجه فان الانذار هو الاعلام بالمخوف فالانذار مثل التعليم

فتركه

يقول

والتخويف فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه واخر علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفته فخاف فهذا
هو الذي تم تخويفه واما من خوف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى تم
هداه ومنه قوله هدى للمتقين ومن هديته فلم يهتد كما قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى فلم يتم هداه كما يقول قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع فالموثر التام يستلزم
اثره فمتى لم يحصل اثره لم يكن تاما والفعل اذا صادف محلا قابلا تم والا لم يتم والعلم بالمحبوب
يورث طلبه والعلم بالمكروه يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم الداعي ويقول الداعي
مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد
وهذا كله مع صحة الفطره وسلامتها واما مع فسادها فقد يحس الانسان باللذيذ فلا يجد له
لذه بل يولمه وكذلك يلتذ بالمولم لفساد الفطره والفساد يتناول القوه العلميه والقوه العمليه
جميعا كالممرور الذي يجد العسل مرا فانه فسد نفس احساسه حتى كان يحس به على
خلاف ما هو عليه للمرة التي مازجته وكذلك من فسد باطنه قال تعالى وما يشعركم انها اذا
جاءت لا يومنون ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وقال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
وفي الايه الاخرى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم والغلف جمع اغلف وهو ذو الغلاف
الذي هو غلاف مثل الاقلف كانهم جعلوا الامتناع خلقه اي خلقت القلوب عليها اغطيه فقال
تعالى بل لعنهم الله بكفرهم وطبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا وقال تعالى ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اوليك الذين طبع
الله على قلوبهم واتبعوا اهواهم وكذلك قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقال ولو
علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي لافهمهم ما سمعوه ثم قال ولو افهمهم مع هذه الحال التي
هم عليها لتولوا وهم معرضون فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو فهموا لم يعملوا فنفى
عنهم صحة القوه العلميه وصحة القوه العمليه وقال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اوليك كالانعام بل هم اضل
اوليك هم الغافلون وقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال عن المنافقين صم بكم عمي فهم لا يرجعون ومن الناس

الجمهم ننا

يقول لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق جعلوا صمًا عميًا بكمًا لما اعرضوا عن السمع والبصر
صاروا كالصم العمي وليس كذلك بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال تعالى فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب هو الملك والاعضاء جنوده واذا
صلح صلح سائر الجسد واذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالبدن الصوت
كما يسمع البهائم والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقهًا تامًا فان الفقه التام
يستلزم تاثيره في القلب لمحبة المحبوب وبغض المكروه فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور
التام حاصلاً فجاز نفيه لان ما لم يتم ينفى كقوله للذي اساء في صلاته صل فانك لم تصل ونفي
الايمان حيث نفي هذا الباب وقد جمع الله بين وصفهم بوجل القلب اذا ذكروا وبزيادة من ع
الايمان اذا سمعوا اياته قال الضحاك زادتهم يقينًا وقال الربيع بن انس خشية
وعن ابن عباس تصديقًا وهكذا قد ذكر الله هذين الاصلين في مواضع قال تعالى الم
يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون والخشوع يتضمن معنيين
احدهما التواضع والذل والثاني السكون والطمانينة وذلك مستلزم للين القلب المنافي
للقسوة فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمانينته ايضًا ولهذا كان الخشوع في الصلاة
يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله الذين هم في صلاتهم
خاشعون مخبتون اذلاء وعن الحسن وقتادة خائفون وعن مقاتل متواضعون وعن
علي الخشوع في القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت وقال مجاهد غض البصر وخفض
الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او ان
يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا وعن عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود
ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة وعن ابن سيرين وغيره كان النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه يرفعون ابصارهم في الصلاة الى السماء وينظرون يمينًا وشمالاً حتى نزلت
هذه الاية فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما رؤي احد منهم بعد ذلك ينظر
الا الى الارض وعن عطاء هو ان لا تعبث بشيء من جسدك وانت في الصلاة وابصر النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
ولفظ الخشوع ان شاء الله يبسط في موضع اخر وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب

اذا لم يكن الرجل مرائيًا يظهر ما ليس في قلبه كما روي تعوذوا بالله من خشوع النفاق
وهو ان يرى الجسد خاشعًا والقلب خاليًا فهو تعالى استبطأ المومنين بقوله الم يأن
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فدعاهم الى خشوع القلب لذكره
وما نزل من كتابه ونهاهم ان يكونوا كالذين طال عليهم الامد فقست قلوبهم وهؤلاء الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وكذلك قال في الاية الاخرى
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والذين يخشون ربهم هم الذين اذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم
فان قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين
مقتصد وسابق فالسابقون يختصون بالمستحبات والمقتصدون الابرار هم عموم
المومنين المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء فهو ظالم لنفسه وفي الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع
ودعاء لا يسمع وقد ذم الله قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة قال الزجاج قست في اللغة
غلظت ويبست وعسيت فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسي
والعاسي الشديد الصلابة وقال ابن قتيبة قست وعست وعتت اي يبست
وقوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة فانه ينبغي ان يكون قويًا من غير عنف
لينًا من غير ضعف وفي الاثر القلوب انية الله في ارضه فاحبها الى الله اصلبها وارقها
واصفاها وهذا كاليد فانها قوية لينة بخلاف ما يقسو من العقب فانه يابس لا لين فيه
وان كان فيه قوة وهو تعالى ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زيادة الايمان عند تلاوة
كتابه علمًا وعملاً ثم لا بد من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر عليه
واصل ذلك الصلاة والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما امر لزم ان ياتي بسائر الواجبات بل
الصلاة نفسها اذا فعلها كما امر فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر كما روي عن ابن مسعود وابن
عباس ان في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء
والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدًا وقوله لم يزدد الا بعدًا اذا كان ما ترك من الواجب منها
اعظم مما فعله ابعده تركه الواجب الاكثر من الله اكثر مما قربه فعل الواجب الاقل وهذا كما في الصحيح

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس
حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعًا لا يذكر الله فيها الا قليلًا وقد قال تعالى
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا
يذكرون الله الا قليلًا وفي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد لينصرف
من صلاته ولم يكتب له منها الا نصفها الا ثلثها حتى قال الا عشرها وعن ابن عباس قال ليس لك
من صلاتك الا ما عقلت منها وهذا وان لم يؤمر باعادة الصلاة عند اكثر العلماء لكن يؤمر بان يأتي من التطوعات
بما يجبر نقص فرضه ومعلوم ان من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن واعمالها الظاهرة وكان يخشى
الله الخشية التي امره بها فانه يأتي بالواجبات ولا يأتي كبيرة ومن اتى الكبائر مثل الزنا او السرقة
او شرب الخمر وغير ذلك فلا بد ان يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور
وان بقي اصل التصديق في قلبه وهذا من الايمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو
مؤمن فان المتقين كما وصفهم الله بقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون فاذا طاف بقلوبهم طيف من الشيطان تذكروا فيبصرون قال سعيد بن
جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ وقال ليث عن مجاهد هو الرجل
يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه والشهوة والغضب مبدأ السيئات فاذا ابصر رجع ثم
قال واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون اي واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي
ثم لا يقصرون قال ابن عباس لا الانس تقصر عن السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم
فاذا لم يبصر بقي قلبه في عمى والشيطان يمده من غيه وان كان التصديق في قلبه لم
يكذب فذلك النور والابصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه وهذا كما ان الانسان يغمض
عينه فلا يرى وان لم يكن اعمى فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق
وان لم يكن اعمى كعمى الكافر وهكذا جاء في الآثار وقال احمد بن حنبل في كتاب الايمان ثنا يحيى عن عوف
عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزع منه الايمان فان تاب اعيد اليه وقال
يحيى عن عوف قال قال الحسن يجانبه الايمان ما دام كذلك فان راجع راجعه الايمان وقال
احمد ثنا معوية عن ابو اسحق عن الاوزاعي قال وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فانهم يقولون فان لم يكن مؤمنا فما هو قال فانكر

ذلك وكره مسئلتي عنه وقال احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفين عن ابراهيم
ابن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس انه قال لغلمانه من اراد منكم الباه زوجناه لا يزني منكم زان
الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء ان يرده رده وان شاء ان يمنعه منعه وفي الصحيح
عن

وقال ابو داود السجستاني ثنا عبد الوهاب بن نجدة ثنا بقية بن الوليد ثنا صفوان
ابن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي انه اخبره عن ابي هريرة انه كان يقول انما الايمان
كثوب احدكم يلبسه مرة ويقلعه اخرى وكذلك رواه باسناده عن عمر وروي
عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وفي حديث عن ابي هريرة مرفوع الى النبي صلى
الله عليه وسلم اذا زنا الزاني خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقطع رجع اليه الايمان
وهذا ان شاء الله يبسط في موضع اخر فصل وقد جاءت احاديث
تنازع الناس في صحتها مثل قوله لا صلاة الا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه فاما
الاول فهو كقوله لا صلاة الا بطهور وهذا متفق عليه بين المسلمين فان الطهور واجب
في الصلاة فانما نفى الصلاة لانتفاء واجب فيها واما ذكر اسم الله على الوضوء ففي وجوبه
نزاع معروف واكثر العلماء لا يوجبونه وهو مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي
وهو احدى الروايتين عن احمد اختارها الخرقي وابو محمد وغيرهما والثاني يجب
وهو قول طائفة من اهل العلم وهو الرواية الاخرى عن احمد اختارها ابو بكر عبد
العزيز والقاضي ابو يعلى واصحابه وكذلك قوله لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
رواه الدارقطني فمن الناس من يضعفه مرفوعًا ويقول هو من كلام علي رضي الله عنه
ومنهم من يثبته كعبد الحق وكذلك قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل فقد رواه
اهل السنن وقيل ان رفعه لم يصح وانما يصح موقوفًا على ابن عمر او حفصة فليس
لاحد ان يثبت لفظا عن الرسول مع انه اريد به نفي الكمال المستحب فان صحت
هذه الالفاظ دلت قطعًا على وجوب هذه الامور فان لم يصح فلا ينقض بها اصل مستمر
من الكتاب والسنة وليس لاحد ان يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه ان لم
يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله والا فاقوال العلماء تابعة لقول
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس قول الله ورسوله تابعًا لاقوالهم فاذا كان في وجوب

شيء نزاع بين العلما ولفظ الشارع قد اطرد في معنى لم يجز أن ينقض الاصل المعروف من
كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلما ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب اهل
العلم وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه اجماعاً كمن يظن انه اذا ترك الانسان الجماعة
وصلى وحده برئت ذمته اجماعاً وليس الامر كذلك بل للعلما قولان معروفان في اجزا هذه
الصلاة وفي مذهب احمد فيها قولان فطايفة من قدما اصحابه حكاه عنهم القاضي ابو يعلى
في شرح المذهب ومن متاخريهم كابن عقيل وغيره يقولون من صلى المكتوبة وحده من غير عذر
يسوغ له ذلك فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة فان امكنه ان يوديها في جماعة بعد ذلك
فعليه ذلك والا باء باثمه كما يبو تارك الجمعة باثمه والتوبة معروضة وهذا قول غير واحد
من اهل العلم واكثر الاثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين تدل على هذا وقد احتجوا
بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة
له واجابوا عن حديث التفضيل بانه في المعذور الذي يباح له الصلاة وحده كما ثبت عنه
انه قال صلاة الرجل قاعداً على النصف من صلاة القايم وصلاة المضطجع على النصف من
صلاة القاعد والمراد به المعذور كما في الحديث انه خرج وقد اصابهم وعك وهم
يصلون قعوداً فقال ذلك ولم يجوز احد من السلف صلاة التطوع مضطجعاً من غير عذر
ولا يعرف ان احداً من السلف فعل ذلك وجوازه وجه في مذهب الشافعي واحمد لا يعرف
لصاحبه سلف صدق مع ان هذه المسالة مما يعم بها البلوى فلو كان يجوز لكل مسلم ان يصلي
التطوع على جنبه وهو صحيح لا مرض به كما يجوز له ان يصلي التطوع قاعداً وعلى الراحلة لكان
هذا مما بينه الرسول لامته وكانت الصحابة تعلم ذلك ثم مع قوة الداعي الى الخير لا بد ان
يفعل ذلك بعضهم فلما لم يفعله احد منهم دل على انه لم يكن مشروعاً عندهم وهذا
مبسوط في موضعه والمقصود هنا انه ينبغي للمسلم ان يقدر قدر كلام الله ورسوله بل
ليس لاحد ان يحمل كلام احد من الناس الا على ما عرف انه اراده لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في
كلام كل احد فان كثيراً من الناس يتاول النصوص المخالفة لقوله فيسلك مسلك من يجعل التاويل مسلك
كانه ذكر ما يحتمله اللفظ وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص وهذا خطا بل
جميع ما قاله الله ورسوله يجب الايمان به فليس لنا ان نومن ببعض الكتاب ونكفر
ببعض وليس الاعتنا بمراده في احد النصين دون الاخر باولى من العكس فاذا كان النص الذي

الذي وافقه يعتقد انه اتبع فيه مراد الرسول فكذلك النص الاخر الذي تاوله فيكون
اصل مقصوده معرفة ما اراده الرسول بكلامه وهذا هو المقصود بكل ما يجوز
من تفسير وتاويل عند من يكون اصطلاحه تغاير معناهما واما من يجعلهما بمعنى
واحد كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين فالتاويل عندهم هو التفسير واما التاويل
في كلام الله ورسوله فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين وغير معناه في
اصطلاح متاخري الفقها والاصوليين كما قد بسط في موضعه والمقصود هنا ان كلما نفاه الله
ورسوله من مسمى الامور الواجبة كاسم الايمان والاسلام والدين والصلاة والصيام اسما
والطهارة والحج وغير ذلك فانما يكون لترك واجب في ذلك المسمى ومن هذا قوله تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما
فلما نفى الايمان حتى توجد هذه الغاية دل على ان هذه الغاية فرض على الناس فمن تركها كان
من اهل الوعيد لم يكن قد اتى بالايمان الواجب الذي وعد اهله بدخول الجنة بلا عذاب فان الله
انما وعد بذلك من فعل ما امر به واما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض
للوعيد ومعلوم باتفاق المسلمين انه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في دينهم ودنياهم
في اصول دينهم وفروعه وعليهم كلهم اذا حكم بشي ان لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا
له تسليما قال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيداً
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدوداً وقوله
الى ما انزل الله وقد انزل الله الكتاب والحكمة وهي السنة قال تعالى واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والدعا الى ما انزل مستلزم الدعا الى الرسول والدعا الى الرسول
يستلزم الدعا الى ما انزل الله وهذا مثل طاعة الله والرسول فانهما متلازمان فمن يطع الرسول
فقد اطاع الله ومن اطاع الله فقد اطاع الرسول وكذلك قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين فانهما متلازمان فكل من شاق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المومنين وكل من اتبع غير سبيل المومنين فقد
شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فان كان يظن انه متبع سبيل المومنين وهو مخطي

فهو بمنزلة من ظن انه متبع للرسول وهو مخطي وهذه الاية تدل على ان اجماع المومنين
حجه من جهة ان مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول وان كل ما اجمعوا عليه فلا بد ان يكون
فيه نص عن الرسول فكل مسالة يقطع فيها بالاجماع وبانتفاء المنازع من المومنين فانها مما بين
الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الاجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين واما اذا كان يظن الاجماع نص
ولا يقطع به فهنا قد لا يقطع ايضا بانها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل
هذا الاجماع قد لا يكفر بل قد يكون ظن الاجماع خطا والصواب في خلاف هذا القول وهذا هو فصل
الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الاجماع وما لا يكفر والاجماع هل هو قطعي الدلالة او ظني الدلالة فان
من الناس من يطلق الاثبات بهذا او هذا ومنهم من يطلق النفي لهذا ولهذا والصواب التفصيل
بين ما يقطع به من الاجماع ويعلم يقينا انه ليس فيه منازع من المومنين اصلا فهذا يجب القطع
بانه حق وهذا لا بد ان يكون مما بين فيه الرسول الهدى كما قد بسط هذا في موضع اخر ومن
جهة انه اذا وصف الواجب بصفات متلازمة دل على ان كل صفة من تلك الصفات متى
ظهرت وجب اتباعها وهذا مثل الصراط المستقيم الذي امرنا الله بسوال هدايته فانه
قد وصف بانه الاسلام ووصف بانه اتباع القران ووصف بانه طاعة الله ورسوله
ووصف بانه طريق العبودية ومعلوم ان كل اسم من هذه الاسما يجب اتباع مسماه
ومسماها كلها واحد وان تنوعت صفاته فاي صفة ظهرت وجب اتباع مدلولها
فانه مدلول الاخرى وكذلك اسما الله تعالى واسما كتابه واسما رسوله هي مثل اسما
دينه وكذلك قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا قيل حبل الله هو دين الله الاسلام
وقيل القران وقيل عهده وقيل طاعته وامره وقيل الجماعة المسلمين وكل هذا حق
وكذلك اذا قلنا الكتاب والسنة والاجماع فمدلول الثلث واحد فان كل ما في الكتاب فالرسول
موافق له والامة مجمعة عليه من حيث الجملة فليس في المومنين الا من يوجب اتباع الكتاب
وكذلك كل ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فالقران يامر باتباعه فيه والمسلمون مجمعون
على ذلك وكذلك كل ما اجمع عليه المسلمون فانه لا يكون الا حقا موافقا لما في الكتاب والسنة
لكن المسلمون يتلقون دينهم كله عن الرسول واما الرسول فينزل عليه وحي تنبيه
وهو القران ووحي اخر هو الحكمة كما قال صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله
معه وقال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة

فيعلمه

فيعلمه اياها كما يعلمه القران فليس كل ما جات به السنة يجب ان يكون مفسرا
في القران بخلاف ما يقوله اهل الاجماع فانه لا بد ان يدل عليه الكتاب والسنة فان
الرسول هو الواسطة بينهم وبين الله في امره ونهيه وتحليله وتحريمه والمقصود
ذكر الايمان من هذا الباب وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يبغض الانصار رجل يومن
بالله واليوم الاخر وقوله اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغض الانصار فان من
علم ما قامت به الانصار من نصر الله ورسوله من اول الامر وكان محبا لله ولرسوله
احبهم قطعا فيكون حبه لهم علامة الايمان الذي في قلبه ومن ابغضهم لم يكن في قلبه
الايمان الذي اوجبه الله عليه وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله
من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان لم يكن في قلبه الايمان الذي يوجبه
الله عليه فان لم يكن مبغضا لشي من المحرمات اصلا لم يكن معه ايمان اصلا كما سنبينه
ان شا الله وكذلك من لا يحب لاخيه المومن ما يحبه لنفسه لم يكن معه ما اوجب الله عليه
من الايمان فحيث نفى الله الايمان عن شخص فلا يكون الا لنقص ما يجب عليه من الايمان ويكون
من المعرضين للوعيد ليس من المستحقين للوعد المطلق وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا كله من هذا الباب لا يقوله الا لمن ترك
ما اوجب الله عليه او فعل ما حرمه الله ورسوله فيكون قد ترك من الايمان المفروض عليه
ما ينفي عنه الاسم لاجله فلا يكون من المومنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد وكذلك
قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن
لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون فهذا حكم اسم الايمان اذا اطلق في كلام الله ورسوله فانه
يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومن نفى الله ورسوله عنه الايمان فلا بد ان يكون
قد ترك واجبا او فعل محرما فلا يدخل في الاسم الذي يستحق اهله الوعد دون الوعيد
بل يكون من اهل الوعيد وكذلك قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون قال محمد بن نصر المروزي لما كان

المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلثة انواع نوع منها الكفر ونوع
منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق اخبر انه كرهها كلها الى المومنين
ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الايمان وليس فيها شي خارج عنه لم يفرق بينها فيقول حبب
اليكم الايمان والفرايض وساير الطاعات بل اجمل ذلك فقال وحبب اليكم الايمان فدخل في ذلك
جميع الطاعات لانه قد حبب الى المومنين الصلاة والزكاة وساير الطاعات حب تدين لان
الله اخبر انه حبب ذلك اليهم وزينه في قلوبهم لقوله حبب اليكم الايمان ويكرهون جميع المعاصي
والكفر منها والفسوق وساير المعاصي كراهة تدين لان الله اخبر انه كره ذلك اليهم ومن
ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساته سيته فهو مومن لان الله
حبب الى المومنين الحسنات وكره اليهم السيات قلت وتكريه جميع المعاصي
اليهم يستلزم حب جميع الطاعات لان ترك الطاعات معصية ولانه لا يترك المعاصي كلها
من لم يتلبس بضدها فيكون محبا لضدها وهو الطاعة اذ القلب لا بد له من ارادة فاذا كان
يكره الشر كله فلا بد ان يريد الخير والمباح بالنية الحسنة يكون خيرا وبالنية السيية
يكون شرا ولا يكون فعل اختياري الا بارادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسما حرث وهمام واقبحها
حرب ومرة فاصدق الاسما الحرث وهمام لان كل انسان همام حرث والحرث الكاسب
العامل والهمام الكثير الهم وهو مبدا الارادة وهو حيوان وكل حيوان حساس متحرك مبدا
بالارادة فاذا فعل شيا من المباحات فلا بد له من غاية ينتهي اليها قصده وكل مقصود اما ان يقصد
لنفسه واما ان يقصد لغيره فان كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك
له وهو الهه الذي يعبده لا يعبد شيا سواه وهو احب اليه من كل ما سواه فان ارادته
تنتهي الى ارادته وجه الله فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة
كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نفقة الرجل على اهله يحتسبها
صدقة وفي الصحيحين عنه انه قال لسعد بن ابي وقاص لما مرض بمكة وعاده النبي صلى الله عليه وسلم
انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة ترفعها الى
في امراتك وقال معاذ بن جبل لابي موسى اني احتسب نومتي كما احتسب قومتي وفي الاثر نوم العالم
تسبيح وان كان اصل مقصوده عبادة غير الله لم تكن الطيبات مباحة له فان الله انما

اباحها

اباحها للمومنين من عباده بل الكفار محاسبون يوم القيمة على نعم الله التي تنعموا بها
فلم يشكروه ولم يعبدوه بها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وقال تعالى
لتسالن يوميذ عن النعيم اي عن شكره والكافر لم يشكر النعيم الذي انعم الله عليه به على صح
فيعاقبه على ذلك والله انما اباحها للمومنين وامرهم معها بالشكر كما قال تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي
سنن ابن ماجه وغيره الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وكذلك قال للرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم وقال الخليل ربنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبيس المصير فالخليل انما دعا
بالطيبات للمومنين خاصة والله انما اباح بهيمة الانعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيد
وهو محرم والمومنون امرهم ان ياكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميز تعالى بين
خطاب الناس مطلقا وخطاب المومنين فقال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا
تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
اولو كان اباوهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فانما اذن للناس ان ياكلوا مما في الارض بشرطين
ان يكون طيبا وان يكون حلالا ثم قال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به فاذن للمومنين في الاكل من الطيبات ولم يشترط الحل واخبر انه لم يحرم
عليهم الا ما ذكره فما سواه لم يكن محرما على المومنين ومع هذا فلم يكن احله بخطابه
بل كان عفوا كما في الحديث عن سلمان موقوفا ومرفوعا الحلال ما احله الله في كتابه والحرام
ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وفي حديث ابي ثعلبة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم
حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن اشيا رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وكذلك

قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة نفي للتحريم عن غير المذكور
فيكون الباقي مسكوتا عن تحريمه عفوا والتحليل انما يكون بخطاب ولهذا قال في سورة المايده
التي انزلت بعد هذا يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين الى قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم فقوله اليوم احل لكم الطيبات وقبل هذا لم يكن حرم عليهم الا ما استثناه وقد حرم
النبي صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ولم يكن هذا نسخا
للكتاب لان الكتاب لم يحل ذلك ولكن سكت عن تحريمه فكان تحريمه ابتدا شرع ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي من طرق من حديث ابي رافع وابي ثعلبة وابي
هريرة وغيرهم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القران فما وجدنا فيه من حلال احللناه وما وجدنا فيه
من حرام حرمناه الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه وفي لفظ الا وانه مثل القران او اكثر
الا واني حرمت كل ذي ناب من السباع فبين انه انزل عليه وحي اخر وهو الحكمة غير الكتاب
وان الله حرم عليه في هذا الوحي ما اخبر بتحريمه ولم يكن ذلك نسخا للكتاب فان الكتاب لم
يحل هذه قط انما احل الطيبات وهذه ليست من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم فلم يدخل هذه في العموم لكنه لم يكن حرمها فكانت معفوا عن تحريمها
لا ماذونا في اكلها واما الكفار فلم ياذن لهم في اكل شي ولا احل لهم شيا ولا عفى لهم عن شي الله
ياكلونه بل قال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فشرط فيما ياكلونه ان يكون حلالا وهو
الماذون فيه من جهة الله ورسوله والله لم ياذن في الاكل الا للمومنين فلم ياذن لهم في اكل
شي الا اذا امنوا ولهذا لم تكن اموالهم مملوكة لهم ملكا شرعيا لان الملك الشرعي هو القدره
على التصرف الذي اباحه الشارع والشارع لم يبح لهم تصرفا في الاموال الا بشرط الايمان فكانت
اموالهم على الاباحة فاذا قهر طايفة منهم طايفة قهرا يستحلونه في دينهم واخذوها منهم
صار هولاء فيها كما كان اوليك والمسلمون اذا استولوا عليها فغنموها ملكوها شرعا لان الله اباح
لهم المغانم ولم يبحها لغيرهم ويجوز لهم ان يعاملوا الكفار فيما اخذه بعضهم من بعض بالقهر الذي
يستحلونه في دينهم ويجوز ان يشتري من بعضهم ما سباه من غيره لان هذا بمنزلة استيلايه
على المباحات ولهذا سمى الله ما عاد من اموالهم الى المسلمين فيا لان الله افاه الى مستحقه

اي رده

رده الى المومنين به الذين يعبدونه ويستعينون برزقه على عبادته فانه انما خلق الخلق
ليعبدوه وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ الفي قد يتناول الغنيمة كقول
النبي صلى الله عليه وسلم في غنايم حنين ليس لي مما افا الله عليكم الا الخمس والخمس مردود
عليكم لكنه لما قال تعالى ما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب صار
لفظ الفي اذا اطلق في عرف الفقها فهو ما اخذ من مال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والايجاف
نوع من التحريك واما اذا فعل المومن ما ابيح له قاصدا العدول عن الحرام الى الحلال لحاجته
اليه فانه يثاب على ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول
الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه فيها
وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله يحب ان يوخذ برخصه كما يكره ان توتى معصيته رواه احمد
وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما فاخبر ان الله يحب اتيان رخصه كما يكره فعل معصيته
وبعض الفقها يرويه كما يحب ان توتى عزايمه وليس هذا لفظ الحديث وذلك لان الرخص انما
اباحها الله لحاجة العباد اليها والمومنون يستعينون بها على عبادته فهو يحب الاخذ
بها لان الكريم يحب قبول احسانه كما قال في حديث القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته ولانه بها تتم عبادته وطاعته واما ما لا يحتاج اليه الانسان من قول وعمل
بل يفعله عبثا فهذا عليه لا له كما في الحديث كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امرا بمعروف
او نهيا عن منكر او ذكرا لله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت فامر المومن باحد امرين اما قول الخير او الصمات
ولهذا كان قول الخير خيرا من السكوت عنه والسكوت عن الشر خيرا من قوله
ولهذا قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد اختلف هل يكتب جميع
اقواله فقال مجاهد وغيره يكتبان كل شي حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما
يوجر عليه او يوزر والقران يدل على انهما يكتبان الجميع فانه قال ما يلفظ من قول نكره
في الشرط موكده بحرف من فهذا يعم كل قول وايضا فكونه يوجر على قول معين او يوزر
يحتاج الى ان يعرف الكاتب ما امر به وما نهى عنه فلا بد في اثبات معرفة الكاتب به الى
نقل وايضا فهو مامور اما بقول الخير او بالصمات فاذا عدل عما امر به من الصمات الى فضول

القول الذي ليس بخير كان هذا عليه فانه يكون مكروها والمكروه ينقصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاذا خاض فيما لا يعنيه نقص من حسن اسلامه فكان هذا عليه اذ ليس من شرط ما هو عليه ان يكون عذاب جهنم وغضب الله بل نقص قدره ودرجته عليه ولهذا قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فما يعمل من احد الا عليه او له فان كان مما امر به كان له والا كان عليه ولو انه ينقص قدره والنفس طبعها الحركه لا تسكن قط لكن قد عفى الله عما حدثت به المومنون انفسهم ما لم يتكلموا به او يعملوا به فاذا عملوا به دخل في الامر والنهي فاذا كان الله قد كره الى المومنين جميع المعاصي وهو قد حبب اليهم الايمان الذي يقتضي جميع الطاعات اذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس فان المرجيه لا تنازع في ان الايمان الذي في القلب يدعوا الى فعل الطاعه ويقتضي ذلك والطاعه من ثمراته ونتايجه لكنها تنازع هل يستلزم الطاعه فانه وان كان يدعوا الى الطاعه فله معارض من النفس والشيطان فاذا كان قد كره الى المومنين المعارض كان المقتضي للطاعه سالما عن هذا المعارض وايضا فاذا كرهوا جميع السيات لم يبق الا الحسنات ومباحات والمباحات لم يبح الا لاهل الايمان الذي يستعينون بها على الطاعات والا فالله لم يبح قط لاحد شيا ان يستعين به على كفر ولا فسوق ولا عصيان ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصر الخمر ومعتصرها كما لعن شاربها والعاصر يعصر عنبا يصير عصيرا يمكن ان ينتفع به في المباح لكن لما علم ان قصد العاصر ان يجعلها خمرا لم يكن له ان يعينه بجنسه مباح على معصية الله بل لعنه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لان الله لم يبح اعانة العاصي على معصيته ولا اباح له ما يستعين به في المعصية فلا يكون مباحات لهم الا اذا استعانوا بها على الطاعات فيلزم من انتفاء السيات انهم لا يفعلون الا الحسنات ولهذا كان من ترك المعاصي كلها فلا بد ان يشتغل بطاعة الله وفي الحديث الصحيح كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها فالمومن لا بد ان يحب الحسنات ولا بد ان يبغض السيات ولا بد ان تسره فعل الحسنة وتسوؤه فعل السيية ومتى قدر انه في بعض الامور ليس كذلك كان ناقص الايمان والمومن قد يصدر منه السيية فيتوب منها او ياتي بحسنات يمحوها او يبتلي ببلاء يكفرها عنه ولكن لا بد ان يكون كارها لها فان الله اخبر انه حبب الى المومنين الايمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان فمن يكره الثلثه لم

يكن منهم

منهم ولكن محمد بن نصر يقول الفاسق يكرهها تدينا فيقال ان اريد بذلك انه يعتقد ان دينه حرمها وهو يحب دينه وهذه من جملته فهو يكرهها وان كان يحب دينه مجملا وليس في قلبه كراهة لها كان قد عدم من الايمان بقدر ذلك كما في الحديث الصحيح من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي الحديث الاخر الذي في الصحيح ايضا صحيح مسلم فمن جاهدهم بيده فهو مومن ومن جاهدهم بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة خردل من ايمان فعلم ان القلب اذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله لم يكن فيه من الايمان الذي يستحق به الثواب وقوله من الايمان اي من هذا الايمان وهو الايمان المطلق اي ليس وراء هذه الثلث ما هو من الايمان ولا قدر حبة خردل والمعنى هذا اخر حدود الايمان ما بقي بعد هذا من الايمان شي ليس مراده انه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الايمان شي من لفظ الحديث انما يدل على المعنى الاول

فصل

ومن هذا الباب لفظ الكفر والنفاق فالكفر اذا ذكر مفردا في وعيد الاخرة دخل فيه المنافقون كقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير وقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين وقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى وقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية وامثال هذه النصوص كثير في القران كلها يدخل والمنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الايمان شي كما يدخل فيها

نهله صح

الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون في الدرك الاسفل من النار كما اخبر الله بذلك في كتابه
ثم قد يقترن الكفر بالنفاق في مواضع ففي اول البقرة ذكر ايات في صفة المؤمنين واثنتين اربع
في صفة الكافرين وبضع عشرة اية في صفة المنافقين وقال تعالى ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا وقال يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب
الى قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس
المصير وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم في سورتين وقال الم
تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وكذلك لفظ المشركين
قد يقرن باهل الكتاب فقط وقد يقرن بالملل الخمس كما في قوله ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
ان الله على كل شيء شهيد والاول كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة وقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم
فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ وليس احد بعد مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم من الذين اوتوا الكتاب الا اميين وكتابيين لم تكن من الذين اوتوا الكتاب فهم
من الاميين كالاميين من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان وغيرهم
من الامم الذين لا كتاب لهم فهولاء كلهم اميون والرسول مبعوث اليهم كما بعث الى الاميين
من العرب وقوله وقل للذين اوتوا الكتاب وهو انما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ
والتبديل فدل على ان من دان بدين اليهود والنصارى فهو من الذين اوتوا الكتاب ولا يختص هذا
اللفظ بمن كانوا متمسكين قبل النسخ والتبديل ولا فرق بين اولادهم واولاد غيرهم فان اولادهم
اذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن اوتوا الكتاب وكذلك غيرهم اذا كانوا كلهم كفارا وقد جعلوا
هم الذين اوتوا الكتاب بقوله وقل للذين اوتوا الكتاب وهو لا يخاطب بذلك الا من بلغته رسالته
لا من مات قبل ذلك على ان قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب يتناول هولاء كلهم كما هو مذهب
الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وابي حنيفة وهو المنصوص عن احمد في عامة
اجوبته لم يختلف كلامه الا في نصارى بني تغلب واخر الروايتين عنه انهم تباح نساؤهم وذبائحهم

ذبائحهم كما هو قول جمهور الصحابة وقوله في الرواية الاخرى لا تباح متابعة لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه لم يكن لاجل النسب بل لكونهم لم يدخلوا في دين اهل الكتاب الا فيما يشتهونه
من شرب الخمر ونحوه ولكن بعض التابعين ظن ان ذلك لاجل النسب كما نقل عن عطا وقال
به الشافعي ومن وافقه من اصحاب احمد وفرعوا على ذلك فروعا كمن كان احد ابويه
كتابي والاخر ليس بكتابي ونحو ذلك حتى لا يوجد في طايفة من كتب اصحاب احمد الا هذا القول
وهو خطا على مذهبه مخالف لنصوصه لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا البتة كما قد
بسط في موضعه ولفظ المشركين يذكر مفردا في مثل قوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن وهل يتناول اهل الكتاب فيه قولان مشهوران للسلف والخلف والذين
قالوا بانها تعم منهم من قال هي محكمة كابن عمر والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات
كما ذكر الله في اية المايدة وهي متاخرة عن هذه ومنهم من يقول نسخ منها تحريم نكاح
الكتابيات ومنهم من يقول بل هو مخصوص لم يرد باللفظ العام وقد انزل الله تعالى بعد
صلح الحديبية قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهذا قد يقال انه نهى عن التمسك بالعصمة
من كان متزوجا كافرة ولم يكونوا اجنبيين متزوجين المشركة والكتابية فلم يدخل في ذلك
الكتابيات مفصل وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر
مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين وقال واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال الخليل
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق على صحته لما كانوا يقولون في اخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام
على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد
احدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها اصابت كل عبد صالح لله
في السماء والارض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال الزجاج وغيره الصالح القايم بحقوق
الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا اطلق فهو الذي صلح جميع امره فلم يكن

الكفار المظهرون للكفر والمنافقون في الدرك الاسفل من النار كما اخبر الله بذلك في كتابه
ثم قد يقترن الكفر بالنفاق في مواضع ففي اول البقرة ذكر آيات في صفة المؤمنين واثنين اربع
في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين وقال تعالى ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا وقال يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب
الى قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس
المصير وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم في سورتين وقال الم
تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وكذلك لفظ المشركين
قد يقرن باهل الكتاب فقط وقد يقرن بالملل الخمس كما في قوله ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
ان الله على كل شيء شهيد والاول كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة وقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم
فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ وليس احد بعد مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم الا من الذين اوتوا الكتاب والاميين وكل امة لم تكن من الذين اوتوا الكتاب فهم
من الاميين كالاميين من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان وغيرهم
من الامم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم اميون والرسول مبعوث اليهم كما بعث الى الاميين
من العرب وقوله وقل للذين اوتوا الكتاب وهو انما خاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ
والتبديل دل ذلك على ان من دان بدين اليهود والنصارى فهو من الذين اوتوا الكتاب ولا يختص هذا
اللفظ بمن كانوا متمسكين قبل النسخ والتبديل ولا فرق بين اولادهم واولاد غيرهم فان اولادهم
اذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن اوتوا الكتاب فكذلك غيرهم اذ كانوا كلهم كفارا وقد جعلوا
هم الذين اوتوا الكتاب بقوله وقل للذين اوتوا الكتاب وهو انما خاطب بذلك الامر بلغته رسالته
لا من مات وذلك دل على ان قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب يتناول هؤلاء كلهم كما هو مذهب
الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وابي حنيفة وهو المنصوص عن احمد في عامة
اجوبته لم يختلف كلامه الا في نصارى بني تغلب في آخر الامر واشهر عنه انهم تباح نساؤهم وذبائحهم

ذبائحهم كما هو قول جمهور الصحابة وقوله في الرواية الاخرى لا تباح متابعة لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه لم يكن لاجل النسب بل لكونهم لم يدخلوا في دين اهل الكتاب الا فيما يشتهونه
من شرب الخمر ونحوه ولكن بعض التابعين ظن ان ذلك لاجل النسب كما نقل عن عطاء وقال
به الشافعي ومن وافقه من اصحاب احمد وفرعوا على ذلك فروعا كمن كان احد ابويه
كتابي والاخر ليس بكتابي ونحو ذلك حتى لا يوجد في طائفة من كتب اصحاب احمد الا هذا القول
وهو خطأ على مذهبه مخالف لنصوصه لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا البتة كما قد
بسط في موضعه ولفظ المشركين يذكر مفردا في مثل قوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن وهل يتناول اهل الكتاب فيه قولان مشهوران للسلف والخلف والذين
قالوا بانها تعم منهم من قال هي محكمة كابن عمر والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات
كما ذكر الله في اية المائدة وهي متاخرة عن هذه ومنهم من يقول نسخ منها تحريم نكاح
الكتابيات ومنهم من يقول بل هو مخصوص لم يرد باللفظ العام وقد انزل الله تعالى بعد
صلح الحديبية قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهذا قد يقال انما نهى عن التمسك بالعصمة
من كان متزوجا كافرة ولم يكونوا حينئذ متزوجين الا مشركة وثنية فلم يدخل في ذلك
الكتابيات وهذا فصل وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر
مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين وقال واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال الخليل
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام
على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد
احدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها اصابت كل عبد صالح لله
في السماء والارض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق
الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا اطلق فهو الذي صلح جميع امره فلم يكن

فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته واقواله واعماله على ما يرضي ربه وهذا
يتناول النبيين ومن دونهم ولفظ الصديق قد جعل هنا معطوفا على النبيين وقد وصف به النبيين
في مثل قوله واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان
صديقا نبيا وكذلك الشهيد قد جعل هنا قرين الصديق والصالح وقد قال وجيء بالنبيين والشهدا
وقضي بينهم بالحق ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الامة كلها في قوله وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فهذه شهادة
مقيدة بالشهادة على الناس كالشهادة المذكورة في قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهدا
وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم وليست هذه الشهادة المطلقة في
الايتين بل ذلك كقوله ويتخذ منكم شهدا فصل كذلك لفظ المعصية
والفسوق والكفر فاذا اطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيه الكفر والفسوق كقوله ومن يعص
الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله
واتبعوا امر كل جبار عنيد فاطلق معصيتهم للرسل بانهم عصوا هودا ومعصيته تكذيب لجنس
الرسل فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ومعصية من كذب وتولى قال تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اي كذب
بالخبر وتولى عن طاعة الامر وانما على الخلق ان يصدقوا الرسل فيما اخبروا ويطيعوهم فيما
امروا وكذلك قال في فرعون فكذب وعصى وقال عن جنس الكافر فلا صدق ولا صلى
ولكن كذب وتولى فالتكذيب للخبر والتولي عن الامر وانما الايمان تصديق الرسل فيما اخبروا
وطاعتهم فيما امروا ومنه قوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
ولفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القران كقوله ستدعون
الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا
كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما وذمه في مواضع من القران من تولى دليل على وجوب طاعة غيره صح
الله ورسوله وان الامر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم التولي عن الطاعة كما علق
الذم بمطلق المعصية في مثل قوله فعصى فرعون الرسول وقد قيل ان التابيد لم يذكر في
القران الا في وعيد الكفار ولهذا قال ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما وقال فيمن يجور في المواريث ومن يعص

الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين فهنا قيد المعصية
بتعدي حدوده فلم يذكرها مطلقة وقال وعصى آدم ربه فغوى فهي معصية خاصة وقال قال صح
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون فالمراد معصية
واقعة وهي معصية الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث امرهم بلزوم ثغرهم وان راوا
المسلمين قد انتصروا فعصى من عصى منهم هذا الامر وجعل اميرهم يامرهم لما راوا
الكفار منهزمين واقبل من اقبل منهم على الغنائم وكذلك قوله وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان جعل ذلك ثلاث مراتب وقد قال ولا يعصينك في معروف فقيد المعصية
ولهذا فسرت بالنياحة قاله ابن عباس وروي ذلك مرفوعا وكذلك قال زيد بن اسلم
لا يدعن ويلا ولا تخدش وجها ولا تنشر شعرا ولا يشققن ثوبا وقد قال بعضهم هو
جميع ما يامرهم به الرسول من شرائع الاسلام وادلته كما قاله ابو سليمان الدمشقي ولفظ
الاية عام انهن لا يعصينه ولا يكون الا في معروف فانه لا يامر بمنكر لكن هذا كما قيل فيه دلالة في معروف ومعصيته صح
على ان طاعة ولي الامر انما تلزم في المعروف كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انما الطاعة في المعروف ونظير هذا قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
وهو لا يدعو الا الى ذلك والتقييد هنا لا مفهوم له فانه لا يقع دعا لغير ذلك ولا امر بغير معروف
وهذا كقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا فانهن اذا لم يردن تحصنا
امتنع الاكراه ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله تعالى ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقوله ويقتلون
النفس بغير الحق فالتقييد في جميع هذا للبيان والايضاح لا لاخراج وصف اخر ولهذا
يقول من يقول من النحاة الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص وفي النكرات للتخصيص
يعني في المعارف التي لا تحتاج الى تخصيص كقوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
وقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يامرهم بالمعروف وقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصفات في النكرات
اذا تميزت تكون للتوضيح ايضا ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق
في قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ومعلوم ان الفاسق عاص ايضا ٥٥
فصل ومن هذا الباب ظلم النفس فانه اذا اطلق يتناول جميع الذنوب

القرى صح

فانما ظلم العبد نفسه قال تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم
ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما
زادوهم غير تتبيب وقال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى باريكم وقال من قتل النفس رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقالت بلقيس رب اني ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ثم قد يقرن ببعض الذنوب كقوله تعالى والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما واما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه الكفر وساير الذنوب قال
تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظراهم وهذا ثابت عن عمر
وروي ذلك عنه مرفوعا وكذلك قال ابن عباس واشباههم وكذلك قال قتاده والكلبي كل
من عمل بمثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وعن الضحاك
ومقاتل قرناوهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسله وهذا كقوله واذا
النفوس زوجت قال عمر بن الخطاب الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح قال ابن
عباس وذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثه وقال الحسن وقتاده الحق كل امري
بشيعته اليهودي مع اليهود والنصراني مع النصارى وقال الربيع بن خثيم
يحشر المرء مع صاحب عمله وهذا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم لما قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من احب وقال الارواح جنود
مجنده فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وقال المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل والزوج الشيء نظيره ويسمى زوجا لتشابه افراده كقوله انبتنا
فيها من كل زوج كريم وقال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال غير واحد
من المفسرين صنفين ونوعين مختلفين السما والارض والشمس والقمر والليل والنهار
والبر والبحر والسهل والجبل والشتا والصيف والجن والانس والكفر والايمان والسعاده
والشقاوه والحق والباطل والذكر والانثى والنور والظلمه والحلو والمر واشباه ذلك لعلكم
تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد وليس المراد انه يحشر معهم زوجاتهم

نفسي صح

الظلم

الصنف صح

مطلقا فان المراه الصالحه قد يكون زوجها فاجرا بل كافرا كامراه فرعون وكذلك
الرجل الصالح قد يكون امراته فاجره بل كافره كامراه نوح ولوط لكن اذا كانت المراه
على دين زوجها دخلت في عموم الازواج ولهذا قال الحسن البصري وازواجهم المشركات
فلا ريب ان هذه الايه تتناول الكفار كما دل عليه سياق الايه وقد تقدم كلام المفسرين
انه يدخل فيها الزناه مع الزناه واهل الخمر مع اهل الخمر وكذلك الاثر المروي اذا كان
يوم القيمه قيل اين الظلمه واعوانهم او قال اشباههم فيجمعون في توابيت من نار ثم
يقذف بهم في النار وقد قال غير واحد من السلف اعوان الظلمه من اعانهم ولو انه لاق
لهم دواه او بري لهم قلما ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من اعوانهم واعوانهم
من ازواجهم المذكورين في الايه فان المعين على البر والتقوى من اهل ذاك والمعين على
الاثم والعدوان من اهل ذاك قال تعالى من يشفع شفاعه حسنه يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعه سيئه يكن له كفل منها والشافع الذي يشفع غيره فيصير
معه شفعا بعد ان كان وترا ولهذا فسرت الشفاعه الحسنه باعانه المومنين
على الجهاد والشفاعه السيئه باعانه الكفار على قتال المومنين كما ذكر ذلك ابن جرير
وابو سليمن وفسرت الشفاعه الحسنه بشفاعه الانسان للانسان ليجتلب له نفعا
او يخلصه من بلاء قال الحسن ومجاهد وقتاده وابن زيد فالشفاعه الحسنه اعانته
على خير يحبه الله ورسوله من نفع من يستحق النفع ودفع الضرر عمن يستحق
دفع الضرر عمن يستحق دفع الضرر عنه والشفاعه السيئه اعانته على ما يكرهه
الله ورسوله كالشفاعه التي فيها ظلم الانسان او منع الاحسان الذي يستحقه
وفسرت الشفاعه الحسنه بالدعا للمومنين والسيئه بالدعا عليهم وفسرت الشفاعه
الحسنه بالاصلاح بين اثنين وكل هذا صحيح فالشافع زوج المشفوع له اذ المشفوع
من الخلق اما ان يعينه على بر وتقوى واما ان يعينه على اثم وعدوان وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اتاه طالب حاجه قال لاصحابه اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان نبيه
ما شاء وتمام الكلام ان الايه وان تناولت الظالم الذي ظلم بكفره فهي ايضا متناوله لما
دون ذلك وان قيل فيها وما يعبدون فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفه تعس عبد الخميصه

تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ومن عنه في الصحيح انه قال ما من صاحب كنز
الا جعل له كنزه يوم القيامه شجاعا اقرع يأخذ بلهزمتيه انا مالك انا كنزك وفي لفظ الا مثل
له يوم القيمه شجاعا اقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه وقرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمه وفي حديث اخر
مثل له يوم القيمه شجاعا اقرع يتبع صاحبه حيث ما ذهب وهو يفر منه هذا مالك
الذي كنت تبخل به فاذا راى انه لا بد له منه ادخل يده في فيه فيقضمها كما يقضم الفحل
وفي روايه فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضمها ثم يلقمه ساير جسده وقد قال
تعالى في الايه الاخرى والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد ثبت في الصحيح
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صاحب كنز لا يودي زكاته الا احمي عليها
في نار جهنم فيجعل صفايح فيكوى بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم
كان مقداره خمسين الف سنه مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنه واما الى
النار وفي حديث ابي ذر بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فتوضع
على حلمه ثدي احدهم حتى تخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى تخرج
من حلمه ثديه يتزلزل وتكوى الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقي الحر في اجوافهم
وهذا كما في القران ويدل على انه بعد دخول النار فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك
اي في الموقف فهذا الظالم لما منع الزكاه يحشر مع اشباهه وماله الذي صار عبدا له
من دون الله فيعذب به وان لم يكن هذا من اهل الشرك الاكبر الذين يخلدون في
النار ولهذا قال في اخر الحديث اما الى الجنه واما الى النار فهذا بعد تعذيبه خمسين
الف سنه مما تعدون ثم يدخل الجنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الشرك في هذه
الامه اخفى من دبيب النمل قال ابن عباس واصحابه كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق
دون فسق وكذلك قال اهل السنه كاحمد بن حنبل وغيره كما سنذكره ان شا الله وقد
قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وفي حديث عدي بن حاتم

وهو حديث طويل حسن رواه احمد والترمذي وغيرهما وكان قد قدم على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرا هذه الايه قال فقلت له انا لسنا نعبدهم
قال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال فقلت
بلى قال فتلك عبادتهم وكذلك قال ابو البختري اما انهم لم يصلوا لهم ولو امروهم ان يعبدوهم
من دون الله ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فاطاعوهم
فكانت تلك الربوبيه وقال الربيع بن انس قلت لابي العاليه كيف كانت الربوبيه في بني
اسرايل قال كانت الربوبيه انهم وجدوا في كتاب الله ما امروا به وما نهوا عنه فقالوا
لن نسبق احبارنا بشي فما امرونا به ايتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحوا
الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان عبادتهم اياهم كانت
في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا انهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه
عباده للرجال وتلك عباده للاموال وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله
تعالى ان ذلك شرك بقوله لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذا من الظلم الذي يدخل
في قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فان هولا الذين
امروهم بهذا هم جميعا معذبون وقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهيته لان يعبد ويطاع في معصيه
الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالمسيح وعزير وغيرهما فاولئك مبعدون واما من
رضي بان يعبد ويطاع في معصيه الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يامر بذلك فكيف اذا
امر وكذلك من امر غيره بان يعبد غير الله وهذا من ازواجهم فان ازواجهم قد يكونون روساهم
وقد يكونون اتباعا وهم ازواج واشباه لتشابههم في الدين وسياق الايه يدل على ذلك
فانه تعالى قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى
صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم وقال الضحاك مثله وقال ابن كيسان قدموهم
والمعنى قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ولهذا يسمى الاعناق الهوادي لانها
تقود ساير البدن وتسمى اوايل الوحش الهوادي وقفوهم انهم مسولون ما لكم لا
تناصرون اي كما كنتم تناصرون في الدنيا على الباطل بل هم اليوم مستسلمون واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين

وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم
إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا
قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
وقال تعالى قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة
لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان
لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وقال تعالى وإذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار
قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى إذ
الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن
صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون وقوله في سياق الآية إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ولا
ريب أنها تتناول الشركين الأكبر والأصغر وتتناول أيضا من استكبر عما أمره
الله به من طاعته فإن ذلك من تحقيق قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المستحق للعبادة
فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته
سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم يحقق قول لا إله إلا الله وهذا المقام وهؤلاء الذين
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل
الله يكونون على وجهين أحدهما أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل
فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا
دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون
لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين
واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء الثاني أن يكون

اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله
كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل
الذنوب كما قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما الطاعة في
المعروف وقال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية
الخالق وقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان
مجتهدا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع
فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ولكن من علم أن هذا
خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من
هذا الشرك الذي ذمه الله لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه
بأنه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه ولهذا اتفق العلماء
على أنه إذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر
على الاستدلال وإن كان عاجزا عن إظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف أن دين
الإسلام حق وهو بين النصارى فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه وهو
كالنجاشي وغيره وقد أنزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالى وإن من أهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم وقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق
وبه يعدلون وقوله وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل وقد
فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة
وأما إن قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه
الحق فهذا من أهل الجاهلية وإن كان متبوعه مصيبا لم يكن عمله صالحا وإن كان متبوعه
مخطئا كان آثما كمن قال في القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ وإن أخطأ فليتبوأ مقعده
من النار وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد ومن جنس عبد الدينار
والدرهم والقطيفة والخميصة فإن ذلك لما أحب المال حبا منعه عن عبادة الله وطاعته
صار عبدا له وكذلك هؤلاء فيكون فيهم شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي
الحديث إن يسير الرياء شرك وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر

والشرك على كثير من الذنوب والمقصود هنا ان الظلم المطلق يتناول الكفر ولا يختص بالكفر بل يتناول ما دونه ايضا وكل بحسبه كلفظ الذنب والخطيه والمعصيه فان هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ثم ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا فهذا الوعيد بتمامه على الثلثه ولكل عمل قسط منه فلو اشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك ولو زنا وقتل ولم يشرك كان له من هذا العذاب نصيب كما في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ولم يذكر ابدا وقد قيل ان لفظ التابيد لم يجي الا مع الكفر وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا فلا ريب ان هذا يتناول الكافر الذي لم يومن بالرسول وسبب نزول الايه كان في ذلك فان الظلم المطلق يتناول ذلك ويتناول ما دونه بحسبه فمن خال مخلوقا في خلاف امر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قال الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد هي المودات التي كانت بينهم لغير الله فان المخالة تحاب وتواد ولهذا قال المرء على دين خليله فان المتحابين يحب احدهما ما يحبه الاخر بحسب الحب فاذا اتبع احدهما صاحبه على محبة ما يبغضه الله ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك الى ان ينتهي الى الشرك الاكبر قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتبعوه على محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك فلهذا الزمهم محبوبهم كما في الحديث يقول الله تعالى اليس عدلا مني ان اولي كل رجل منكم ما كان يتولاه

في الدنيا وقد ثبت في الصحيح يقول ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فمن كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ويمثل للنصارى المسيح ولليهود عزير فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ويبقى هذه الامه فيها منافقوها كما سياتي هذا الحديث ان شاء الله فهولاء اهل الشرك الاكبر واما عبيد المال الذين كنزوه وعبيد الرجال الذين اطاعوهم في معاصي الله فاولئك يعذبون عذابا دون عذاب اوليك المشركين اما في عرصه القيامه واما في جهنم ومن احب شيا دون الله عذب به وقال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ولهذا لا شفيع لاهله يوم القيمه كما نفى الشفاعه في هذه الايه وفي قوله وانذرهم يوم الازفه اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين وقوله نسويكم برب العالمين يدل على انهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه فان هذا لم يقله احد من بني ادم ولا نقل قط عن قوم من الكفار انهم قالوا ان هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القايلين بالاصلين النور والظلمه متفقون على ان النور خير يستحق ان يعبد ويحمد والظلمه شرير تستحق ان تذم وتلعن واختلفوا هل الظلمه محدثه او قديمه على قولين وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه وكذلك مشركوا العرب كانوا متفقين على ان اربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض بل كانوا مقرين بان الله وحده خلق السموات والارض وما بينهما كما اخبر عنهم بذلك في غير ايه كقوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له ان الله بكل شي عليم ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وقال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السما ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون

والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى
ربنا لمنقلبون وهذه الصفات من كلام الله ليست من تمام جوابهم وقال تعالى قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله الايات وقال تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او
اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء وتنسون ما تشركون وكذلك قوله الله خير اما يشركون امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
االه مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بانه اي الاه مع الله
لم يفعل هذا اله اخر مع الله ومن المفسرين ان المراد هل مع الله اله اخر فقد
غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله الهة اخرى كما قال تعالى ائنكم لتشهدون ان
مع الله الهة اخرى قل لا اشهد وقال تعالى فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الهة اخرى
الله من شيء وقال تعالى عنهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وكانوا
معترفين بان الهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض ولا خلق شيء بل كانوا
يتخذونهم شفعاء ووسائط كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال عن صاحب يس ومالي لا اعبد
الذي فطرني واليه ترجعون ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا
تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تتذكرون وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره
ملك او قسط من الملك او ان يكون عونا لله ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا بلغ

لمن

لمن اذن له الرب كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال عن الملائكة ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقال وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية
يوم القيمة كما نفاها القران واما ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون فاخبر
انه ياتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدا بالشفاعة اولا فاذا سجد وحمد ربه
بمحامد يفتحها عليه يقال له اي محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع
تشفع فيقول اي رب امتي فيحد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك
في الثالثة وقال له ابو هريرة من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال من قال لا اله الا
الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة هي لاهل الاخلاص باذن الله ليست لمن اشرك
بالله ولا تكون الا باذن الله وحقيقته ان الله تعالى هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص والتوحيد
فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي اذن له ان يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون صلى الله عليه وعلى اله وسلم كما كان في الدنيا
يستسقي لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته
واذا كان كذلك فالظلم ثلثة انواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم
بعضا لا بد فيه من اعطاء المظلوم حقه ولا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن
قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع
يطاع واما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في الحقيقة
اخلاصه لله فيه صار من اهل الشفاعة ومقصود القران بنفي الشفاعة نفي الشرك
وهو ان احدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسال غيره ولا يتوكل على غيره لا في شفاعة
ولا غيرها فليس له ان يتوكل على احد وان يرزقه وان كان الله ياتيه برزقه
باسباب كذلك ليس له ان يتوكل على غير الله في ان يغفر له ويرحمه في الاخرة وان
كان الله يغفر له ويرحمه باسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاها القران
مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقا ولهذا اثبت الشفاعة باذنه في مواضع
وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص فهي من التوحيد
ويستحقها اهل التوحيد واما الظلم المقيد فقد يختص بظلم الانسان نفسه وظلم الناس

بعضهم بعضاً كقول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا وقول موسى رب اني ظلمت نفسي
وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
لكن قول ادم وموسى اخبار عن واقع لا عموم فيه وذلك قد عرف والله الحمد انه ليس كفراً
واما قوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم فهو نكرة في سياق الشرط يعم كل ما
فيه ظلم الانسان نفسه وهو اذا اشرك ثم تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان
لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبيراً وصغيراً مع الاطلاق وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم سابق بالخيرات فهذا ظلم لنفسه
مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك الاكبر وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه لما
انزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا
الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم والذين شق ذلك عليهم ظنوا ان الظلم المشروط
هو ظلم العبد نفسه وانه لا يكون الامن والاهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فشق ذلك
عليهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم ما دلهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ
فلا يحصل الامن والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس ايمانه به كان
من اهل الامن والاهتدا كما كان من اهل الاصطفا في قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا الى قوله جنات عدن يدخلونها وهذا لا ينفي ان يواخذ احدهم بظلمه نفسه
اذا لم يتب كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره وقال من يعمل سوا يجز به وقد سال ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال يا رسول الله واينا لم يعمل سوا فقال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن
الست تصيبك اللاوا فذلك ما تجزون به فبين ان المومن الذي اذا تاب دخل الجنة
قد يجزي بسيانه في الدنيا بالمصايب التي تصيبه كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال مثل المومن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقومها تارة وتميلها اخرى ومثل
المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على اصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المومن من وصب ولا
نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه

وفي حديث سعد بن ابي وقاص قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاءً
قال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان
في دينه صلابة زيد في بلايه وان كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء
بالمومن حتى يمشي على الارض وليس عليه خطيئة رواه احمد والترمذي وغيرهما
وقال المرض حطة يحط الله به الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة
ورقها والاحاديث في هذا الباب كثيرة فمن سلم من اجناس الظلم الثلثة
كان له الامن التام والاهتدا التام ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الامن والاهتدا
بمعنى انه لا بد ان يدخل الجنة كما وعد بذلك في الاية الاخرى وقد هداه الله
الى الصراط المستقيم الذي يكون عاقبته فيه الى الجنة ويحصل له من نقص الامن
والاهتدا بحسب ما نقص من ايمانه بظلمه نفسه ليس مراد النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله انما هو الشرك ان لم يشرك الشرك الاكبر يكون له الامن التام
والاهتدا التام فان احاديثه الكثيرة مع نصوص القران تبين ان اهل الكباير
معرضون للخوف لم يحصل لهم الامن التام والاهتدا التام الذين يكونون به مهتدين
الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم اصل الاهتدا الى هذا الصراط ومعهم
اصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك
ان اراد به الشرك الاكبر فمقصوده ان من لم يكن من اهله فهو من ما وعد
به المشركون من عذاب الدنيا والاخرة وهو مهتد الى ذلك وان كان مراده جنس
الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك
اصغر وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك اصغر
ونحو ذلك فهذا صاحبه فاته من الامن والاهتدا بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون
الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار فصل ومن هذا الباب لفظ الصلاح
والفساد فاذا اطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر
كما تقدم في اسم الصالح وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى في قصة موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالامس ان تريد الا ان تكون جباراً في الارض وما

تريد أن تكون من المصلحين وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا
تتبع سبيل المفسدين ولكن وقال تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن
مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون والضمير عائد على المنافقين في قوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وهذا مطلق يتناول من
كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي
إنه عنى بهذه الآية قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن أشياخه
الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتناب النواهي والقولان
معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذي صافوا به
الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين وعن أبي العالية ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا
أيضاً عام كالأولين وقولهم إنما نحن مصلحون فسر بإنكار ما أقروا به أي إنما نفعل ما
أمرنا به الرسول وفسر بأن الذي يفعله صلاح ونقصد به الصلاح وكلا القولين
يروى عن ابن عباس وكلاهما حق فإنهم يقولون هذا وهذا يقولون الأول لمن لم يطلع على
بواطنهم ويقولون الثاني لأنفسهم ولمن اطلع على باطنهم لكن الثاني يتناول الأول فإن من
جملة أفعالهم إسرار خلاف ما يظهرون وهم يرون هذا صلاحاً قال مجاهد أرادوا أن
مصافاة الكفار صلاح لا فساد وعن السدي أن فعلنا هذا هو الصلاح وتصديق محمد
فساد وقيل أرادوا أن هذا صلاح في الدنيا فإن الدولة إن كانت للنبي صلى الله عليه
وسلم فقد أمنوا بمتابعته وإن كانت للكفار فقد أمنوهم بمصافاتهم ولأجل القولين قيل
في قوله ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون أي لا يشعرون أن ما فعلوه فساد
لا صلاح وقيل لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم والقول الأول يتناول الثاني فهو
المراد كما يدل عليه لفظ الآية وقال تعالى إن وليي الله وهو يتولى الصالحين وقال قال الذي من الكاتب
موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين وقول يوسف
توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقد يقرن أحدهما بما هو أخص منه كقوله وإذا تولى
سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قيل بالكفر
وقيل بالظلم وكلاهما صحيح وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً
وقد تقدم قوله إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم

ويستحيي

نساءهم إنه كان من المفسدين وقال تعالى من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من
قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً وقتل النفس الأول من
جملة الفساد لكن الحق في القتل لولي المقتول وفي الردة والمحاربة والزنا الحق فيها
لعموم الناس ولهذا يقال هو حق الله ولهذا لا يعفى عن هذا كما يعفى عن الأول لأن فساده
عام قال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا
أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف الآية وقيل سبب نزول هذه الآية العرنيون
الذين ارتدوا وأخذوا المال وقيل سببه ناس معاهدون نقضوا العهد وحاربوا وقيل
المشركون فقد قرن بالمرتدين المحاربين وناقضي العهد المحاربين وبالمشركين المحاربين
وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطاع الطريق من المسلمين والآية تتناول ذلك كله
ولهذا كان من تاب قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء فإنه يسقط عنه حد الله تعالى وقرن
الصلاح والإصلاح بالإيمان في مواضع كثيرة كقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومعلوم أن الإيمان أفضل الإصلاح وأفضل
العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال
إيمان بالله وقال تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقال إلا من
تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة وقال إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال في القذف إلا الذين تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم وقال في السارق فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن
الله يتوب عليه وقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما
ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم في قبول شهادة القاذف أن يصلح وقدروا
ذلك بسنة كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما أجله سنة وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي
إلى البدعة أنه يؤجل سنة كما أجل عمر صبيغ بن عسل وأمثال ما
ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله وكلام كل أحد
بين ظاهر لا يمكن دفعه لكن نقول دلالة لفظ الإيمان على الأعمال مجاز فقوله صلى الله
عليه وسلم الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله
وأدناها إماطة الأذى عن الطريق مجاز وقوله الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه

الى اخره حقيقة وهذا عمدة المرجئة والجهمية والكرامية وكل من لم يدخل الاعمال
في اسم الايمان ونحن نجيب بجوابين احدهما كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز والثاني
ما يختص بهذا الموضع فبتقدير ان يكون احدهما مجازا ما هو الحقيقة من ذلك
من المجاز هل الحقيقة هو المطلق او المقيد او كلاهما حقيقة حتى يعرف ان لفظ الايمان
اذا اطلق على ماذا يحمل فيقال اولا تقسيم الالفاظ الدالة على معانيها الى حقيقة
ومجاز وتقسيم دلالتها او المعاني المدلول عليها ان استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في
المدلول او في الدلالة فان هذا كله قد يقع في كلام المتاخرين ولكن المشهور ان الحقيقة
والمجاز من عوارض الالفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء
القرون الثلثة لم يتكلم به احد من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا احد من
الايمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة والشافعي بل ولا
تكلم به ايمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وابي عمرو بن العلا ونحوهم واول من اول من عرف انه تكلم بالمجاز
عرف انه تكلم بلفظ المجاز ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو
قسيم الحقيقة وانما عنى بمجاز الاية ما يعبر به عن الاية ولهذا من قال من الاصوليين
كابي الحسين البصري وامثاله انه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص اهل
اللغة على ذلك بان يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فقد تكلم بلا علم فانه ظن ان اهل
اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك احد من اهل اللغة ولا من سلف الامة وعلمائها وانما هذا
اصطلاح حادث والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فانه لم يوجد
هذا في كلام احد من اهل الفقه والاصول والتفسير والحديث ونحوهم من
السلف وهذا الشافعي هو اول من جرد الكلام في اصول الفقه لم يقسم
هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له المسايل المبنية
على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز
وكذلك ساير الايمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام احد منهم الا في كلام احمد بن حنبل فانه قال في
كتاب الرد على الجهمية في قوله انا ونحن ونحو ذلك في القران هذا من مجاز اللغة كلام م
يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر ان هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج على
مذهبه من اصحابه من قال ان في القران مجازا كالقاضي ابي يعلى وابن عقيل وابي الخطاب

وغيرهم

وغيرهم واخرون من اكابر اصحابه منعوا ان يكون في القران مجاز كابي الحسن الخرزي
وابي عبد الله بن حامد وابي الفضل التميمي ابن ابي الحسن التميمي وكذلك منع ان يكون في القران
مجاز محمد بن خويز منداد وغيره من المالكية ومنع منه داود بن علي وابنه ابو بكر
ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه تصنيفا وحكى بعض الناس عن احمد في
لا م ذلك روايتين واما ساير الايمة فلم يقل احد منهم ولا من قدماء اصحاب احمد ان في
القران مجازا لا مالك ولا ابو حنيفة ولا الشافعي فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز
انما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت اوايله في المائة الثالثة وما علمته موجودا في المائة
الثانية اللهم الا ان يكون في اواخرها والذين انكروا ان يكون احمد وغيره نطقوا
بهذا التقسيم قالوا ان معنى قول احمد من مجاز اللغة اي مما يجوز في اللغة اي
يجوز في اللغة ان يقول الواحد العظيم الذي له اعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو
ذلك قالوا ولم يرد احمد بذلك ان اللفظ استعمل في غير ما وضع له وقد انكر طايفة
ان يكون في اللغة مجاز لا في القران ولا غيره كابي اسحق الاسفرايني وقال المنازعون له
النزاع معه لفظي فانه اذا سلم ان في اللغة لفظا مستعملا في غير ما وضع له لا
يدل على معناه الا بقرينة فهذا هو المجاز وان لم يسمه مجازا فيقول من ينصره
ان الذين قسموا اللفظ الى حقيقة ومجاز قالوا الحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما
وضع له والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الاسد والحمار اذا اريد بهما
البهيمة واذا اريد بهما الشجاع والبليد وهذا التقسيم والتحديد يستلزم ان
يكون اللفظ قد وضع اولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير
موضوعه ولهذا كان المشهور عند اهل التقسيم ان كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس
لكل حقيقة مجاز فاعترض عليهم بعض متاخريهم وقال اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا
حقيقة ولا مجاز فاذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لا حقيقة له وهذا
كله انما يصح لو علم ان الالفاظ العربية وضعت اولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها
فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال وهذا انما يصح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية
فيدعي ان قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على ان يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل
هذا عاما في جميع اللغات وهذا القول لا نعرف احدا من المسلمين قاله قبل ابي هاشم بن

الجبائي فانه وابا الحسن الاشعري كلاهما قرا على ابي علي الجبائي لكن الاشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الاسماء والاحكام وفي صفات الله تعالى وبين تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه فتنازع الاشعري وابو هاشم في مبدا اللغات فقال ابو هاشم هي اصطلاحية وقال الاشعري هي توقيفية ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسالة فقال اخرون بعضها اصطلاحي وبعضها توقيفي وقال فريق رابع بالوقف والمقصود هنا انه لا يمكن احد ان ينقل عن العرب بل ولا عن امة من الامم انه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الاسما الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وانما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الالفاظ فيما عنوه بها من المعاني فان ادعى مدع انه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل فان هذا لم ينقله احد من الناس ولا يقال نحن نعلم ذلك بالدليل فانه ان لم يكن اصطلاح متقدم لم يمكن الاستعمال قيل ليس الامر كذلك بل نحن نجد ان الله يلهم الحيوان من الاصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمى ذلك منطقا وقولا في قول سليمان علمنا منطق الطير وفي قوله قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وفي قوله يا جبال اوبي معه والطير وكذلك الادميون فالمولود اذا ظهر منه التمييز سمع ابويه او من يربيه ينطق باللفظ ويشير الى المعنى فصار يفهم ان ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى اي اراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظا بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشا بينهم من غير ان يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم بل ولا وقفوه على معاني الاسما وان كان احيانا قد يسال عن مسمى بعض الاشيا فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني الفاظها وان باشر اهلها مدة علم ذلك بلا توقيف من احد نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبل يعرفه فيسميه كما يولد لاحدهم ولد فيسميه اسما اما منقولا واما مرتجلا وقد يكون المسمي واحدا لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه به وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة او يصنف كتابا او يبني مدينة ونحو ذلك فيسميه باسم لانه ليس من الاجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة وقال الله تعالى الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان وقالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وقال الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى

مبدا اللغات

فهو

فهو تعالى يلهم الانسان المنطق كما يلهم غيره وهو تعالى اذا كان قد علم ادم الاسما كلها وعرض المسميات على الملايكة كما اخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم انه لم يعلم ادم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وان تلك اللغات اتصلت الى اولاده ولا يتكلمون الا بها فان دعوى هذا كذب ظاهر فان ادم عليه السلام انما ينقل عنه بنوه وقد اغرق الله تعالى عام الطوفان جميع ذريته الا من في السفينة واهل السفينة انقطعت ذريتهم الا اولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الامم بعدهم فان اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والانواع ما لا يحصيه الا الله والعرب انفسهم لكل قوم لغات لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور ان ينقل هذا جميعه عن اوليك الذين كانوا في السفينة واوليك جميعهم لم يبق لهم نسل وانما النسل لنوح وجميع الناس من اولاده وهم ثلثة سام وحام ويافث كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فلم يجعل باقيا الا ذريته وكما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اولاده ثلثه رواه احمد وغيره ومعلوم ان الثلثة لا يمكن ان ينطقوا بهذا كله ويمتنع تقدم ذلك عنهم فان الذين يعرفون هذه اللغة لا يعرفون هذه واذا كان الناقل ثلثة فهم قد علموا اولادهم واولادهم علموا اولادهم ولو كان كذلك لاتصلت ونحن نجد بني الاب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الاخرى والاب الواحد لا يقال انه علم احد ابنيه لغة وابنه الاخر لغة فان الاب قد لا يكون له الا ابنان واللغات في اولاده اضعاف اضعاف ذلك والذي اجرى الله عليه عادة بني ادم انهم انما يعلمون اولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها او يخاطبهم بها غيرهم فاما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها اولادهم وايضا فانه يوجد بنو ادم يتكلمون بالفاظ ما سمعوها قط من غيرهم والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الاسما التي علمها ادم قولان معروفان عن السلف احدهما انه انما علم اسما من يعقل واحتجوا بقوله ثم عرضهم قالوا وهذا الضمير لا يكون الا لمن يعقل وما لا يعقل يقال فيها عرضها ولهذا قال ابو العالية علمه اسما الملايكة لانه لم يكن حينيذ من يعقل الا الملايكة ولم يكن له ذرية ولا كان ابليس قد انفصل عن الملايكة ولا كان له ذرية وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم علمه اسما ذريته وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم سال ربه ان يريه صور الانبيا من

[illegible] تعرفها

ذريته فرأى فيهم من يبيص فقال يا رب من هذا قال ابنك داود فيكون قد اراه صور ذريته
وبعضهم واسماهم وهذه اسماء اعلام لا اجناس والثاني ان الله علمه اسماء كل شيء وهذا قول
الاكثرين كابن عباس واصحابه قال ابن عباس علمه حتى الفسوة والفسية والقصعة
والقصيعة اراد اسماء الاعراض والاعيان مكبرها ومصغرها والدليل على ذلك ما ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حديث الشفاعة ان الناس يقولون يا
ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك اسماء كل شيء وايضا
فقوله الاسماء كلها لفظ عام موكد فلا يجوز تخصيصه بالدعوى وقوله ثم عرضهم لانه
اجتمع من يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل كما قال فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من
يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع قال عكرمة علمه اسماء الاجناس دون انواعها كقولك
انسان وجن وملك وطاير وقال مقاتل وابن السايب وابن قتيبة علمه اسماء ما خلق في
الارض من الدواب والهوام والطير ومما يدل على ان هذه اللغات ليست متلقاة عن ادم ان
اكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم اسماء خاصة للاولاد والبيوت والاصوات
وغير ذلك مما يضاف الى الحيوان بل انما يستعملون في ذلك الاضافة فلو كان ادم علم الجميع لعلمها
مناسبة وايضا فكل امة ليس لها كتاب ليس في لغتها ايام الاسبوع وانما يوجد في لغتها
اسم اليوم والشهر والسنة لان ذلك عرف بالحس والعقل فوضعت له الاسماء لان
التعبير يتبع التصور واما الاسبوع فلم يعرف الا بالسمع لم يعرف ان الله خلق السماوات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الا باخبار الانبياء الذين شرع لهم
ان يجتمعوا في الاسبوع يوما يعبدون الله فيه ويحفظون به الاسبوع الاول الذي بدا الله
فيه خلق هذا العالم ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلقى عنهم ايام الاسبوع بخلاف
الترك ونحوهم فانه ليس في لغتهم ايام الاسبوع لانهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبروا عنه فعلم
ان الله الهم هذا النوع الانساني ان يعبر عما تصوره ويريده بلفظه وان اول من علم ذلك ابوهم
ادم وهم علموا كما علم وان اختلفت اللغات وقد اوحى الله الى موسى بالعبرية والى محمد
بالعربية والجميع كلام الله وقد بين الله بذلك ما اراد من خلقه وامره وان كانت هذه
اللغة ليست الاخرى مع ان العبرية من اقرب اللغات الى العربية حتى انها اقرب اليها
من لغة بعض العجم الى بعض وبالجملة نحن ليس غرضنا اقامة الدليل على ذلك بل يكفينا

كل امة ليس بايديها كتاب ليس في لغتها ايام الاسبوع

عدم

ان يقال هذا غير معلوم وجوده بل الالهام كاف في النطق باللغات من غير مواضعة
متقدمة واذا سمي هذا توقيفا فليسم توقيفا وحينئذ فمن ادعى وضعا متقدما على
استعمال جميع الاجناس فقد قال ما لا علم له به وانما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ثم هولاء
يقولون تتميز الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ فاذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة
واذا لم يدل الا مع القرينة فهو مجاز وهذا امر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع
متقدم ثم يقال ثانيا هذا التقسيم لا حقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز
به بين هذا وهذا فعلم ان هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل
تكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل وذلك انهم قالوا الحقيقة اللفظ المستعمل
فيما وضع له والمجاز هو المستعمل في غير ما وضع له احتاجوا الى اثبات الوضع السابق
على الاستعمال وهذا يتعذر ثم هم يقسمون الحقيقة الى لغوية وعرفية واكثرهم يقسمها
الى ثلاث لغوية وشرعية وعرفية فالحقيقة العرفية هي ما صار اللفظ دالا فيها على
المعنى بالعرف لا باللغة وذلك المعنى يكون تارة اعم من اللغوي وتارة اخص وتارة يكون مباينا
له لكن بينهما علاقة استعمل لاجلها فالاول مثل لفظ الرقبة والراس ونحوهما كان
يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن والثاني مثل لفظ
الدابة ونحوها كان يستعمل في كل ما دب ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في
ذوات الاربع وفي عرف بعض الناس في ذوات الاربع وفي عرف بعض الناس في الفرس
وفي عرف بعضهم في الحمار والثالث مثل لفظ الغايط والظعينة والراوية والمزادة فان
الغايط في اللغة هو المكان المنخفض من الارض فلما كانوا ينتابونه لقضا الحاجة حوايجهم سموا
ما يخرج من الانسان باسم محله والظعينة اسم للدابة ثم سموا المراة التي تركبها باسمها
ونظاير ذلك والمقصود ان هذه الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة بجماعة تواطوا على نقلها
ولكن تكلم بها بعض الناس واراد بها ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة
عرفية بهذا الاستعمال ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة التي بها التخاطب ثم هم
يعلمون ويقولون انه قد يغلب الاستعمال على بعض الالفاظ فيصير المعنى العرفي اشهر فيه
ولا يدل عند الاطلاق الا عليه فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية واللفظ مستعمل
في هذا الاستعمال الحادث العرفي وهو حقيقة من غير ان يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع

فعلم ان تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وان قالوا نعني بما وضع له ما استعملت فيه اولا فيقال
من اين نعلم ذلك ومن اين نعلم ان هذه الالفاظ التي كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القران
وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شي اخر واذا لم يعلم هذا النفي فلا نعلم انها حقيقه
وهذا خلاف ما اتفقوا عليه وايضا فيلزم من هذا ان لا يقطع بشي من الالفاظ انه حقيقه
وهذا لا يقوله عاقل ثم هولاء الذين يقولون هذا يجي احدهم ياتي الى الفاظ لم يعلم انها استعملت
الا مقيده فينطق بها مجرده عن جميع القيود ثم يدعي ان ذلك هو حقيقتها من غير
ان يعلم انها نطق بها مجرده ولا وضعت مجرده مثل ان يقول حقيقة العين هو العضو المبصر
ثم سميت به عين الشمس والعين النابعه وعين الذهب للمشابهه لكن اكثرهم يقولون ان
هذا من باب المشترك لا من باب الحقيقه والمجاز فيمثل بغيره مثل لفظ الراس يقولون هو حقيقه
في راس الانسان ثم قالوا راس الدرب لاوله وراس العين لمنبعها وراس القوم لسيدهم
وراس الامر لاوله وراس الشهر وراس الحول وامثال ذلك على طريق المجاز وهم لا يجدون
قط ان لفظ الراس استعمل مجردا بل يجدونه استعمل بالقيود في راس الانسان
كقوله تعالى فامسحوا برووسكم وارجلكم الى الكعبين ونحوه وهذا القيد يمنع ان يدخل فيه
تلك المعاني فاذا قيل راس العين وراس الدرب وراس الناس وراس الامر فهذا المقيد
غير ذلك المقيد ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع اللفظ الدال هناك لكن اشتركا في
بعض اللفظ كما تشترك كل الاسما المعروفه في لام التعريف ولو قدر ان الناطق باللغه نطق
بلفظ راس الانسان اولا لان الانسان يتصور راسه قبل غيره والتعبير اولا هو عما يتصوره
اولا فالنطق بهذا المضاف لا يمنع ان ينطق به مضافا الى غيره ثانيا ولا يكون هنا مجاز
كما في ساير المضافات فاذا قيل ابن ادم اولا لم يكن قولنا ابن الفرس وابن الحمار مجازا وكذلك اذا
قيل بنت الانسان لم يكن قولنا بنت الفرس مجازا وكذلك اذا قيل راس الانسان اولا لم يكن
قولنا راس الفرس مجازا وكذلك في ساير المضافات اذا قيل يده او رجله فاذا قيل هو حقيقه
فيما اضيف الى الحيوان قيل ليس جعل هذا الحقيقه باولى من ان يجعل ما اضيف الى الانسان هوم
ثم قد يضاف الى ما لا يتصوره اكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين
باللغه فاذا قيل انه حقيقه في هذا فلان لا يكون حقيقه في راس الجبل والطريق والعين وكذلك ساير
ما يضاف الى الانسان من اعضايه واولاده ومساكنه يضاف مثله الى غيره ويضاف ذلك الى الجمادات

فيقال راس الجبل وراس العين وخطم الجبل اي انفه وفم الوادي وبطن الوادي وظهر
الجبل وبطن الارض وظهرها ويستعمل مع الالف وهو لفظ الظاهر والباطن في امور كثيره
والمعنى في الجميع ان الظاهر لما ظهر فتبين والباطن لما بطن فخفي وسمي ظهر الانسان ظهرا لظهوره
وبطنه بطنا لبطونه فاذا قيل ان هذه حقيقه وذلك مجاز لم يكن هذا اولى من العكس وايضا
من الاسما ما تكلم بها اهل اللغه مفردا كلفظ الانسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيدا بالاضافه
كقولهم انسان العين وابرة الذراع ونحو ذلك وبتقدير ان يكون في اللغه حقيقه ومجاز
فقد ادعى بعضهم ان هذا من المجاز وهو غلط فان المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع
له اولا وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ اخر وصار وضعا اخر بالاضافه فلو
استعمل مضافا في معنى ثم استعمل بتلك الاضافه في غيره كان مجازا بل كان نعلبك وحضرموت اداء
ونحوهما ما ركب تركيب مزج بعد ان كان الاصل فيه الاضافه لا يقال انه مجاز ما لم ينطق
به الا مضافا اولى ان لا يكون مجازا واما من فرق بين الحقيقه والمجاز بان الحقيقه
ما يفيد المعنى مجردا عن القراين والمجاز ما لا يفيد ذلك المعنى الا مع قرينه او قال الحقيقه
ما يفيده اللفظ المطلق والمجاز ما لا يفيد الا مع القيد او قال الحقيقه هو المعنى الذي يسبق
الى الذهن عند الاطلاق والمجاز ما لا يسبق الى الذهن او يقال المجاز ما صح نفيه والحقيقه
ما لم يصح نفيها فانه يقال ما تعني بالتجريد عن القراين والاقتران بالقراين ان عنيت بالقراين
اللفظيه مثل كون الاسم يستعمل مقرونا بالاضافه او لام التعريف وتقييده بكونه فاعلا
ومفعولا ومبتدا وخبرا فلا يوجد قط فلا يوجد قط في الكلام المولف اسم الا مقيدا وكذلك
الفعل ان عني بتقييده انه لا بد له من فاعل وقد يتقيد بالمفعول وظرف الزمان والمكان
والمفعول له ومعه والحال فالفعل لا يستعمل قط الا مقيدا واما الحرف فان الحرف اتي به فابلغ
لمعنى في غيره ففي الجمله لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف الا مقيدا بقيود تزيل
عنه الاطلاق فان كانت القرينه ما يمنع الاطلاق عن كل قيد فليس في الكلام الذي يتكلم به
جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجمله اسميه او فعليه ولهذا كان لفظ
الكلمه والكلام في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا يستعمل الا في المقيد وهو الجمله التامه
اسميه كانت او فعليه او نداييه ان قيل انها قسم ثالث فاما مجرد الاسم او الفعل او الحرف
الذي جا لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلمه وانما يسميه هذا

كلمة اصطلاح نحوي كما سموا بعض الالفاظ فعلا وقسموه الى فعل ماض ومضارع وامر والعرب
لم يسم قط اللفظ فعلا لكن النحاة اصطلحوا على هذا فسموا اللفظ باسم مدلوله فاللفظ
الدال على حدوث فعل في زمن ماض سموه فعلا ماضيا وكذلك سايرها وكذلك حيث وجد في
الكتاب والسنة بل وفي كلام العرب نظمه ونثره لفظ كلمة فانما يراد به المفيد التي
تسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم قالوا
كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وقوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة
الله هي العليا والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وقول النبي صلى الله عليه وسلم
اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل وقوله كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب
الله له بها رضوانه الى يوم القيمه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ
به ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم القيمه وقوله لقد قلت بعدك اربع كلمات
لو وزنت بما قلتيه منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه
سبحان الله رضى نفسه سبحان الله مداد كلماته واذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام
فانه مقيد لا مطلق لم يجز ان يقال اللفظ الحقيقة ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة
تقارنه فان قيل اريد بعض القراين دون بعض قيل اذكر الفصل بين القرينة التي تكون
معها حقيقة والقرينة التي يكون معها مجازا ولن تجد الى ذلك سبيلا بقدرته على
تقسيم صحيح معقول ومما يدل على ذلك ان الناس اختلفوا في العام اذا خص هل يكون
استعماله فيما بقي حقيقة او مجازا وكذلك لفظ الامر اذا اريد به الندب هل يكون حقيقة
او مجازا وفي ذلك قولان لاكثر الطوايف لاصحاب احمد قولان واصحاب الشافعي قولان ولاصحاب
مالك قولان ومن الناس من ظن ان هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل كالصفة والشرط
والغاية والبدل وجعل يحكي في ذلك الاقوال من فصل كما يوجد في كلام طايفة من المصنفين
في اصول الفقه وهذا ما لم يعرف ان احدا قاله فجعل اللفظ العام المقيد بالصفات والغايات
والشروط مجازا بل لما اطلق بعض المصنفين ان اللفظ العام اذا خص يصير مجازا ظن هذا
الناقل انه عنى التخصيص المتصل واوليك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص الا اذا خص بمنفصل

واما المتصل فلا يسمون اللفظ عاما مخصوصا البتة فانه لم يدل الا متصلا والاتصال
منعه العموم وهذا اصطلاح كثير من الاصوليين وهو الصواب لا يقال ان قيده بالشرط
والصفة ونحوهما انه داخل فيما خص من العموم ولا في العام المخصوص لكن يقيد فيقال
واذا كان هذا مجازا فليكن تقييد الفعل المطلق بالمفعول به وبظرف الزمان والمكان مجازا او
بالحال وكذلك كل ما قيد بقيد فيلزم ان يكون الكلام كله مجازا فاين الحقيقة فان قيل يفرق
بين القراين المتصلة والمنفصلة فما كان مع القرينة المتصلة فهو حقيقة وما كان مع المنفصلة
كان مجازا قيل تعني بالمتصل ما كان في اللفظ او ما كان موجودا حين الخطاب فان عنيت الاول
لزم ان يكون ما علم من حال المتكلم او المستمع او قرينة منفصلة فيما استعمل بلام التعريف
لا يعرف فانه كما يقول قال النبي وهو عند المسلمين رسول الله او قال الصديق وهو عندهم ابو بكر
واذا قال الرجل لصاحبه اذهب الى الامير او القاضي او الوالي يريد ما يعرفانه ان يكون مجازا وكذلك
الضمير يعود الى معلوم غير مذكور كقوله انا انزلناه وقوله حتى توارت بالحجاب وامثال
ذلك ان يكون هذا مجازا وهذا لا يقوله احد وايضا فاذا قال الشجاع هذا الاسد فعل اليوم
كذا والبليد هذا الحمار قال اليوم كذا او العالم او جواد هذا البحر جرى منه اليوم كذا ان
يكون حقيقة لان قوله هذا قرينة لفظية ولا يبقى قط مجازا وان قال المتصل اعم من
ذلك وهو ما كان موجودا حين الخطاب قيل له فهذا اشد عليك من الاول فان كل
متكلم بالمجاز لا بد ان يقترن به حال الخطاب ما يبين مراده والا لم يجز التكلم بمعان
قيل انا نجوز تاخير البيان عن مورد الخطاب الى وقت الحاجة قيل اكثر الناس لا يجوزون ان
يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى الا اذا بين وانما يجوزون تاخير بيان ما لم
يدل اللفظ عليه كالمجملات ثم يقول اذا جوزت تاخير البيان فالبيان قد يحصل بجملة تامة
وبافعال من الرسول وبغير ذلك ولا يكون البيان المتاخر الا مستقلا بنفسه لا يكون مما
يجب اقترانه بغيره فان جعلت هذا مجازا لزم ان يكون ما يحتاج في العمل به الى بيان مجازا
كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ثم يقال هب ان هذا جايز عقلا لكن
ليس واقعا في الشريعة اصلا وجميع ما يذكر من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه فان الذين
قالوا الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه احتجوا بقوله ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة وادعوا انها كانت معينة واخر بيان التعيين وهذا خلاف ما استفاض عن

كما يخص بمنفصل وهذا العبد [illegible] تخصيص [illegible] [illegible]

السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان من انهم امروا ببقرة مطلقة فلو اخذوا اي
بقرة من البقر فذبحوها اجزا عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاية نكرة في سياق
الاثبات فهي مطلقة والقران يدل سياقه على ان الله ذمهم على السوال بما هي ولو كان المامور به
معينا لما كانوا ملومين ثم ان مثل هذا لم يقع قط في امر الله ورسوله ان يامر عباده بشي
معين ويبهمه عليهم مع تعذره ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء واحتجوا بان
الله اخبر بان لفظ الصلاة والزكاة والحج ان هذه الالفاظ لها معاني في اللغة بخلاف الشرع
وهذا غلط فان الله انما امرهم بالصلاة بعد ان عرفوا المامور به وكذلك الصيام والحج ولم يخاطب
الله قط بان شي من هذه المامورات ولبسط هذه المسالة موضع اخر واما قول
من يقول ان الحقيقة ما يسبق الى الذهن عند الاطلاق فمن افسد الاقوال فانه يقال اذا كان
اللفظ لم ينطق به الا مقيدا فانه يسبق الى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع واما
اذا اطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقا قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال ان الذهن
يسبق اليه ام لا وايضا فاي ذهن فان العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه من
اللفظ ما لا يسبق الى ذهن النبطي الذي صار يستعمل الالفاظ في غير معانيها ومن هنا غلط كثير
من الناس فانهم قد تعودوا ما اعتادوه اما من خطاب عامتهم واما من خطاب علمائهم باستعمال
اللفظ في معنى فاذا سمعوه في القران والحديث ظنوا انه مستعمل في ذلك المعنى فيحملون
كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعادتهم الحادثة وهذا مما دخل به الغلط على طوائف بل
الواجب ان تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القران والسنة وما كان الصحابة
يفهمون من الرسول عند سماع تلك الالفاظ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله
ورسوله لا بما حدث بعد ذلك وايضا فقد بينا في غير هذا الموضع ان الله ورسوله
لم يدع شيا من القران والحديث الا بين معناه للمخاطبين ولم يحوجهم الى شي اخر كما قد
بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع فقد تبين ان ما يدعيه هولاء من اللفظ المطلق من جميع
القيود لا يوجد الا مقدرا في الاذهان لا موجودا في الكلام المستعمل كما ان ما يدعيه المنطقيون
من المعنى المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدرا في الذهن لا يوجد في الخارج شي موجود
خارج عن كل قيد ولهذا كان ما يدعونه من تقسيم العلم الى تصور وتصديق وان التصور
هو تصور المعنى الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تتركب

منها الانواع وانها امور مطلقة عن كل قيد لا توجد وما يدعونه من ان وجود واجب
الوجود هو وجود مطلق عن كل امر ثبوتي لا يوجد فهذه المطلقات عن جميع القيود
ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم فانه بسبب ظن وجودها ضل طوائف في العقليات
والسمعيات بل اذا قال العلماء مطلق ومقيد انما يعنون به مطلق عن ذلك القيد بذلك القيد ومعبد ؟
كما يقولون الرقبة مطلقة في اية كفارة اليمين ومقيدة في اية القتل اي مطلقة عن قيد
الايمان والا فقد قيل فتحرير رقبة فقيدت بانها رقبة واحدة وانها موجودة وانها
تقبل التحرير والذين يقولون المطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوحدة ولا كثرة
ولا وجود ولا عدم ولا غير ذلك بل هو الحقيقة من حيث هي هي كما يذكره الرازي تلقيا له
عن ابن سينا وامثاله من المتفلسفة وقد بسطنا الكلام في هذا الاطلاق والتقييد
والكليات والجزويات في مواضع غير هذا وبينا من غلط في ذلك ما ليس هذا موضعه هولاء ؟
وانما المقصود هنا الاطلاق اللفظي وهو ان يتكلم باللفظ مطلقا عن كل قيد وهذا لا وجود
له وحينئذ فلا يتكلم احد الا بكلام مولف مقيد مرتبط بعضه ببعض فتكون تلك
القيود ممتنعة الاطلاق فتبين انه ليس لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول
يمكن به التمييز بين نوعين فعلم ان هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في
كتاب الله وسنة رسوله فانه مقيد بما يبين معناه فليس في شي من ذلك مجاز بل كله حقيقة
ولهذا لما ادعى كثير من المتاخرين ان في القران مجازا وذكروا ما يشهد لهم رد عليهم المنازعون
جميع ما ذكروه فمن اشهر ما ذكروه قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض قالوا والجدار
ليس بحيوان والارادة انما تكون للحيوان فاستعمالها في ميل الجدار مجاز فقيل لهم
لفظ الارادة قد يستعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحي وفي الميل الذي
لا شعور فيه وهو ميل الجماد وهو من مشهور اللغة يقال هذا السقف يريد
ان يقع وهذه الارض تريد ان تحرث وهذا الزرع يريد ان يسقى وهذا الثمر يريد
ان يقطف وهذا الثوب يريد ان يغسل وامثال ذلك واللفظ اذا استعمل في معنيين
فصاعدا فاما ان يجعل حقيقة في احدهما مجازا في الاخر او حقيقة فيما يختص به كل منهما
فيكون مشتركا اشتراكا لفظيا او حقيقة في القدر المشترك بينهما وهي الاسماء المتواطية
وهي الاسماء العامة كلها وعلى الاول يلزم المجاز وعلى الثاني يلزم الاشتراك وكلاهما خلاف

الاصل فوجب ان تجعل من المتواطيه وبهذا يعرف عموم الاسما العامة كلها والا فلو قال
قايل هو في مثل الجماد حقيقه وفي مثل الحيوان مجاز لم يكن بين الدعوتين فرق الا كثره
الاستعمال في مثل الحيوان لكن يستعمل مقيدا بما يبين انه اريد مثل الحيوان وهنا استعمل
مقيدا بما يبين انه اريد مثل الجماد والقدر المشترك بين مسميات الاسما المتواطيه
امر كلي عام لا يوجد كليا عاما الا في الذهن وهو مورد التقسيم بين الانواع لكن ذلك المعنى
العام الكلي كان اهل اللغه لا يحتاجون الى التعبير عنه لانهم انما يحتاجون الى ما يوجد
في الخارج والى ما يوجد في القلوب في العاده وما لا يكون في الخارج الا مضافا الى غيره لا يوجد
في الذهن مجردا بخلاف لفظ الانسان والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف
تعودت الاذهان تصور مسمى الانسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الاراده ومسمى
العلم ومسمى القدره ومسمى الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد له في اللغه لفظ مطلق يدل
عليه بل لا يوجد لفظ الاراده الا مقيدا بالمريد ولا لفظ العلم الا مقيدا بالعالم ولا لفظ القدره
الا مقيدا بالقادر بل وهكذا سائر الاعراض لما لم يوجد الا في محالها مقيده بها لم يكن لها في اللغه
لفظ الا كذلك فلا يوجد في اللغه لفظ السواد والبياض والطول والقصر الا مقيدا بالاسود
والابيض والطويل والقصير ونحو ذلك لا مجردا عن كل قيد وانما يوجد مجردا في كلام المصنفين
في اللغه لانهم فهموا من كلام اهل اللغه ما يريدونه من القدر المشترك ومنه قوله تعالى
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فان من الناس من يقول الذوق حقيقه في الذوق
بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل
لفظ الذوق في لغة العرب والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقال ذق انك انت العزيز الكريم وقال فذاقت وبال
امرها وكان عاقبة امرها وقال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وفذوقوا عذابي
ونذر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا وفي بعض الادعيه اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل
في كل ما يحس به ويجد الما ولذته فدعوى المدعي اختصاص الذوق بما يكون بالفم تحكم منه
لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما

يدل على انه ذوق بالفم واذا كان الذوق مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه او بظاهره
حتى الا الحميم يقال ذاقه فالثوب اذا كان باردا او حارا يقال ذقت حره وبرده واما
لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يغشى الانسان ويلتبس به قال تعالى وجعلنا الليل
لباسا وقال ولباس التقوى ذلك خير وقال هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومنه يقال لبس
الحق بالباطل اذا خلط به حتى غشاه فلم يتميز فالجوع الذي يشمل المه جميع الجايع
نفسه وبدنه وكذلك الخوف الذي يلبس البدن لو قيل فاذاقها الله الجوع والخوف لم
يدل ذلك على انه شامل لجميع اجزاء الجايع بخلاف ما اذا قيل لباس الخوف والجوع ولو
قال فالبسهم لم يكن فيه ما يدل على انهم ذاقوا ما يولمهم الا بالعقل من حيث انه يعرفون
الجايع الخايف ما لم يتألم بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس
بالمولم واذا اضيف الى الملذ دل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان
من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فلم يوصف نعيم الجنه
بالذوق قيل لان الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه
وان لم ياكله واهل الجنه نعيمهم كامل لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في تام
النفي قال عن اهل الجنه لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وكذلك ما ادعوا انه مجاز
في القران لفظ المكر والاستهزا والسخريه المضاف الى الله وزعموا انه مسمى باسم
ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الاسما اذا فعلت بمن لا يستحق
العقوبه كانت ظلما له واما اذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة بمثل فعله كانت عدلا كما
قال تعالى كذلك كدنا ليوسف فكاد له كما كاده اخوته كما قال له ابوه لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم وقال الذين يلمزون
المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر
الله منهم ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس انه
يفتح لهم باب من الجنه وهم في النار فيسرعون اليه فيغلق ثم يفتح لهم باب اخر
فيسرعون اليه فيغلق فيضحك منهم المومنون قال تعالى فاليوم الذين امنوا من
الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وعن الحسن البصري

[illegible]

وقال

جهدهم

اذا كان يوم القيمة خمدت النار لهم كما تخمد الاهالة من القدر فيمشون فيخسف بهم وعن مقاتل
اذا ضرب بينهم وبين المومنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
فيبقون في الظلمة فيقال لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا وقال بعضهم استهزاوه
استدراجه لهم وقيل ايقاع استهزايهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم وقيل انه يظهر
لهم في الدنيا خلاف ما ابطن في الاخره وقيل التجهيل لهم وتخطيتهم فيما فعلوه هذا كله حق وهو
استهزا بهم حقيقة ومن الامثلة المشهوره لمن يثبت المجاز في القران قوله واسال القريه
قالوا المراد به اهلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فقيل لهم لفظ القريه
والمدينه والنهر والميزاب وامثال هذه الامور التي فيها الحال والمحل وكلاهما داخل في الاسم
ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتاره على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت
النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الما ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب
وهو الما وكذلك القريه قال تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة وقوله
وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا بياتا او هم قايلون فما كان دعواهم اذ جاهم باسنا الا ان
قالوا انا كنا ظالمين وقال في ايه اخرى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون
فجعل القرى هم السكان وقال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم وهم السكان وكذلك قوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم
موعدا وقال تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فهذه المكان لا السكان
لكن لا بد ان يلحظ انه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى ماخوذ من القرى
وهو الجمع ومنه قولهم قريت الما في الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول
الجسد والروح ثم الاحكام يتناول هذا تاره وهذا تاره لتلازمهما فكذلك القرية اذا
عذب اهلها خربت واذا خربت كان عذابا لاهلها فما يصيب احدهما من الشر ينال
الاخر كما ينال البدن والروح ما يصيب احدهما فقوله واسال القريه مثل قوله قرية
كانت امنة مطمينة فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف فهذا تقدير
ان يكون في اللغة مجاز فلا مجاز في القران بل وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع
محدث لم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظيا بل يقال
نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق تبين انها

بلغ

فروق

فروق باطله وكلما ذكر بعضهم فرقا ابطله الثاني كما يدعي المنطقيون ان الصفات القايمة
بالموصوفات تنقسم اللازمة لها الى داخل في ماهيتها الثابتة في الخارج والى خارج عنها
لازم للماهية ولازم خارج للموجود وذكروا ثلثة فروق كلها باطلة لان هذا التقسيم
باطل لا حقيقة له بل ما يجعلونه داخلا يمكن جعله خارجا وبالعكس كما قد بسط في موضعه
وقولهم اللفظ ان دل بلا قرينة فهو حقيقة وان لم يدل الا معها فهو مجاز قد تبين
بطلانه وانه ليس في الالفاظ الداله ما يدل مجردا عن جميع القراين ولا فيها ما يحتاج الى
جميع القراين واشهر امثلة المجاز لفظ الاسد والحمار والبحر ونحو ذلك مما يقولون
انه استعير للشجاع والبليد والجواد وهذه لا تستعمل الا مولفه مركبه مقيده بقيود
لفظيه كما تستعمل الحقيقه كقول ابي بكر الصديق عن ابي قتادة لما طلب غيره سلب
القتيل لاها الله اذا يعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه
فقوله يعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله وصف له بالقوة بالجهاد في سبيله
وقد عينه تعيينا ازال اللبس وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان خالدا سيف
سله الله على المشركين وامثال ذلك وان قال القايل القراين اللفظيه موضوعه
ودلالتها على المعنى حقيقة لكن القراين الحاليه مجاز قيل اللفظ لا يستعمل قط
الا مقيدا بقيود لفظيه موضوعه والحال حال المتكلم والمستمع لا بد من اعتباره في جميع
الكلام فانه اذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم اذا لم يعرف لانه بذلك يعرف
عادته في خطابه واللفظ انما يدل اذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم وهي عادته وعرفه
التي يعتادها في خطابه ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية ارادية اختيارية
فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى فاذا اعتاد ان يعبر باللفظ عن المعنى كانت
تلك لغته ولهذا كل من كان له عناية بالفاظ الرسول ومراده بها عرف عادته
في خطابه وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره ولهذا ينبغي ان يقصد اذا ذكر لفظ
من القران والحديث ان يذكر نظاير ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف
بذلك لغة القران والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده
وهي العادة المعروفه من كلامه ثم اذا كان لذلك نظاير في كلام غيره وكانت النظاير كثيره
عرف ان تلك العاده واللغه مشتركه عامه لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه

ولا يجوز ان يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب اصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتفا ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة وان جاز في الاستعمال فانه لا يجوز في الاستدلال فانه قد يجوز للانسان ان يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع لكن لا يجوز ان يعمد الى الفاظ قد عرف استعمالها في معاني فيحملها على غير تلك المعاني ويقول انهم ارادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فاذا قال الجار احق بسقبه فالجار هو الجار ليس هو الشريك فان هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضي انه يستحق الشفعة لكن يدل على ان البيع له اولى واما الخمر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة انها كانت اسما لكل مسكر لم يسم النبيذ خمرا بالقياس وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقا كما قالت عايشة سارق موتانا كسارق احيانا واللايط كان عندهم اغلظ من الزاني بالمراة ولا بد في تفسير القران والحديث من ان يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على ان نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الالفاظ على المعاني فان عامة ضلال اهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون انه دال عليه ولا يكون الامر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازا كما اصاب المرجية في اسم الايمان جعلوا لفظ الايمان حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للاعمال مجازا فيقال ان لم يصح التقسيم الى حقيقة ومجاز فلا حاجة الى هذا وان صح فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لان الحقيقة هي اللفظ الذي يدل باطلاقه بلا قرينة والمجاز انما يدل بالقرينة وقد تبين ان لفظ الايمان حيث اطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الاعمال فانما يدعى خروجها منه عند التقييد وهذا يدل على ان الحقيقة قوله الايمان بضع وسبعون شعبة واما حديث جبريل فان كان اراد بالايمان ما ذكر مع الاسلام فهو كذلك وهذا هو الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم قطعا كما انه لما ذكر الاحسان اراد الاحسان مع الايمان والاسلام لم يرد ان الاحسان مجرد عن الايمان والاسلام ولو قدر انه اريد بلفظ الايمان مجرد التصديق فلم يقع ذلك الا مع قرينة فيلزم ان يكون مجازا وهذا معلوم بالضرورة لا يمكن المنازعة فيه بعد تدبر القران والحديث بخلاف

كون

كون لفظ الايمان في اللغة مرادفا للتصديق ودعوى ان الشارع لم يغيره ولم ينقله بل اراد به ما كان يريده اهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد فان هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض اليقين كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وانهما من افسد الكلام وايضا فليس لفظ الايمان في دلالته على الاعمال المامور بها بدون لفظ الصلاة والزكاة والصيام والحج في دلالته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سوا قيل ان الشارع نقله او زاد الحكم دون الاسم او زاد الاسم وتصرف فيه تصرف اهل العرف او خاطب بالاسم مقيدا لا مطلقا فان قيل الصلوة والحج ونحوهما اذا ترك بعضها بطلت بخلاف الايمان فانه لا يبطل عند الصحابة واهل السنة والجماعة بمجرد الذنب قيل ان اريد بالبطلان انه لا تبرا الذمة منها كلها فكذلك الايمان الواجب اذا ترك منه شيا لم تبرا الذمة منه كله وان اريد به وجوب الاعادة فهذا ليس على الاطلاق فان في الحج واجبات اذا تركها لم يعد بل تجبر بدم وكذلك في الصلاة عند اكثر العلما اذا تركها سهوا او مطلقا وجبت الاعادة فانما تجب اذا امكنت الاعادة والا فما تعذرت اعادته يبقى مطالبا به كالجمعة ونحوها وان اريد بذلك انه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المسي في صلاته انه اذا لم يتمها يثاب على ما فعله ولا يكون بمنزلة من لم يصل وفي عدة احاديث ان الفرايض تكمل يوم القيمة من النوافل فاذا كانت الفرايض مجبورة بثواب النوافل دل على انه يعتد له بما فعلها وكذلك الايمان فانه اذا ترك منه شيا كان عليه فعله ان كان محرما تاب منه وان كان واجبا فعله فاذا لم يفعله لم تبرا ذمته منه واثيب على ما فعله كساير العبادات وقد دلت النصوص على انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد عدلت المرجية في هذا الاصل عن بيان الكتاب والسنة واقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان واعتمدوا على رايهم وعلى ما تاولوه بفهمهم اللغة وهذه طريقة اهل البدع ولهذا كان الامام احمد يقول اكثر ما يخطي الناس من جهة التاويل والقياس ولهذا تجد المعتزلة والمرجية والرافضة وغيرهم من اهل البدع يفسرون القران برايهم ومعقولهم وما تاولوه من اللغة ولهذا تجدهم لا يعتمدون على احاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وايمة المسلمين فلا يعتمدون على السنة ولا على اجماع السلف واثارهم وانما يعتمدون

على كتب الادب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة ايضا انما ياخذون
ما في كتب الفلسفة وكتب الادب واللغة واما كتب القران والحديث والاثار فلا يلتفتون
اليها هولاء يعرضون عن نصوص الانبيا اذ هي عندهم لا تفيد العلم واوليك يتاولون القران
برايهم وفهمهم بلا اثار عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد ذكرنا كلام احمد وغيره
في انكار هذا وجعله طريقة اهل البدع واذا تدبرت حججهم وجدت دعاوي لا يقوم
عليها دليل والقاضي ابو بكر بن الباقلاني نصر قول جهم في مسالة الايمان متابعة لابي الحسن
الاشعري وكذلك اكثر اصحابه فاما ابو العباس القلانسي وابو علي الثقفي وابو عبد
الله بن مجاهد شيخ القاضي ابي بكر صاحب ابي الحسن فانهم نصروا مذهب السلف
وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول
جميعا موافقة لمن قاله من فقها الكوفيين كحماد بن ابي سليمان ومن اتبعه مثل ابي
حنيفة وغيره وابو الحسن الاشعري نصر قول جهم في
الايمان مع انه نصر المشهور عن اهل السنة من انه يستثنى في الايمان فيقول انا مومن
ان شا الله لانه نصر مذهب اهل السنة في انه لا يكفر احد من اهل القبلة ولا يخلدون في
النار ويقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك وهو دايما ينظر في المسايل الذي اشتهر فيها
النزاع بين اهل الحديث وغيرهم من اهل الحديث لكنه لم يكن خبيرا بماخذهم فينظره على
ما يراه هو من الاصول التي تلقاها عن غيرهم فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هولاء وهولاء
كما فعل في مسالة الايمان ونصر فيه قول جهم مع نصره للاستثنا ولهذا خالفه كثير من
اصحابه في الاستثنا كما سنذكر ماخذه في ذلك واتبعه اكثر اصحابه على نصر قول جهم
في ذلك ومن لم يقف الا على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وايمة السنة في هذا
الباب يظن ان ما ذكره هو قول اهل السنة وهو قول لم يقله احد من ايمة السنة بل قد كفر قدم
وكيع واحمد بن حنبل وغيرهما من قاله بقول جهم في الايمان الذي نصره ابو الحسن وهو
عندهم شر من قول المرجية ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة
ونحوهم يطعن في كثير ممن ينتسب اليه يقولون الشافعي لم يكن فيلسوفا ولا مرجيا
وهولاء فلاسفة شعرية وفلاسفة مرجية وغرضهم ذم الارجا ونحن نذكر
عمدتهم لكونه مشهورا عند كثير من المتاخرين المنتسبين الى السنة قال القاضي ابو بكر في

التمهيد

التمهيد فان قال قايل فخبرونا ما الايمان عندكم قيل الايمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق
يوجد بالقلب فان قال فما الدليل على ما قلتم قيل اجماع اهل اللغة قاطبة على ان الايمان قبل
نزول القران وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة ايمانا غير
ذلك ويدل على ذلك قوله وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يومن بالشفاعة
وفلان لا يومن بعذاب القبر اي لا يصدق بذلك فوجب ان الايمان في الشريعة هو الايمان
المعروف في اللغة لان الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الاخبار بفعله
وتوفرت دواعي الامة على نقله ولغلب اظهاره على كتمانه وفي علمنا بانه لم يفعل ذلك بل اقر
اسما الاشياء والتخاطب باسره على ما كان دليل على ان الايمان في الشريعة هو الايمان اللغوي
ومما يبين ذلك قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقوله انا جعلناه قرانا عربيا فاخبر انه
انزل القران بلغة العرب وسمى الاسما بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الايات عن
ظواهرها بغير حجة لا سيما مع القول بالعموم وحصول التوقيف على ان القران نزل بلغتهم
فدل على ما قلناه من ان الايمان ما وصفناه دون ما سواه من ساير الطاعات من النوافل
والفروضات هذا لفظه وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسالة الايمان وللجمهور
من اهل السنة وغيرهم عن هذا اجوبة احدها قول من ينازعه في ان الايمان في اللغة
مرادف للتصديق ويقول هو بمعنى الاقرار وغيره والثاني قول من يقول وان كان في
اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان وساير الجوارح كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق ذلك او يكذبه والثالث انه ليس هو
مطلق التصديق بل تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلا للفظ
ولا تغييرا له فان الله لم يامرنا بايمان مطلق بل بايمان خاص وصفه وبينه الرابع ان يقال
وان كان هو التصديق فالتصديق التام القايم بالقلب يستلزم ما وجب من اعمال القلب
والجوارح فان هذه لوازم الايمان التام وانتفا اللازم دليل على انتفا الملزوم ونقول ان هذه
اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه اخرى الخامس قول من يقول
ان اللفظ باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه احكاما السادس قول من يقول
ان الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي السابع
قول من يقول انه منقول فهذه سبعة اقوال الاول قول من ينازع في ان

معناه في اللغة التصديق فليس هو التصديق بل بمعنى الإقرار وغيره فقوله إجماع أهل
اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق فيقال له من نقل هذا الإجماع
ومن أين يعلم هذا الإجماع وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع الثاني أن يقال أتعني بأهل اللغة
نقلتها كأبي عمرو والأصمعي والخليل ونحوهم أو المتكلمين بها فإن عنيت الأول فهؤلاء
لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم
وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالإسناد ولا يعلم فيما نقلوه
لفظ الإيمان فضلا عن أن يكونوا أجمعوا عليه وإن عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام
فهؤلاء لم نشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك الثالث أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم
أنهم قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وإن قدر أنه قاله واحد أو اثنان
فليس هذا إجماعا الرابع أن يقال إن هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا
وكذا وإنما ينقلون الكلام المسموع من العرب وأنه يفهم منه كذا وكذا وحينئذ فلو قدر
أنهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق لم يكن ذلك أبلغ من
نقل المسلمين القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه
أريد به معنى ولم يرد فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى الخامس أنه لو قدر
أنهم قالوا هذا فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر والتواتر من شرطه استواء الطرفين
والوسط وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن أنهم كانوا يعرفون
للإيمان معنى غير التصديق فإن قيل هذا يقدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن قيل
فليكن ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل
نزول القرآن والقرآن نزل بلغة قريش الذين خوطبوا به كان عربيا وقد فهموا ما
أريد به وهم الصحابة ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا
فلم يبق بنا حاجة إلى أن يتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن لكن لما تواتر
القرآن لفظا ومعنى وعرفنا أنه نزل بلغتهم عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السماء والأرض والليل
والنهار والشمس والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن وإلا فلو كلفنا نقلا متواترا لآحاد
هذه الألفاظ من غير القرآن لتعذر علينا ذلك في جميع الألفاظ لاسيما إذا كان المطلوب أن
جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى فإن هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني القرآن

ليس

ليس موقوفا على شيء من ذلك بل الصحابة بلغوا معاني القرآن كما بلغوا لفظه ولو قدرنا
أن قوما سمعوا كلاما أعجميا وترجموه لنا بلغتهم لم نحتج إلى معرفة اللغة التي خوطبوا بها
أولا السادس أنه لم يذكر شاهدا من كلام العرب على ما ادعاه عليهم وإنما استدل
من غير القرآن بقول الناس فلان يؤمن بالشفاعة وفلان يؤمن بالجنة والنار وفلان يؤمن
بعذاب القبر وفلان لا يؤمن بذلك ومعلوم أن هذا ليس من كلام العرب قبل نزول
القرآن بل هو مما تكلموا به بعد عصر الصحابة لما صار من أهل البدع من يكذبون
بالشفاعة وعذاب القبر ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله فلان يؤمن بالجنة والنار
وفلان لا يؤمن بذلك والقائل لذلك وإن كان تصديق القلب داخلا في مراده فليس مراده
ذلك وحده بل مراده التصديق بالقلب واللسان فإن مجرد تصديق القلب بدون اللسان
لا يعلم حتى يخبر به عنه السابع أن يقال من قال ذلك فليس مراده التصديق بما يرجى ويخاف
بدون خوف ولا رجاء بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ويصدق بالشفاعة ويرجوها
وإلا فلو صدق بأنه يعذب في قبره ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلا لم يسموه مؤمنا
به كما أنهم لا يسمون مؤمنا بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف النار دون المعرض
عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق ولهذا لا يسمون إبليس مؤمنا بالله وإن كان مصدقا
بوجوده وربوبيته ولا يسمون فرعون مؤمنا وإن كان عالما بأن الله بعث موسى
وأنه هو الذي أنزل الآيات وقد استيقنت بها أنفسهم مع جحدهم لها بألسنتهم
ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وإن كانوا يعرفون أنه حق كما يعرفون أبناءهم
فلا يوجد قط في كلام العرب أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى ويجب حبه وتعظيمه
وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يخافه ولا يرجوه بل يجحد به ويكذب بلسانه أنهم يقولون
هو مؤمن به بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق
به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا هو مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد
واحد يدل على ما ادعوه وقوله وما أنت بمؤمن لنا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع
فإن هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن
فإن صحة المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر قد بسطناه في موضعه
الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة إيمانا غير ذلك من أين له هذا النفي الذي لا يمكن

الاحاطه به بل هو قول بلا علم التاسع قول من نفوا اصل الايمان ماخوذ من الامن كما سياتي
ان شاء الله وقد نقلوا في اللغه الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ ابو البيان
في قوله

الوجه العاشر انه لو فرض ان الايمان في اللغه

التصديق فمعلوم ان الايمان ليس هو التصديق بكل شي بل بشي مخصوص وهو ما اخبر
به الرسول صلى الله عليه وسلم وحينيذ فيكون الايمان في كلام الشارع اخص من الايمان
في اللغه ومعلوم ان الخاص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان اذا اخذ
بعض انواعه وهو الانسان كان فيه المعنى العام ومعنى الخصوصيه وذلك المجموع ليس
هو المعنى العام فالتصديق الذي هو الايمان ادنى احواله ان يكون نوعا من التصديق
العام فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون
الايمان في كلام الشارع مولفا من العام والخاص كالانسان الموصوف بانه حيوان وانه ناطق
الحادي عشر ان القران ليس فيه ذكر ايمان مطلق غير مفسر بل لفظ الايمان فيه
اما مقيد واما مطلق مفسر فالمقيد كقوله يومنون بالغيب وقوله فما امن لموسى الا
ذريه من قومه والمطلق المفسر كقوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
الايه وقوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اوليك هم الصادقون وبعود الى قوله فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وامثال هذه الايات
وكل ايمان مطلق في القران قد بين فيه انه لا يكون الرجل مومنا الا بالعمل مع التصديق فقد
بين القران ان الايمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاه والزكاه
والصيام والحج فان قيل تلك الاسما باقيه ولكن ضم الى المسمى اعمالا في الحكم لا في الاسم كما يقوله القاضي
ابو يعلى وغيره قيل ان كان هذا صحيحا قيل مثله في الايمان وقد اورد هذا السوال بعضهم
ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم ان الايمان لم يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القران
والسنه مملو بما يدل على ان الرجل لا يثبت له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق وهذا في
القران اكثر بكثير من معنى الصلوه والزكاه فان تلك انما فسرتها السنه والايمان
بين معناه الكتاب والسنه واجماع السلف الثاني عشر انه اذا قيل ان الشارع
خاطب الناس بلغة العرب فانما خاطبهم بلغتهم العرفيه وقد جرى عرفهم ان الاسم يكون

مطلقا

مطلقا وعاما ثم يدخل التخصيص [illegible] كما يقولون [illegible]
[illegible] فاذا [illegible] الاسم [illegible]
[illegible] خصوص [illegible] الايمان [illegible]
[illegible] الكتاب القران الايمان الذي [illegible]
[illegible] التصديق [illegible]
[illegible] تصديق القلب واللسان [illegible]
[illegible] التصديق [illegible] ورسوله ثم لم يرتابوا
المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وقوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
[illegible]
الكتاب والسنه [illegible]
[illegible]
[illegible] هذا الوجه [illegible] في القران والسنه [illegible]
[illegible] الثالث عشر [illegible]
اراد الصلاه والزكاه والصيام والحج [illegible] المعروفه [illegible]
وسنه رسوله [illegible]
في القران والسنه [illegible]
[illegible] الجنه [illegible]
[illegible]

انه عربي عن ظاهرها فيقال له الايات التي فسرت المعين وسلبت الايمان عمن لم يعمل
واصرح واكثر من هذه الايات ثم اذا دلت انه عربي فما ذكر لا يخرجه عن كونه عربيا ولهذا
لما خاطبهم بلفظ الصلاه والحج وغير ذلك لم يقولوا هذا ليس بعربي بل خاطبهم باسم النافق وقد
ذكر اهل اللغه ان هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهليه ولم يقولوا انه ليس بعربي لان النافق
مشتق من نفق اذا خرج فاذا كان اللفظ مشتقا من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت
عادتهم في لغتهم لم يخرج ذلك عن كونه عربيا الوجه الخامس عشر انه لو فرض
ان هذه الالفاظ ليست عربيه فليس تخصيص عموم هذه الالفاظ باعظم من اخراج لفظ
الايمان عما دل عليه الكتاب والسنه واجماع السلف فان النصوص التي سلبت الايمان عمن
لا يحب الله ورسوله ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيا من الواجبات ولا يترك شيا
من المحرم كثيره صريحه فاذا قدر انها عارضها ايه كان تخصيص اللفظ القليل العام
اولى من رد النصوص الكثيره الصريحه السادس عشر ان هولاء واتباعهم في
الفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون الرسول وقفنا على معاني الايمان
وبينه لنا وعلمنا مراده منه بالاضطرار وعلمنا مراده علما ضروريا ان من قيل انه صدق
ولم يتكلم بلسانه بالايمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا احب الله ورسوله ولا خاف
الله بل كان مبغضا للرسول معاديا له يقاتله ان هذا ليس بمومن كما علمنا ان الكفار من
المشركين واهل الكتاب الذين كانوا يعلمون انه رسول الله وقتلوا الذين معه كانوا
عنده كفارا لا مومنين فهذا معلوم عندنا بالاضطرار اكثر من علمنا بان القران كله
ليس فيه لفظ غير عربي فلو قدر التعارض لكان تقديم ذلك العلم الضروري اولى فان
قالوا من علم ان الرسول كفره علم انتفا التصديق من قلبه قيل لهم هذه مكابره ان
ارادوا انهم كانوا شاكين مرتابين واما ان عني التصديق الذي لم يحصل معه عمل
فهو ناقص كالمعدوم فهذا صحيح ثم انما يثبت اذا ثبت ان الايمان مجرد تصديق
القلب وعلمه وذلك انما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا فلا تثبت الدعوى
بالدعوى مع كفر صاحبها ثم يقال قد علمنا بالاضطرار ان اليهود وغيرهم كانوا يعرفون
ان محمدا رسول الله وكان يكفرهم فقد علمنا من دينه ضروره انه يكفر الشخص
مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب اذا لم يعمل بهذا التصديق بحيث يحبه

ويعظمه

ويسلم لاجابه ومما يعارضونه ان يقال هذا الذي ذكرتموه ان كان صحيحا فهو
ادل على قول المرجيه بل على قول الكراميه على قولكم وذلك لان الايمان اذا كان
هو التصديق كما ذكرتم فالتصديق نوع من انواع الكلام فاستعمال لفظ الكلام
والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ بل في اللفظ الدال على المعنى اكثر في اللغه من استعماله
في المعنى المجرد عن اللفظ بل لا يوجد قط اطلاق اسم الكلام ولا انواعه كالخبر والتصديق
والتكذيب والامر والنهي على مجرد المعنى من غير شي يقترن به من عباره ولا اشاره
ولا غيرهما وانما يستعمل مقيدا واذا كان الله انما انزل القران بلغه العرب فهي لا
تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الاقوال الا ما كان معنى ولفظا او لفظا يدل
على معنى ولهذا لم يجعل الله احدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم
حتى يصدقوهم بالسنتهم ولا يوجد في كلام العرب ان يقال فلان صدق فلانا او كذبه
اذا كان يعلم بقلبه انه صادق او كاذب ولم يتكلم بذلك ولا يقال امره ونهاه اذا قام بقلبه
طلب مجرد عما يقترن به من لفظ او اشاره او نحوهما ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
صلاتنا هذه لا يصلح فيها شي من كلام الناس وقال ان الله يحدث من امره ما يشا وان
مما احدث ان لا تكلموا في الصلاه اتفق العلما على انه اذا تكلم في الصلاه عامدا لغير مصلحتها
بطلت صلاته واتفقوا كلهم على ان ما يقوم بالقلب من تصديق بامور دنيويه وطلب لا يبطل
الصلاه وانما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على ان هذا ليس بكلام وايضا ففي الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم
به او تعمل به فقد اخبر ان الله عفى عن حديث النفس الى ان تتكلم ففرق بين حديث
النفس وبين الكلام واخبر انه لا يواخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق
العلما فعلم ان هذا هو الكلام في اللغه لان الشارع كما قرر انما خاطبنا بلغه العرب وايضا
ففي السنن ان معاذا قال له يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم فبين ان الكلام انما هو ما يكون باللسان وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اصدق كلمه قالها الشاعر كلمه لبيد الا كل
شي ما خلا الله باطل وفي الصحيحين عنه انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في
الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد قال تعالى وقد

الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون
إلا كذباً وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع
وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر رواه مسلم وقال تعالى إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومثل هذا كثير وفي الجملة حيث ذكر
الله وحكايته عن أحد من الخلق من الأنبياء وأتباعهم ومكذبيهم أنهم قالوا ويقولون وذلك
قولهم وأمثال ذلك فإنما يعني به المعنى مع اللفظ فهذا اللفظ وما تصرف منه من
فعل ماض ومضارع وأمر ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوهما إنما يعرف
في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى ولذلك أنواعه كالتصديق
والتكذيب والأمر والنهي وغير ذلك وهذا مما لا يمكن أحداً جحده فإنه أكثر من أن يحصى
ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنة
ولا من أهل البدعة بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبد الله
ابن سعيد بن كلاب وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة
وعلماء البدعة فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم كما قال تعالى فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ولفظه لا يحصى وجوهه كثيرة لم يعرفه أحد من
الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولاً لم يسبقه أحد إليه من المسلمين ولا
غيرهم فإن قالوا فقد قال تعالى ويقولون في أنفسهم وقال واذكر ربك في نفسك تضرعاً
وخيفة ونحو ذلك قيل إن كان المراد أنهم قالوه بألسنتهم سراً فلا حجة فيه وهذا
هو الذي ذكره المفسرون قالوا كانوا يقولون سام عليك فإذا خرجوا يقولون في
أنفسهم أي يقول بعضهم لبعض لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول وإن قدر أنه أريد
بذلك أنهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد بالنفس مثل قوله عما حدثت به أنفسها
ولهذا قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول فأطلقوا لفظ القول هنا والمراد به ما قالوه بألسنتهم
لأنه النجوى والتحية التي نهوا عنها كما قال تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به عنه
الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فعلم أن القول هو الذي عليه المفسرون
وعليه تدل نظائره فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من ذكرني في نفسه ذكرته

في نفسي ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ليس المراد أنه لا يتكلم بلسانه بل المراد
أنه ذكر الله بلسانه وكذلك قوله واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من
القول هو الذكر باللسان والذي يقيد بالنفس لفظ الحديث يقال حديث النفس ولم يوجد
عنهم أنهم قالوا كلام النفس وقول النفس كما قالوا حديث النفس ولهذا يعبر بلفظ الحديث
عن الأحلام التي ترى في المنام كقول يعقوب عليه السلام ويعلمك من تأويل الأحاديث وقول يوسف
وعلمتني من تأويل الأحاديث وتلك في النفس لا تكون باللسان فلفظ الحديث قد يقيد بما في
النفس بخلاف لفظ الكلام فإنه لم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط وأما قوله تعالى
وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور فالمراد به القول الذي يسر
به فلا يسمعه الإنسان تارة ويجهر به فيسمعونه كما يقال أسر القراءة وجهر بها وصلاة السر
وصلاة الجهر ولهذا لم يقل قولوه بألسنتكم أو بقلوبكم وما في النفس لا يتصور الجهر به
وإنما يجهر بما في اللسان وقوله إنه عليم بذات الصدور من باب التنبيه يقول إنه يعلم
ما في الصدور فكيف لا يعلم القول كما قال في الآية الأخرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى
فنبه بذلك على أنه يعلم الجهر ويدل على ذلك أنه قال وأسروا قولكم أو اجهروا به
إنه عليم بذات الصدور فلو أراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور لم
يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر وإن قيل إنه قيل بل يتناول القسمين وقوله
تعالى آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً فذكر هذا في قوله ثلاث ليال سوياً وهناك لم
يستثن شيئاً والقصة واحدة وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع والمعنى آيتك أن لا تكلم
الناس لكن ترمز إليهم رمزاً كنظائره في القرآن وقوله فأوحى إليهم هو الرمز ولو
قدر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء كما في قوله وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء
ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق فليس في لغة القوم أصلاً ما يدل على أن
ما في النفس بيّنا ولفظ الكلام والقول المطلق فضلاً عن التصديق والتكذيب فعلم أن من
صدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مصدقاً فليس هو مما اتفق على ذلك سلف
الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقول عمر رضي الله عنه زورت في نفسي
مقالة أردت أن أقولها حجة عليهم قال أبو عبيد التزوير إصلاح الكلام وتهيئته قال

قال وقال ابو زيد المزور المزوق من الكلام واحد وهو المصلح الحسن وقال غيره زورت
في نفسي مقالة اي هيأتها لاقولها فلفظه يدل على انه قدر في نفسه ما يريد ان يقوله
ولم يقله فعلم انه لا يكون قولا الا اذا قيل باللسان وقبل ذلك لم يكن قولا لكن مقدرا في النفس
يراد ان يقال كما يقدر الانسان في نفسه انه يحج وانه يصلي وانه يسافر الى غير ذلك فيكون
لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ولكن لا يسمى قولا وعملا
الا اذا وجدت في الخارج كما انه لا يكون حاجا ومصليا الا اذا وجدت هذه الافعال في
الخارج ولهذا كان ما يهم به المرء من الاقوال المحرمة والافعال المحرمة لا يكتب
عليه حتى يقوله ويفعله وما هم به من القول الحسن والعمل الحسن انما يكتب له حسنة
واحدة فاذا صار قولا وفعلا كتب له به عشر حسنات الى سبعمائة وعوقب عليه
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به
او تعمل واما البيت الذي يحكى عن الاخطل انه قال ٥ ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على
الفواد دليلا ٥ فمن الناس من انكر ان يكون هذا من شعره وقالوا انهم فتشوا دواوينه
فلم يجدوه وهذا يروى عن ابي محمد الخشاب وقال بعضهم لفظه ان البيان لفي الفواد
ولو احتج محتج في مسالة بحديث اخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا
هذا خبر واحد ويكون مما اتفق العلما على تصديقه وتلقيه بالقبول وهذا البيت لم
يثبت نقله عن قايله باسناد لا واحد ولا اكثر من واحد ولا تلقاه اهل العربية بالقبول
فكيف يثبت به ادنى شي من اللغة فضلا عن مسمى الكلام ثم يقال مسمى الكلام والقول
ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر فان هذا مما تكلم به الاولون والاخرون
من اهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الراس واليد والرجل وايضا
فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود فان اهل
اللغة الناطقين لا يقول احدهم ان الراس كذا واليد كذا والكلام كذا واللون كذا بل
ينطقون بهذه الالفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم فعلم ان الاخطل
لم يرد بهذا ان يذكر مسمى الكلام ولا احد من الشعرا يقصد ذلك البتة وانما اراد
ان كان قال ذلك ما يفسره به المفسرون للشعر اي اصل الكلام من الفواد وهو
المعنى فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به وهذا كالاقوال التي ذكرها

الله عن المنافقين وذكر انهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال لا يعجبنك
من امر خطه حتى يكون مع الكلام اصيلا ٥ ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد
دليلا ٥ نهاه ان يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الاصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام اصيلا
وقوله مع الكلام دليل على ان اللفظ الظاهر قد سماه كلاما وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه
وهذا حجة عليهم فقد اشتمل شعره على هذا وهذا بل قوله مع الكلام مطلق وقوله ان الكلام لفي
الفواد اراد به اصله ومعناه المقصود به واللسان دليل على ذلك وبالجملة فمن احتاج الى
ان يعرف مسمى الكلام في لغة العرب والفرس والروم والترك وساير اجناس بني ادم بقول
شاعر فانه من ابعد الناس عن معرفة طرق العلم ثم هو من المولدين ليس من الشعراء
القدماء وهو نصراني كافر مثلث واسمه الاخطل والخطل فساد في الكلام وهو نصراني
والنصارى قد اخطاوا في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القايم بنفسه هو نفس كلمة الله فمن
انه كان الايمان في التصديق والقران انما اراد به مجرد التصديق الذي هو قول ولم يسم العمل
تصديقا فليس الصواب الا قول المرجية انه اللفظ والمعنى او قول الكرامية انه قول
اللسان فقط فان تسميه قول اللسان قولا اشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب
قولا كقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وقوله ومن الناس من يقول امنا
بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين وامثال ذلك بخلاف ما في النفس فانه انما سمي حديثا والكرامية
يقولون المنافق مومن وهو مخلد في النار لانه امن ظاهرا لا باطنا وانما يدخل الجنة من امن
باطنا وظاهرا قالوا والدليل على شمول الايمان له انه يدخل في الاحكام الدنيوية المتعلقة
باسم الايمان كقوله تعالى فتحرير رقبة مومنة ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة
وغير ذلك مما خوطب به الذين امنوا واما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا
يعلق به شي من احكام الايمان لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده
بقوله يا ايها الذين امنوا فعلم ان قول الكرامية في الايمان وان كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم
اليه احد فقول الجهمية ابطل منه واولئك اقرب الى الاستدلال باللغة والقران
والعقل من الجهمية والكرامية توافق المرجية والجهمية في ان ايمان الناس كلهم سوا
ولا يستثنون في الايمان بل يقولون هو مومن حقا لمن اظهر الايمان واذا كان منافقا
فهو مخلد في النار عندهم فانه انما يدخل الجنة من امن باطنا وظاهرا ومن حكى عنهم انهم يقولون

المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن من الإيمان هو القول الظاهر كما
يسميه غيرهم مسلمًا إذ الإسلام هو الاستسلام الظاهر ولا ريب أن قول الجهمية أفسد
من قولهم من وجوه متعددة شرعًا وعقلًا ولغة وإذا قيل قول الكرامية قول خارج
عن إجماع المسلمين قبلهم قيل وقول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله بل السلف
كفروا من يقول بقول جهم في الإيمان وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة
والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر مثل قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين قالوا فقد نفى الله الإيمان عن المنافقين فنقول هذا
حق فإن المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سماه مؤمنًا وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق
وهو يحب الرسول ويعاديه كاليهود وغيرهم سماهم الله كفارًا لم يسمهم مؤمنين
قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان بخلاف المنافق فإنه يدخل في أحكام الإيمان الظاهرة
في الدنيا بل قد نفى الله الإيمان عمن قال بقلبه ولسانه إذا لم يعمل كما قال تعالى قالت الأعراب
آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا إلى قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فنفى
الإيمان عن سوى هؤلاء وقال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى
فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين والمتولي هو المتولي عن الطاعة كما قال ستدعون
إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن
تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابًا أليمًا وقال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى
فعلم أن التولي ليس هو التكذيب وقال تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وكذلك
قول موسى وهرون إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى فدل على أن التولي ليس
هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه
فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي فلهذا قال فلا صدق ولا صلى ولكن
كذب وتولى وقد قال تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول
وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا
حتى يستأذنوه وقال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ففي القرآن والسنة

من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة كما نفى فيها الإيمان عن المنافق وأما العالم بقلبه
مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمنًا وعند الجهمية إذا كان العلم في
قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمان النبيين ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل
ولا يتصور عندهم أن ينتفي عنه بالاستثناء في الإيمان ويقول الإيمان في الشرع هو ما
يوافي به العبد ربه وإن كان في اللغة أعم من ذلك فجعلوا في مسألة الاستثناء ومسمى الإيمان
ما ادعوا أنه مسماه في الشرع وعدلوا عن اللغة فهلا فعلوا هذا في الأعمال ودلالة الشرع
على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تحصى كثرة بخلاف ذلك فإنه لا يسمى إيمانًا إلا
ما مات الرجل عليه فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا وهو قول محدث لم يقله أحد من
السلف لكن هؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم لأن هؤلاء
وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما يتلقوه عن المتكلمين
من الجهمية ونحوهم من أهل البدع فيبقى الظاهر قول السلف والباطن قول الجهمية الذين
هم أفسد الناس مقالة في الإيمان وسنذكر إن شاء الله أقوال السلف في الاستثناء ولهذا
لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول الجهم في الإيمان خالفوه كثير منهم
فمنهم من اتبع السلف قال أبو القسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في شرح الإرشاد
لأبي المعالي بعد أن ذكر قول الصحابة ما أو ذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات
فرضها ونفلها وعبروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله به فرضًا ونفلًا والانتهاء عما نهى عنه
تحريمًا وأدبًا قال وبهذا كان يقول أبو علي الثقفي من متقدمي أصحابنا وأبو العباس
القلانسي وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد قال وهذا قول مالك بن
أنس إمام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وكانوا يقولون
الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ومنهم من قال إذا ترك التصديق
باللسان عنادًا كان كافرًا بالشرع وإن كان في قلبه التصديق والعلم وكذلك قال أبو إسحق
الإسفرايني قال الأنصاري ورأيت في تصانيفه أن المؤمن إنما يكون مؤمنًا حقًا إذا
حقق إيمانه بالأعمال الصالحة كما أن العالم إنما يكون عالمًا حقًا إذا عمل بما علم واستشهد
بقول الله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيمانًا إلى قوله أولئك هم المؤمنون حقًا وقال أيضًا أبو إسحق فحقيقة الإيمان في اللغة

التصديق وقد يحصل لكن الإباء المعرفة والإسرار وتقوم الإشارة والانقياد مقام العبارة
وقال أيضًا أبو إسحاق في كتاب الأسماء والصفات اتفقوا على أن ما يستحق به المكلف
اسم الإيمان في الشريعة أوصاف كثيرة وعقائد مختلفة ثم اختلفوا فيها على تفصيل
ذكروه واختلفوا في إضافة ما لا يدخل في جملة التصديق إليه بصحة الاسم فمنها ترك
قتل الرسول وترك تعظيمه وترك تعظيم الأصنام فهذا من التروك ومن الأفعال نصرة
الرسول والذب عنه قال وإن جميعه يضاف إلى التصديق شرعًا وقال آخرون
إنه من الجائز أن يخرج المرء بالمخالفة فيه عن الإيمان قلت وهذان
القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك بعد ما عرف بأنه ليس مجرد تصديق القلب
وهو ليس شيئًا واحدًا وقال إن الشرع تصرف فيه وهذا يهدم أصلهم ولهذا كان
حذاق هؤلاء كجهم والصالحي وأبي الحسن والقاضي أبي بكر على أنه لا يزول عنه اسم الإيمان
إلا بزوال العلم من قلبه قال أبو المعالي باب في ذكر الأسماء والأحكام
اعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعي تقديم ذكر حقيقة الإيمان وهذا
مما تباينت فيه مذاهب الإسلاميين ثم ذكر قول الخوارج والمعتزلة والكرامية
قال أما مذهب أصحابنا فصار أهل التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم إلى أن
الإيمان هو التصديق وبه قال شيخنا أبو الحسن واختلف رأيه في معنى التصديق
فقال مرة هو المعرفة بوجوده وقدمه وإلهيته وقال مرة التصديق قول في النفس
غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح أن يوجد دونها وهذا ما ارتضاه القاضي فإن التصديق والتكذيب فإن،
والصدق والكذب بالأقوال أجدر فالتصديق إذًا قول في النفس ويعبر عنه باللسان
فتوصف العبارة بأنها تصديق لأنها عبارة عن التصديق قال وقال بعض أصحابنا
التصديق لا يتحقق إلا بالقول جميعًا فإذا اجتمعا كانا تصديقًا واحدًا ومنهم من كفر
بترك العناد فلم يجعل الإقرار أحد ركني الإيمان فنقول الإيمان هو التصديق بالقلب وأوجب
ترك العناد بالشرع وعلى هذا الأصل يجوز أن يعرف الكافر الله وإنما يكفر بالعناد
لأنه ترك ما هو أس في الإيمان وعلى هذا الأصل يقال إن اليهود كانوا عالمين بالله وبنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنهم كفروا عنادًا وبغيًا وحسدًا قال وعلى قول شيخنا أبي
الحسن إذا حكمنا بكفره فنقول إنه لا يعرف الله أصلًا ولا عرف رسوله ولا دينه قال

أبو القاسم الأنصاري تلميذه كان المعنى لا يحكم بإيمانه ولا معرفته شرعًا قلت
وليس الأمر كذلك على هذا القول كما قاله الأنصاري هذا ولكن على قولهم المعاند كافر
شرعًا فيجعل الكفر تارة بانتفاء الإيمان الذي في القلب وتارة بالعناد ويجعل هذا كافرًا
في الشرع وإن كان معه حقيقة الإيمان الذي هو التصديق ويلزمهم أن يكون كافرًا
في الشرع مع أن معه الإيمان الذي هو مثل إيمان الأنبياء والملائكة والحذاق في هذا
المذهب كأبي الحسن والقاضي ومن قبلهم من أتباع جهم عرفوا أن هذا تناقض
يفسد الأصل فقالوا لا يكون أحد كافرًا إلا إذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا
أن كل من حكم الشرع بكفره فإنه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله
ولهذا أنكر هذا عليهم جماهير العقلاء وقالوا هذا مكابرة وسفسطة وقد احتجوا
على قولهم بقوله تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله إلى قوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان الآية قالوا ومفهوم هذا أن من لم يعمل
بمقتضاه لم يكتب في قلوبهم الإيمان قالوا فإن قيل معناه لا يؤمنون إيمانًا مجزيًا معتدًا
به أو يكون المعنى لا يؤدون حقوق الإيمان ولا يعملون بمقتضاه قلنا هذا عام لتخصيص
بلا دليل فيقال لهم هذه الآية فيها نفي الإيمان عمن يواد المحادين لله ورسوله وفيه أن
من لم يواد المحادين لله ورسوله وفيه فإن الله كتب في قلوبهم الإيمان الآية وهذا يدل
على مذهب السلف أنه لا بد في الإيمان من محبة القلب لله ولرسوله ومن بغض من
حاد الله ورسوله ثم لم تدل الآية على أن العلم الذي في قلوبهم بأن محمدًا رسول
الله يرتفع لا يبقى منه شيء والإيمان الذي كتب ليس هو مجرد العلم والتصديق
بل هو تصديق القلب وعمل القلب ولهذا قال وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون
فقد وعدهم بالجنة وقد اتفق الجميع على أن الوعد بالجنة لا يكون إلا مع الإتيان
بالمأمورات وترك المحظور فعلم أن هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح
منه قد أدوا الواجبات التي بها يستحقون ما وعد الله به الأبرار المتقين ودل
هذا على أن الفساق لم يدخلوا في هذا الوعد ودلت هذه الآية على أنه لا يوجد
مؤمن يواد الكفار ومعلوم أن خلقًا من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه

لم يكذب الرسول وهو مع هذا يود بغض الكفار فالسلف يقولون ترك الواجبات
الظاهرة دليل على انتفاء الايمان الواجب من القلب لكن قد يذهلون عن هذا وان اعمال
القلب الذي هو حب الله ورسوله وخشيته ونحو ذلك يستلزم ان لا يكون
في القلب شي من التصديق عند هولاء بل كل من نفى الشرع ايمانه دل على انه ليس في
قلبه شي من التصديق اصلا وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء ولهذا حكى
ابن فورك عن ابي الحسن ان الايمان هو اعتقاد صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاد
هو علم ومنه ما ليس بعلم والايمان بالله هو اعتقاد صدقه انما يصح اذا كان عالما بصدقه
واخباره وانما يكون لذلك اذا كان عالما بانه متكلم والعلم بانه متكلم
بعد العلم بانه حي بعد العلم بانه فاعل والعلم بانه فاعل بعد العلم بالفعل وهو كون العالم فعلا له
قال وذلك يتضمن العلم بكونه قادرا وله قدرة وعالما وله علم ومريدا وله ارادة وسائر
ما لا يصح العلم بالله الا بعد العلم به من شرائط الايمان قلت هذا مما اختلف فيه
قول الاشعري وهو ان الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلا بالموصوف ام لا على
قولين والصحيح الذي عليه الجمهور وهو اخر قوليه انه لا يستلزم الجهل بالموصوف
وجعل اثبات الصفات من الايمان مما خالف فيه الاشعري جهما فان جهما غلا في نفي
الصفات بل وفي نفي الاسماء قال ابو الحسن ومن السمع ورد بضم شرائط اليه اخر وهو
ان لا يقترن به ما يدل على كفر من ياتيه فعلا او تركا وهو ان الشرع امره بترك العبادة
والسجود للصنم فلو اتى به دل على كفره وكذلك من قتل نبيا او استخف به دل على كفره
وكذلك لو ترك تعظيم المصحف او الكعبة دل على كفره قال واحد ما استدللنا على كفره به
ما منع الشرع ان يقرنه بالايمان او وجب ضمه الى الايمان لعدمه دلنا ذلك على ان
التصديق الذي هو الايمان مفقود من قلبه وكذلك اما كفر به المخالف من طريق التاويل
من منعه الايمان والتصديق بقلبه فقال لا ريب ان الشارع لا يقضي بكفر من معه الايمان
بقلبه لكن دعواكم ان الايمان هو التصديق وان تجرد عن جميع اعمال القلب غلط ولهذا
قالوا اعمال القلب التصديق والمعرفة من قلبه الا ترى ان الشريعة حكمت بكفره والشريعة
لا تحكم بكفر المومن المصدق ولهذا نقول ان كفر ابليس لعنه الله اشد من كفر كل كافر وانه لم
يعرف الله بصفاته قطعا ولا تري به ايمانا حقيقيا باطنا وان وجد منه القول والعبادة

كان

بلغ

لذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفر لم يوجد في قلوبهم حقيقة الايمان
المعتد به في حال حكمنا لهم بالكفر قال الله تعالى ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء وقوله فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فجعل الله
هذه الامور شرطا في ثبوت حكم الايمان فثبت ان الايمان المعرفة بشرائط لا يكون
معتدا به دونها فيقال ان قلتم انه ضم الى معرفة القلب شروطا في ثبوت الحكم او
الاسم لم يكن هذا قول جهم بل يكون هذا قول من جعل الايمان كالصلاة والحج هو
وان كان في اللغة بمعنى الدعاء والقصد لكن الشارع ضم اليه امورا اما في الحكم واما
في الحكم والاسم وهذا القول قد سلم صاحبه ان حكم الايمان المذكور في الكتاب والسنة
لا يثبت بمجرد تصديق القلب بل لا بد من تلك الشرائط وعلى هذا فلا يمكنه جعل الفاسق
مومنا الا بدليل يدل على ان المجرد قوله ان معه تصديق القلب ومن جعل الايمان
هو التصديق بالقلب يقول لكن الكافر في النار ليس معه التصديق بالله شي ليس مع ابليس ولا
مع غيره وقد قال تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان
الله قد حكم بين العباد وقال تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاوها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين فقد اعترفوا ان الرسل
اتتهم وتلت عليهم ايات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم هذا فقد عرفوا الله ورسله واليوم
الاخر وهم في الاخرة كفار وقال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا
بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي فقد كذبوا بالتنزيل وهو اما في الاخرة
فقد عرفوا الجميع وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وقال تعالى وجات سكرة
الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد الى قوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وهذه الايات اخر كثيرة تدل على ان الكفار في الاخرة
يعرفون ربهم فان كان مجرد المعرفة ايمانا كانوا مومنين فان قالوا الايمان في
الاخرة لا ينفع وانما الثواب على الايمان في الدنيا قيل هذا صحيح لكن اذا لم يكن الايمان الا مجرد

العلم فهذه الحقيقة لا تختلف فان لم يكن العمل من الايمان كما ان العارف في الاخرة لم يغنه شي
من الايمان لكن اكثر ما يدعونه انه حين مات لم يكن في قلبه من التصديق بالرب شي ونصوص
القران في غير موضع تدل على ان الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب حتى فرعون الذي
اظهر التكذيب كان في الباطن مصدقا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وكما قال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير
ومع هذا لم يكن مومنا بل قال موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا
حتى يروا العذاب الاليم قال الله قد اجيبت دعوتكما ولما قال فرعون امنت انه لا اله
الا الذي امنت به بنو اسرايل قال الله الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
فوصفه بالمعصية لم يصفه بعدم العلم في الباطن كما قال فعصى فرعون الرسول وكما
قال عن ابليس فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فلم
يصفه الا بالاباء والاستكبار ومعارضة الامر لم يصفه بعدم العلم ثم يقال لهم اذا
قلتم هو التصديق بالقلب وباللسان او بهما فهل هو التصديق المجمل او لا بد فيه من
التفصيل فلو صدق ان محمدا رسول الله ولم يعرف صفات الحق هل يكون مومنا
ام جعلوه مومنا ثم اذا بلغه ذلك وكذب به لم يكن مومنا لزمهم ان لا يكون احد مومنا حتى
يعرف تفصيل ما اخبر به الرسول ومعلوم ان اكثر الامة لا يعرفون ذلك وعندهم الايمان
لا يتفاضل الا بالدوام فقط قال ابو المعالي فان قال قايل اصلكم يلزم منه ان يكون ايمان المنهمك
في فسقه كايمان النبي صلى الله عليه وسلم قلنا الذي يفضل ايمانه ايمان من عداه باستمرار
تصديقه وعصمة الله اياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب والتصديق عرض
من الاعراض لا يبقى وهو متوال للنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لغيره في بعض الاوقات زايل عنه
في اوقات الفترات فثبت للنبي صلى الله عليه وسلم اعداد من التصديق لا يثبت لغيره
الا بعضها فيكون ايمانه لذلك اكثر وافضل قال ولو وصف الايمان بالزيادة والنقصان
واريد به ذلك كان مستقيما قلت فهذا هو الذي يفضل به النبي غيره في
الايمان ومعلوم ان هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة كما بسط في مواضع اخر
فصل قال الذين نصروا مذهب جهم في الايمان من المتاخرين كالقاضي ابي بكر
وهذا لفظه فان قال قايل وما الاسلام عندكم قيل له الاسلام الانقياد والاستسلام

فقيل

من طاعته انقياد العبد بها للرب واستسلم فيها لامره فهي اسلام والايمان خصلة من
خصال الاسلام وكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا فان قال فلم قلتم ان معنى الاسلام ما
وصفتم قيل له لاجل قوله قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا فنفى عنهم
الايمان واثبت لهم الاسلام وانما اراد بما اثبته الانقياد والاستسلام ومنه قوله والقوا اليكم
السلم وكل من استسلم لشي فقد اسلم وان كان اكثر ما يستعمل في المستسلم لله
ولنبيه قلت وهذا الذي ذكروه مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة
متناقض فانهم جعلوا الاسلام خصلة من خصال الايمان والطاعات كلها اسلام وليس
فيها ايمان الا التصديق والمرجية وان قالوا ان الايمان يتضمن الاسلام فهم يقولون الايمان
تصديق القلب واللسان واما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب فلا يكون
الشهادتان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهن من الايمان وقد تقدم ما بينه الله ورسوله
من ان الاسلام داخل في الايمان فلا يكون الرجل مومنا حتى يكون مسلما كما ان الاحسان داخل
في الايمان فلا يكون محسنا حتى يكون مومنا واما التناقض فانهم اذا قالوا الايمان خصلة من
خصال الاسلام كان من اتى بالايمان انما اتى بخصلة من خصال الاسلام لا بالاسلام الواجب
جميعه فلا يكون مسلما حتى ياتي بالاسلام كله فلا يكون عندهم مومنا حتى ياتي بالايمان
كله ومن اتى ببعض الايمان عندهم لا يكون مومنا ولا فيه شي من الايمان فكان يجب
ان يقولوا في الاسلام وقد قالوا كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا وهذا ان ارادوا
به كل ايمان هو الاسلام الذي امر الله به ناقض قولهم ان الايمان خصلة من خصاله فجعلوا الايمان
بعضه ولم يجعلوه اياه وان قالوا كل ايمان فهو اسلام اي هو طاعة لله وهو جزء من
الاسلام الواجب وهذا مرادهم قيل لهم فعلى هذا يكون الاسلام متعدد الطاعات ويكون
الشهادتان وحدهما اسلاما والصلاة وحدها اسلاما والزكاة اسلاما بل كل درهم يعطيه
الفقير اسلاما وكل سجدة اسلاما وكل يوم يصومه اسلاما وكل تسبيحة يسبحها
في الصلاة او غيرها اسلاما ثم المسلم ان كان انما يكون مسلما اذا فعل كل ما سميتموه اسلاما
لزم ان لا يكون الفساق ليسوا مسلمين مع كونهم مومنين فجعلتم المومنين الكاملين
الايمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الكرامية ويلزم ان الفساق
من اهل القبلة ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الخوارج والمعتزلة وغيرهم بل وان
غيرهم

لما كان المسلمين بعضهم من بعض ان الايمان الاعمال من الايمان

يكون من ترك التطوعات ليس مسلمًا اذ كانت التطوعات طاعة لله ان جعلتم كل طاعة
فرضًا ونفلًا اسلامًا تامًا هذا خلاف ما احتججتم به من قوله الاعراب لم تومنوا ولكن
قولوا اسلمنا فاثبت لهم الاسلام دون الايمان وايضًا فاخراجكم الفساق من اسم
الاسلام ان اخرجتموهم اعظم شناعة من اخراجهم من اسم الايمان فوقعتم في اعظم مما
عبتموه على المعتزلة فان الكتاب والسنة ينفي عنهم اسم الايمان اعظم مما ينفي اسم الاسلام
واسم الايمان في الكتاب والسنة اعظم وان قلتم بل كل من فعل طاعة سمي مسلمًا لزم ان يكون
من فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلمًا ومن صدق بقلبه ولم يتكلم
بلسانه ان يكون مسلمًا عندكم لان الايمان عندكم اسلام فمن اتى به فقد اتى باسلام فيكون
مسلمًا عندكم من تكلم بالشهادتين ولم يات بشي من الاعمال واحتجاجكم بقوله قالت
الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا قلتم نفى عنهم الايمان واثبت لهم الاسلام
فيقال هذه الاية حجة عليكم لانه انما اثبت الاسلام مع انتفاء الايمان فدل على ان
الايمان ليس بجزء من الاسلام اذ لو كان بعضه لما كانوا مسلمين الا لما اتوا به وان قلتم
اردنا بقولنا اثبت لهم الاسلام اي اسلامًا تامًا فان كل طاعة من الاسلام اسلام عندنا لزم
بكم ما تقدم من ان يكون صوم يوم هو الاسلام وصدقة درهم هو الاسلام وامثال
ذلك ولزمهم وهم يقولون كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنًا قالوا هذا من حيث
الاطلاق واما التفصيل ما ذكرناه من ان الايمان خصلة من خصال الاسلام والدين وليس
هو جميع الاسلام والدين فان الاسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة وقعت موافقة
للامر والايمان اعظم خصلة من خصال الاسلام واسم الاسلام شامل لكل طاعة انقاد بها
العبد لله من ايمان وتصديق وفرض ونفل غير انه لا يصح التقرب بفعل ما
عدا الايمان من الطاعات دون تقديم فعل الايمان قالوا والدين ماخوذ من التدين
وهو قريب من الاسلام في المعنى فيقال لهم اذا كان هذا قولهم فقولكم كل مسلم مومنًا
مسلمًا وليس كل مسلم مومنًا يناقض هذا فان المسلم هو المطيع لله ولا تصح الطاعة
من احد الا مع الايمان فيمتنع ان يكون احد فعل شيا من الاسلام الا وهو مومن ولو كان
ذلك ادنى الطاعات فيجب ان يكون كل مسلم مومنًا سوا اريد بالاسلام فعل جميع
الطاعات او فعل واحدة منها وذلك كله لا يصح الا مع الايمان وحينئذ فالاية حجة عليكم

لالم

لا لكم وقولكم كل مسلم مومن ان كنتم تريدون بالايمان تصديق القلب فقط فيلزم ان يكون
الرجل مسلمًا ولم يتكلم بالشهادتين ولا بشي من الاعمال المامور بها وهذا مما يعلم بطلانه
بالضرورة من دين الاسلام بل عامة اليهود والنصارى يعلمون ان الرجل لا يكون
مسلمًا حتى ياتي بالشهادتين او ما يقوم مقامهما وقولكم كل مومن مسلم ان تريدون انه ياتي
بالشهادتين ولا بشي من المباني الخمس التي بها هو طاعة ون الطاعة باطنه ابن هذا
هو المسلم المعروف في الكتاب والسنة وعند الائمة الاولين والاخرين ثم استدلالكم
بالاية ان الاعراب انما اتوا باسلام ظاهر ونطقوا بالشهادتين سوا كانوا صادقين
او كاذبين فما ثبت الله لهم الاسلام دون الايمان فيظن من لا يعرف حقيقة الامر ان
هذا هو قول السلف الذي دل عليه الكتاب والسنة من ان كل مومن مسلم وليس
كل مسلم مومنًا وبينهما من التباين اعظم مما بين قول السلف وقول المعتزلة في
الايمان والاسلام فان قول المعتزلة في الايمان والاسلام اقرب من قول الجهمية
بكثير ولكن قولهم في تخليد اهل القبلة ابعد عن قول السلف من قول الجهمية فالمتاخرون
الذين نصروا قول جهم في مسالة الايمان يظهرون قول السلف في هذا الاستثنا
وفي انتفا الايمان الذي في القلب حيث نفاه القران ونحو ذلك وهذا موافق
السلف في مجرد اللفظ والا فقولهم في غاية المباينة لقول السلف ليس في الاقوال
ابعد عن السلف منه وقول المعتزلة والخوارج والكرامية في اسم الايمان والاسلام اقرب
الى قول السلف من قول الجهمية لكن المعتزلة والخوارج يقولون بتخليد
العصاة وهذا ابعد عن قول السلف من كل قول فهم اقرب في الاسم وابعد في
الحكم والجهمية وان كانوا في قولهم ان الفساق لا يخلدون اقرب في الحكم الى
السلف فقولهم في مسمى الاسلام والايمان وحقيقتهما ابعد من كل قول عن الكتاب
والسنة وفيه من مخالفة العقل والشرع واللغة ما لا يوجد مثله لغيرهم فصل
ومما يدل من القران على ان الايمان المطلق مستلزم للاعمال قوله تعالى انما يومن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدًا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فنفى
الايمان عن غير هولاء فمن كان اذا ذكر بالقران لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود
لم يكن من المومنين وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين واما سجود

التلاوة ففيه نزاع وقد احتج بهذه الاية من يوجبه الذي ليس هذا موضع بسط هذه
المسئلة فهذه الاية مثل قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم وقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقوله انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه ومن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ومن هذه الاية مثل قوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وقوله ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه
ما اتخذوهم اوليا فبين سبحانه ان الايمان له لوازم وله اضداد موجودة تستلزم ثبوت لوازمه
وانتفا اضداده ومن اضداده موادة من حاد الله ورسوله ومن اضداده استيذانه
في ترك الجهاد ثم صرح بان استيذانه انما يصدر من الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر ودل
قوله والله عليم بالمتقين على ان المتقين هم المومنون ومن هذا الباب قوله
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقوله لا يومن من لا يامن جاره
بوايقه وقوله لا تومنوا حتى تحابوا وقوله لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده
ووالده والناس اجمعين وقوله لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب
لنفسه وقوله من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا ه

فصل واما اذا قيد الايمان فقرن بالاسلام وبالعمل الصالح فانه
قد يراد به ما في القلب من الايمان باتفاق الناس وقد يراد به ايضا المعطوف عليه
ويكون من باب عطف الخاص على العام اما ان لا يكون حين الاقتران داخلا في مسماه بل يكون
لازما له على مذهب اهل السنة او لا يكون بعضا ولا لازما هذا فيه ثلثه اقوال للناس
كما سياتي ان شا الله تعالى وهذا موجود في عامة الاسماء يتنوع مسماها بالاطلاق
والتقييد مثال ذلك اسم المعروف والمنكر فاذا اطلق كما في قوله تعالى يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر يدخل في المعروف كل خير وفي المنكر كل شر ثم قد يقرن بما هو اخص منه

وقوله والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر

كقوله

كقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
فغاير بين المعروف وبين الصدقة والاصلاح بين الناس كما غاير بين اسم الايمان
والعمل واسم الايمان والاسلام وكذلك قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
غاير بينهما وقد دخلت الفحشا في المنكر في قوله وينهى عن المنكر ثم ذكر مع المنكر
اسمين في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشا
والمنكر والبغي جعل البغي هنا مغايرا لهما وقد دخل في المنكر في ذينك الموضعين ومن
هذا الباب لفظ العبادة فاذا امر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما امر به
والتوكل عليه مما امر به والاستعانة به مما امر به فيدخل ذلك في مثل قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وفي قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وقوله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم وقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله
مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني وقوله قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون ثم قد يقرن بها اسم اخر كما في قوله اياك نعبد واياك
نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه وقول نوح اعبدوا الله واتقوه واطيعون
وكذلك اذا افرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما امر به وكانت طاعة الرسول
داخلة في طاعته وكذلك اسم التقوى اذا افرد اسم التقوى دخل فيه فعل كل ما
مامور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور
من الله ترجو رحمة الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب
الله وهذا كما في قوله ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك
مقتدر وقد يقرن بها اسم اخر كقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله واتقوا الله الذي تسالون به والارحام
وقوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقوله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فمثال ذلك فقوله اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا مثل قوله امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه وقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فعطف قولهم على الايمان كما عطف القول السديد على التقوى ومعلوم ان التقوى
اذا اطلق دخل فيها القول السديد لذلك الايمان اذا اطلق دخل فيه السمع والطاعه
لله وللرسول وكذلك قوله امنوا بالله ورسوله واذا اطلق الايمان بالله في حق
امه محمد صلى الله عليه وسلم دخل فيه الايمان بالرسول ولذلك قوله كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله واذا اطلق الايمان بالله دخل فيه الايمان بهذه التوابع ولذلك قوله والذين
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل الايه واذا قيل في قوله امنوا بالله ورسوله النبي الامي دخل
في الايمان برسوله الايمان بجميع الكتب والنبيين ولذلك اذا قيل امنوا بالله
ورسوله يوتكم كفلين من رحمته واذا قيل امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه دخل في الايمان بالله ورسوله الايمان بذلك كله والاعمال ويدخل في قوله
في الايه الاخرى امنوا بالله ورسوله ما يدخل القول السديد في قوله ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب ولذلك لفظ البر اذا اطلق تناول جميع ما امر الله به كما في قوله ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله ولكن البر من اتقى وقوله ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر والملايكه والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلاه واتى الزكاه والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون فالبر اذا اطلق كان مسماه مسمى التقوى واذا اطلقت
التقوى كان مسماها مسمى البر ثم قد يجمع بينهما كما في قوله وتعاونوا على البر والتقوى
ولذلك لفظ الاثم اذا اطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقترن بالعدوان في قوله ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان وكذلك لفظ الذنوب اذا اطلق دخل فيه ترك كل واجب
وفعل كل محرم كما في قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ثم قد يقترن بغيره كما في قوله ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا في امرنا وكذلك لفظ الهدى اذا اطلق تناول العلم الذي بعث
الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما امر الله به كما في قوله اهدنا

الصراط المستقيم والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا ولذلك قوله هدى
للمتقين المراد به انهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين ولذلك
قول اهل الجنه الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
وانما هداهم بان الهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقترن الهدى اما بالاجتبا
كما في قوله واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم وكما في قوله شاكرا لانعمه
اجتباه وهداه وقوله الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب وكذلك قوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق والهدى هنا هو الايمان ودين الحق
الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال
اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سوا كان عمدا او جهلا ولزم ان يكون معذبا
كقوله انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون وقولهم ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبرانا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقوله فمن
اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ثم قد يقترن بالغي او الغضب كما في قوله ما ضل صاحبكم
وما غوى وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله ان المجرمين في
ضلال وسعر ولذلك لفظ الغي اذا اطلق تناول كل معصيه لله كما في قوله عن الشيطان
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقد يقرن بالضلال كما في قوله ما
ضل صاحبكم وما غوى ولذلك اسم الفقير اذا اطلق دخل فيه المسكين واذا اطلق
لفظ المسكين تناول الفقير واذا قرن بينهما فاحدهما غير الاخر فالاول كقوله
وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وقوله فكفارته اطعام عشره مساكين
والثاني كقوله انما الصدقات للفقرا والمساكين وهذه الاسما التي تختلف دلالتها
بالاطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تاره تكونان اذا افرد احدهما اعم من الاخر
كاسم الايمان والمعروف مع العمل ومع الصدقه وكالمنكر مع الفحشاء ومع البغي
ونحو ذلك وتاره يكونان متساويين في العموم والخصوص كلفظ الايمان والبر والتقوى
ولفظ الفقير والمسكين فايهما اطلق تناول ما يتناوله الاخر ولذلك لفظ التلاوه
فانها اذا اطلقت في مثل قوله الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته تناولت
العمل به كما فسره بذلك الصحابه والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس

ومجاهد وغيرهم قالوا يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله
ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وقيل هو من التلاوة بمعنى
الاتباع كقوله والقمر اذا تلاها وهذا يدخل فيه من لم يقراه وقيل بل من تمام قراءته
ان يفهم معناه ويعمل به كما قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا
القران عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا
من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من
العلم والعمل قالوا فتعلمنا القران والعلم والعمل جميعا وقوله الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته قد فسر بالقران وفسر بالتوراة وروى محمد بن نصر
المروزي باسناده الثابت عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق
اتباعه وروى ايضا عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون
حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه وعن قتادة يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون
به قال اولئك اصحاب محمد امنوا بكتاب الله وصدقوا به احلوا حلاله وحرموا حرامه
وعملوا بما فيه ذكر لنا ان ابن مسعود كان يقول ان حق تلاوته ان يحل حلاله ويحرم
حرامه وان يقراه كما انزل الله ولا يحرفه عن مواضعه وعن الحسن يتلونه حق
تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه وعن
مجاهد يتبعونه حق اتباعه وفي رواية حق عمله ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال
احمد بن حنبل وغيره تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها ثم خص الصلاة بالذكر كما
في قوله والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة وقوله فاعبدني واقم الصلاة لذكري
وكذلك لفظ اتباع ما انزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء وقوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد
يقرن به غيره كقوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
وقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين وقوله واتبع ما
يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وكذلك لفظ الابرار اذا اطلق دخل

فيه كل تقي من السابقين والمقتصدين واذا قرن بالمقربين كان اخص قال تعالى في
الاول ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال في الثاني ان كتاب الابرار
لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وهذا باب
واسع يطول استقصاؤه وهو من انفع الامور في معرفة دلالة الالفاظ مطلقا وخصوصا
الفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة فيها نزاع الناس من
جملتها مسالة الايمان والاسلام فان النزاع في مسماهما اول اختلاف وقع افترقت الامة
لاجله وصاروا مختلفين في الكتاب وكفر بعضهم بعضا وقاتل بعضهم بعضا كما قد بسطنا
هذا في مواضع اخر اذ المقصود هنا ان نشرح كلام الله ورسوله على وجه يبين
ان الهدى كله ماخوذ من كلام الله ورسوله باقامة الدلالة الدالة لا بذكر الاقوال
التي تقبل بلا دليل او يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فان الواجب ان
يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالادلة الدالة على ما بينه الله ورسوله
ومن هذا الباب اقوال السلف وائمة السنة في تفسير الايمان فتارة يقولون
هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية
واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح
وكل هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل في القول قول القلب واللسان
جميعا وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك اذا اطلق والناس لهم
في مسمى الكلام والقول عند الاطلاق اربعة اقوال فالذي عليه السلف والفقهاء
والجمهور انه يتناول اللفظ والمعنى جميعا كما يتناول لفظ الانسان للروح
والبدن جميعا وقيل بل مسماه هو اللفظ والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول
مسماه وهذا قول كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين
الى السنة وهو قول النحاة لان صناعتهم متعلقة بالالفاظ وقيل بل مسماه هو المعنى
واطلاق الكلام على اللفظ مجاز لانه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه وقيل
بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتاخرين من الكلابية ولهم قول
ثالث يروى عن ابي الحسن انه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الادميين لان حروف
الادميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخلاف الكلام العربي فانه لا يقوم

عنده بالله فيمتنع ان يكون كلامه ولبسط هذا موضع اخر والمقصود هنا
ان من قال من السلف الايمان قول وعمل اراد قول القلب واللسان وعمل القلب
والجوارح ومن زاد الاعتقاد راى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر او خاف
ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد
وقول اللسان واما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السنة
فلان ذلك كله لا يكون محبوبا لله الا باتباع السنة واوليك لم يريدوا كل قول وعمل
انما ارادوا ما كان مشروعا من الاقوال والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجيه
الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه اربعة فسروا
مرادهم كما سيل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية
وسنة لان الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو
نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة

فصل

وعطف الشي على الشي في القران وساير الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف
والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما والمغايرة
على مراتب اعلاها ان يكونا متباينين ليس احدهما هو الاخر ولا جزءه ولا يعرف
لزومه له كقوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ونحو ذلك
وقوله وجبريل وميكال وقوله وانزل التوراة والانجيل والقران وهذا هو الغالب
ويليه ان يكون بينهما لزوم كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وقوله
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين وقوله
ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله فان من كفر بالله فقد كفر بهذا كله
فالمعطوف لازم للمعطوف عليه وفي الاية التي قبلها المعطوف عليه لازم فانه من
شاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المومنين وفي الثاني
نزاع وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق هما متلازمان فان من لبس الحق
بالباطل فجعله ملبوسا به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل فصار ملبوسا ومن
كتم الحق احتاج ان يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل ولهذا كان كل من كتم من اهل
الكتاب ما انزل الله فلا بد ان يظهر باطلا وهكذا اهل البدع لا تجد احدا ترك بعض

السنة التي يجب التصديق بها والعمل الا وقع في بدعة ولا تجد صاحب بدعة الا ترك
شيا من السنة كما جا في الحديث ما ابتدع قوم بدعة الا تركوا من السنة مثلها
رواه الامام احمد وقد قال تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة
والبغضا فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة والبغضا
وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اي عن الذكر
الذي انزله الرحمن وقال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وقال تعالى اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اوليا قليلا ما تذكرون فامر باتباع ما انزل ونهى عما
يضاد ذلك وهو اتباع اوليا من دونه فمن لم يتبع احدهما اتبع الاخر ولهذا قال
ويتبع غير سبيل المومنين قال العلما من لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم
فاستدلوا بذلك على ان اتباع سبيلهم واجب فليس لاحد ان يخرج عما اجمعوا عليه
وكذلك من لم يفعل المامور فعل بعض المحظور ومن لم يفعل جميع المامور فلا يمكن ان
الانسان ان يفعل جميع ما امر مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه
لبعض ما امر فان ترك ما حظر من جملة ما امر به فهو مامور ومن المحظور ترك المامور
فكلما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الا به فعليه فعله
ولهذا كان لفظ الامر اذا اطلق يتناول النهي واذا قيد بالنهي كان النهي نظير ما تقدم فاذا
قال تعالى عن الملايكة لا يعصون الله ما امرهم دخل في ذلك انه اذا نهاهم عن شي اجتنبوه
واما قوله ويفعلون ما يومرون فقد قيل لا يتعدون ما امروا به وقيل يفعلونه
في وقته لا يقدمونه ولا يوخرونه وقد يقال قوله لم يقل لا يفعلون الا ما يومرون
بل هذا دل عليه قوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقد قيل لا يعصون ما امرهم
في الماضي ويفعلون ما يومرون في المستقبل وقد يقال هذه الاية خبر عما سيكون
ليس ما امروا به هنا ماضيا بل الجميع مستقبل فانه قال قوا انفسكم واهليكم نارا وما
يتقى به انما يكون مستقبلا وقد يقال ترك المامور تارة يكون لمعصية المامور وتارة يكون
لعجزه فاذا كان قادرا مريدا لزم وجود المقدور فقوله لا يعصون يمتنعون عن
الطاعة وقوله ويفعلون ما يومرون انهم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شي منه

يفعلونه كله فيلزم وجود كل ما امروا به وقد يكون في ضمن ذلك انهم لا يفعلون الا المامور
به كما يقول القائل انا افعل ما امرت به اي افعله ولا اتعداه وايضا فقوله لا يعصون الله
ما امرهم ان كان نهاهم عن فعل اخر كان ذلك من امره وان كان لم ينههم لم يكونوا مذمومين
بفعل ما لم ينهوا عنه والمقصود ان لفظ الامر اذا اطلق تناول النهي ومنه قوله اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي اصحاب الامر ومن كان صاحب الامر كان
صاحب النهي ووجبت طاعته في هذا وهذا فالنهي داخل في الامر وقال موسى للخضر
ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى
احدث لك منه ذكرا وهذا نهي له عن السوال حتى يحدث له منه ذكرا ولما خرق
السفينة قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا فساله قبل احداث
الذكر وقال في الغلام اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا فساله
قبل احداث الذكر وقال عن الجدار لو شئت لتخذت عليه اجرا وهذا سوال من
جهة المعنى فان السوال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما يقول لو نزلت عندنا
لاكرمناك وان بت الليلة عندنا احسنت الينا ومنه قول ادم ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقول نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك
ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ومثله كثير ولهذا قال
موسى ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فدل على انه ساله الثلث قبل ان يحدث
الذكر وهذا معصية لنهيه وقد دخل في قوله ولا اعصي لك امرا فدل على ان عاصي الامر
ومنه قوله تعالى الا له الخلق والامر وقد دخل النهي في الامر ومنه قوله فليحذر الذين
يخالفون عن امره وقوله وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم
الخيرة من امرهم فان نهيه داخل في ذلك وقد تنازع الفقهاء في قوله لامراته اذا
عصيت امري فانت طالق اذا نهاها فعصته هل يكون ذلك داخلا في قوله على قولين
قيل لا يدخل لان حقيقة النهي غير حقيقة الامر وقيل يدخل لان ذلك يفهم منه في العرف
معصية الامر والنهي وهذا هو الصواب لان ما ذكر في العرف هو حقيقة في اللغة
والشرع فان الامر المطلق في كلامهم اذا قيل اطع امر فلان او فلان يطيع امر فلان
او لا يعصي امره فانه يدخل فيه النهي لان الناهي امر بترك المنهي عنه فلهذا قال سبحانه

[illegible]

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ولم يقل لا تكتموا الحق ولم ينه عن
كل منهما لتلازمهما وليست هذه واو الجمع التي يسميها الكوفيون واو الصرف كما قد
يظنه بعضهم فانه كان يكون المعنى لا تجمعوا بينهما فيكون احدهما وحده غير منهي عنه
وايضا فتلك انما تجي اذا ظهر الفرق كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقوله او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من
محيص ومن عطف الملزوم قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فانهم اذا اطاعوا الرسول فقد اطاعوا الله كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله
واذا اطاع من بلغته رسالة محمد فانه لا بد ان يطيع الرسول فانه لا طاعة لله الا
بطاعته والثالث عطف بعض الشيء عليه كقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها والرابع عطف الشيء على الشيء لاختلاف
الصفتين كقوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي
اخرج المرعى وقوله الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون وقد جاء في الشعر
ما ذكر انه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله والفى قولها كذبا ومينا ومن الناس من يدعي ان
مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله شرعة ومنهاجا وهذا غلط مثل هذا لا يجي في
القران ولا في كلام فصيح وغاية ما يذكر منها يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ كما ادعى بعضهم
ان من هذا قوله الا حبذا هند وارض بها هند وهند والناي والبعد فزعموا انهما
معنى واحد واستشهد بذلك على ما ادعوه من ان الشرعة هي المنهاج فقال
لهم المخالفون لهم الناي اعم من البعد فان الناي كل ما بعد قل او كثر كانه مثل المفارقة
والبعد انما يستعمل فيما كثرت فيه مسافة مفارقته وقد قال تعالى وهم ينهون
عنه وينأون عنه وهم مذمومون على مجانبته والنأي عنه سواء كانوا قريبين او بعيدين
وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول نزلت في ابي طالب وقد قال
النابغة والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل

أي صار كالحوض فهو مجانب للجنة ليس بعيداً منها فصل فإذا
تبين هذا فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ
التقوى وبلفظ الدين كما تقدم فإن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن الإيمان بضع وسبعون
شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فكان كل ما يحبه
الله يدخل في اسم الإيمان وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ
التقوى وكذلك الدين أو دين الإسلام وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل
الله هذه الآية ليس البر أن تولوا وجوهكم الآيات وقد فسر البر بالإيمان وفسر
بالتقوى وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله والجميع حق وقد روي مرفوعاً
إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر البر بالإيمان قال محمد بن نصر ثنا إسحق
ابن إبراهيم ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ والملائي قالا ثنا المسعودي عن القسم
قال جاء رجل إلى أبي ذر فسأله عن الإيمان فقرأ ليس البر أن تولوا وجوهكم إلى آخر
الآية فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله
عن الذي سألتني عنه فقرأ عليه الذي قرأت عليك فقال له الذي قلت لي فلما أبى
أن يرضى قال له إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل
السيئة ساءته وخاف عقابها وقال حدثنا إسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد
الكريم الجزري عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان
فقرأ عليه ليس البر أن تولوا وجوهكم إلى آخر الآية وروي بإسناده عن
عكرمة قال سئل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مقبله
من الشام عن الإيمان فقرأ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب وروى ابن بطة بإسناده عن مبارك بن حسان
قال قلت لسالم الأفطس رجل أطاع الله فلم يعصه ورجل عصى الله فلم يطعه فصار المطيع صار المطيع
إلى الله فأدخله الجنة وصار العاصي إلى الله فأدخله النار هل يتفاضلان في الإيمان
قال لا قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلهم الإيمان طيب أو خبيث فإن الله قال
ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله

في جهنم أولئك هم الخاسرون فسألتهم فلم يجيبوني فقال بعضهم إن الإيمان قول
ليس معه عمل فذكرت ذلك لعطاء فقال سبحان الله أما يقرأون الآية التي في البقرة
ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه
من العمل فقال وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
إلى قوله أولئك هم المتقون فقال سلهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقال ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فألزم الاسم العمل والعمل الاسم ومقصود
عطاء أنه لم يثبت المدح إلا على الإيمان معه العمل لا على إيمان خال عن عمل فإذا عرف
أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه بل يكون
نزاعاً لفظياً مع أنهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وإن قالوا إنه لا يضر
ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكي هذا عنهم وأنهم يقولون إن الله فرض على ان ء
العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية
الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد لكن ما علمت معيناً أحكي عنه هذا
القول وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله وقد يكون قول من لا خلاق له
من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام
الرادين على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله في آخر الآية أولئك الذين
صدقوا وأولئك هم المتقون فقوله صدقوا أي في قولهم آمنا كقوله قالت الأعراب
آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم إلى قوله إنما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
أولئك هم الصادقون أي هم الصادقون في قولهم آمنا بالله بخلاف الكاذبين الذين
قال الله فيهم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وقال تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون
إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا
يكذبون ويكذبون قراءتان فإنهم كذبوا في قولهم آمنا بالله واليوم الآخر وكذبوا

الرسول والباطن وان صدقوه في الظاهر وقال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين فبين انه لا بد ان يفتن الناس اي يمتحنهم ويبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب
اذا ادخلته النار لتميزه مما اختلط به ومنه قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشا وتهدي من تشا اي محنتك وابتلاوك كما ابتليت عبادك بالحسنات
والسيات ليتبين الصبار الشكور من غيره وابتليتهم بارسال الرسل وانزال الكتب
ليتبين المومن من الكافر ويجعل ذلك سببا لضلال قوم وهدى اخرين والقران
فيه كثير من هذا يصف المومنين بالصدق والمنافقين بالكذب لان الطايفتين
قالتا بالسنتهم امنا فمن حقق قوله بعمله فهو مومن صادق ومن قال بلسانه ما
ليس في قلبه فهو كاذب قال الله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم
المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو
نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يوميذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم والله اعلم بما يكتمون فلما قال في اية البر اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون
دل على ان المراد صدقوا في قولهم امنا فان هذا هو القول الذي امروا به وكانوا
يقولونه ولم يومروا ان يلفظوا بالسنتهم يقولون نحن ابرار او بررة من الاقال
الرجال يا برة فهذا من تزكية النفس ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها برة
فقيل تزكي نفسها فسماها النبي صلى الله عليه وسلم زينب بخلاف انشا الايمان بقولهم امنا
فان هذا قد فرض عليهم ان يقولوه قال الله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم وقال في ال عمران قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الاية وقال تعالى امن الرسول بما انزل اليه من
ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فقوله
امن دليل على انهم قالوا امنا لا نفرق ولهذا قال وقالوا سمعنا واطعنا فجمعوا
بين قولهم امنا وبين قولهم سمعنا واطعنا وقد قال في اية البر اوليك هم المتقون فجعل
الابرار هم المتقين عند الاطلاق والتجريد وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد

في قوله وتعاونوا على البر والتقوى ودلت هذه الاية على ان مسمى الايمان ومسمى البر
ومسمى التقوى عند الاطلاق واحد فالمومنون هم المتقون وهم الابرار ولهذا جا في
احاديث الشفاعة الصحيحة يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان
وفي بعضها من في قلبه مثقال ذرة من خير وهذا مطابق لقوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره وذلك الذي هو مثقال ذرة من خير هو مثقال ذرة من ايمان وهولاء المومنون
الابرار الاتقيا اهل السعادة المطلقة وهم اهل الجنة الذين وعدوا بدخولها بلا عذاب صح
وهولاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح
فليس منا فانه ليس من هولاء بل من اهل الذنوب المعرضين للوعيد اسوة امثالهم

فصل وهذا النوع من نمط اسماء الله واسماء رسوله واسماء كتابه واسماء
دينه قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقال
تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه وقال تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارئ المصور له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم فاسماوه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى
من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الاخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته
والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ونفسه تستلزم
جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى
احدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الاخرى بطريق اللزوم وهكذا اسما كتابه القران
والفرقان والكتاب والهدى والبيان والشفا والنور ونحو ذلك هي بهذه المنزلة
وكذلك اسماء رسوله محمد واحمد والماحي والحاشر والمقفي ونبي الرحمة ونبي
التوبة ونبي الملحمة كل اسم يدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الاخرى
وهكذا ما سمي ذكره من القصص في القران لقصة موسى وغيرها ليس المقصود بها ان
يكون سمرا بل المقصود بها ان يكون عبرا كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة
لاولي الالباب والذي وقع شي واحد له صفات فيعبر عنه بعبارات متنوعة كل

عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون وليس هذا من الترادف في شي
وهكذا اسما دينه الذي امر الله به رسوله يسمى ايمانا وبرا وتقوى وخيرا ودينا
وعملا صالحا وصراطا مستقيما ونحو ذلك وهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل
على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الاخرى ويكون تلك الصفة هي الاصل في
اللفظ والباقي تبع لها لازما لها ثم صار دالة عليه بالتضمن فان الايمان اصله الايمان
الذي في القلب ولا بد فيه من شيين تصديق القلب واقراره ومعرفته ويقال لهذا
قول القلب قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بد فيه
من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله
ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله
واخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من اعمال القلوب التي
اوجبها الله ورسوله وجعلها من الايمان ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة وارادة
سرى ذلك الى البدن بالضرورة لا يمكن ان يتخلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها ساير
الجسد واذا فسدت فسد لها ساير الجسد الا وهي القلب وقال ابو هريرة القلب ملك
والاعضا جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقول
ابي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم احسن بيانا فان الملك وان كان صالحا فالجند
لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده او فساد مع
صلاحه بخلاف القلب فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا صلحت صلح لها ساير الجسد واذا فسدت فسد لها ساير الجسد
فاذا كان القلب صالحا بما فيه من الايمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد
بالقول الظاهر والعمل بالايمان المطلق كما قال ائمة الحديث قول وعمل قول باطن
وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الظاهر واذا فسد
فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين

الباطن صلح

امنوا

امنوا اشد حبا لله فوصف الذين امنوا بانهم اشد حبا لله من المشركين وفي الاية
قولان قيل يحبونهم كحب المومنين الله والذين امنوا اشد حبا منهم لاوثانهم وقيل يحبونهم كما
يحبون الله والذين امنوا اشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب والاول قول متناقض
وهو باطل فان المشركين لا يحبون الانداد مثل محبة المومنين الله والمحبة تستلزم
الارادة والارادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع ان يكون الانسان محبا
لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله
فاذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته دل على انه ليس في قلبه الايمان الواجب الذي فرضه
الله عليه ومن هنا يظهر خطا قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا ان الايمان
مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا اعمال القلب من الايمان وظنوا انه قد يكون الانسان
مومنا كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي اوليا الله ويوالي
اعدا الله ويقتل الانبيا ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة
ويهين المومنين غاية الاهانة قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي الايمان الذي في القلب
بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مومن قالوا وانما ثبت له في الدنيا احكام الكفار لان
هذه الاقوال امارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان الباطن
قد يكون بخلاف ما اقر به وبخلاف ما شهد به الشهود فاذا اورد عليهم الكتاب والسنة
والاجماع على ان الواحد من هولا كافر في نفس الامر معذب في الاخرة قالوا فهذا دليل
على انتفاء التصديق والعلم من قلبه فالكفر عندهم شي واحد وهو الجهل والايمان شي
واحد وهو العلم او تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب
شي غير العلم او هو هو وهذا القول مع انه افسد قول قيل في الايمان فقد ذهب
اليه كثير من اهل الكلام المرجية وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح واحمد
بن حنبل وابي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا ابليس كافر بنص
القران وانما كفر باستكباره وامتناعه عن السجود لادم لا لكونه كذب خبرا
وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقال موسى صلى الله عليه لفرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات
والارض بصاير بعد قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فاسال بني اسرايل اذ

جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات
والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا فموسى وهو الصادق المصدوق يقول
لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فدل على أن فرعون كان
عالما بأن الله أنزل هذه الآيات وهو من أكبر خلق الله عنادا وبغيا لفساد إرادته
وقصده لا لعدم علمه قال تعالى إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين وقال تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله فيهم فإنهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فهؤلاء غلطوا في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد
تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب
وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فإن أعمال القلب التي يسميها بعض الصوفية
أحوالا ومقامات ومنازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها
مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من
الإيمان المستحب فالأول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب
اليمين والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من
أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده
دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع
خشيته كما قال هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله والثاني
ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من
العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف
بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره
ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك
الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق

معه

معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما
لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض
كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة
إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس
كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة
صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح أنؤمن
لك واتبعك الأرذلون ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا
مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي
وقاص وابن مسعود وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة
قبل أن يكون في الصحابة أهل صفة فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من
الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ومثل قول فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون وقول فرعون ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ومثل مشركي العرب إن نتبع الهدى قول
معك نتخطف من أرضنا قال الله تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل
شيء رزقا من لدنا ومثل قول قوم شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل أن نترك
في أموالنا ما نشاء ومثل قول عامة المشركين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مقتدون وهذه الأمور وأمثالها ليست حججا تقدح في صدق الرسل بل تبين أنها
تخالف إراداتهم وأهواءهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوه وهؤلاء كلهم هالكون وأبو طالب
وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا
يعلمون صدقه ولكن في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم
ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بل لهوى الأنفس
فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل
كافر جاهلا بالحق حتى قالوا هو لا يعرف أن الله موجود حق والكفر عندهم ليس هو الجهل

باي حق كان بل الجهل بهذا الحق المعين ونحو والناس كلهم يرون خلقا من الكفار في الباطن
يعرفون ان دين الاسلام حق ويذكرون ما يمنعهم من الايمان اما معاداه اهلهم واما مال يحصل
لهم من جهتهم يقطعونه واما خوفهم اذا امنوا ان لا يكون لهم حرمه عند المسلمين وامثال
ذلك من اغراضهم التي يظنون انها هي المانعه لهم من الايمان مع علمهم بان دين الاسلام حق
ودينهم باطل وهذا موجود في جميع الامور التي هي حق يوجد من يعرف بقلبه انها حق
وهو في الظاهر يجحد ذلك ويعادي اهله لظنه ان ذلك يجلب له منفعه ويدفع عنه مضره
قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايره فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا
على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين والمفسرون متفقون على انها
نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الاسلام وفي قلبه مرض خاف ان يغلب اهل
الاسلام فيوالي الكفار من اليهود وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم ان
محمدا كاذب واليهود والنصارى صادقون واشهر النقول في ذلك ان عباده بن
الصامت قال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود واني ابرا الى الله من ولايه يهود فقال
عبد الله بن ابي لكني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولايه يهود فنزلت هذه الايه والمرجيه
الذين قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان والاعمال ليست منه كان منهم طايفه
من فقهاء الكوفه وعبادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا ان الانسان لا يكون
مومنا ان لم يتكلم بالايمان مع قدرته عليه وعرفوا ان ابليس وفرعون وغيرهما كفار
مع تصديق قلوبهم لكنهم اذا لم يدخلوا اعمال القلوب في الايمان لزمهم قول جهم
وان ادخلوها في الايمان لزمهم دخول اعمال الجوارح ايضا فانها لازمه لها ولكن هولاء لهم حجج
شرعيه بسببها اشتبه الامر عليهم فانهم راوا ان الله قد فرق في كتابه
بين الايمان والعمل فقال في غير موضع ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وراوا
ان الله خاطب الانسان بالايمان قبل وجود الاعمال فقال يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاه
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاه من يوم الجمعه

وقالوا

وقالوا لو ان رجلا امن بالله ورسوله ضحوه ومات قبل ان يجب عليه شي من الاعمال
مات مومنا وكان من اهل الجنه فدل على ان الاعمال ليست من الايمان وقالوا نحن
نسلم ان الايمان يزيد بمعنى انه كان كلما انزل الله ايه وجب التصديق بها فانضم
هذا التصديق الى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما انزله الله ما بقي الايمان يتفاضل
عندهم بل ايمان الناس كلهم سوا ايمان السابقين الاولين كابي بكر وعمر وايمان افجر الناس
كالحجاج وابي مسلم الخراساني وغيرهما والمرجيه المتكلمون منهم والفقها منهم
يقولون ان الاعمال قد تسمى ايمانا مجازا لان العمل ثمره الايمان ومقتضاه ولانها دليل
عليه ويقولون قوله الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبه افضلها
قول لا اله الا الله وادناها دليل عليه ويقولون نحو له الايمان اماطه الاذى عن الطريق
مجاز والمرجيه ثلاثه اصناف الذين يقولون الايمان مجرد ما في القلب ثم من هولاء من
يدخل فيه اعمال القلوب وهم اكثر فرق المرجيه كما قد ذكر ابو الحسن الاشعري
اقوالهم في كتابه وذكر فرقا كثيره يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل اقوالهم ومنهم من لا يدخلها
كالجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو واكثر اصحابه والقول الثاني من
يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل الكراميه والثالث تصديق
القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن اهل الفقه والعباده منهم وهولاء
غلطوا من وجوه احدها ظنهم ان الايمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق
العباد وان الايمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص وليس الامر
كذلك فان اتباع الانبياء المتقدمين اوجب الله عليهم من الايمان ما لم يوجبه على امه محمد
واوجب على امه محمد من الايمان ما لم يوجبه عليهم والايمان الذي كان يجب قبل نزول
جميع القران ليس هو مثل الايمان الذي يجب بعد نزول القران والايمان الذي
يجب على من عرف ما اخبر به الرسول مفصلا ليس مثل الايمان الذي يجب على
من عرف ما اخبر به الرسول مجملا فانه لا بد في الايمان من تصديق الرسول
في كل ما اخبر لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الايمان
غير ذلك واما من بلغه القران والاحاديث وما فيهما من الاخبار والاوامر المفصله فيجب
عليه من التصديق المفصل بخبر خبر وامر امر ما لا يجب على من لم يجب عليه الا الايمان

امر

المجمل المرتبة قبل ان يبلغه شيء اخر وايضًا لو قدر انه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة
ان يعرف كل ما امر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما اخبر به بل انما عليه ان يعرف ما يجب عليه
هو وما يحرم عليه فمن لا مال له لا يجب ان يعرف امره المفصل في الزكاة ومن لا استطاعة
له على الحج ليس عليه ان يعرف امره المفصل بالمناسك ومن لم يتزوج ليس عليه ان يعرف ما
وجب للزوجة فصار يجب من الايمان تصديقًا وعملًا على اشخاص ما لا يجب على اخرين وبهذا
يظهر الجواب عن قولهم خوطبوا بالايمان قبل الاعمال فنقول ان قلتم انهم خوطبوا به قبل
ان تجب تلك الاعمال فقبل وجوبها لم تكن من الايمان وكانوا مومنين الايمان الواجب عليهم
قبل ان يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه فلما نزل ان لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مومنين
ولهذا قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله
غني عن العالمين ولهذا لم يجي ذكر الحج في اكثر الاحاديث التي فيها الاسلام كحديث وفد عبد والايمان؟
القيس وحديث الرجل النجدي الذي يقال له ضمام بن ثعلبة وغيرهما وانما جاء ذكر الحج في
حديث ابن عمر وجبريل لان الحج اخر ما فرض من الخمس فكان قبل فرضه لا يدخل
في الايمان والاسلام فلما فرض ادخله النبي صلى الله عليه وسلم في الايمان اذا افرد وادخله في الاسلام
اذا قرن بالايمان واذا افرد وسنذكر ان شاء الله تعالى في غير ذلك قولهم من امن متى؟
ومات قبل وجوب العمل عليه مات مومنا فصحيح لانه اتى بالايمان الواجب عليه والعمل
لم يكن وجب عليه بعد فهذا مما يجب ان يعرف فانه تزول به شبهة حصلت للطايفتين
واذا قيل الاعمال الواجبة من الايمان فالايمان الواجب متنوع ليس شيئا واحدا في
حق جميع الناس واهل السنة والحديث يقولون جميع الاعمال الحسنة واجبها
ومستحبها من الايمان اي من الايمان الكامل والمستحبات ليست من الايمان الواجب
فيفرق بين الايمان الواجب وبين الايمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء الغسل
ينقسم الى مجزئ وكامل فالمجزئ ما اتى فيه بالواجبات فقط والكامل ما اتى فيه
بالمستحبات ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب وقد يراد به الكمال المستحب
واما قولهم ان الله فرق بين الايمان والعمل في مواضع فهذا صحيح وقد بينا ان الايمان
اذا اطلق ادخل الله ورسوله فيه الاعمال المامور بها وقد يقرن به الاعمال وذكرنا
نظاير ذلك كثيرة وذلك لان اصل الايمان هو ما في القلب والاعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور

وجود

وجود ايمان القلب الواجب مع عدم جميع اعمال الجوارح بل متى نقصت الاعمال الواجبة
الظاهرة كان لنقص الايمان الذي في القلب فصار الايمان متناولا للملزوم واللازم وان كان
اصله ما في القلب وحيث عطفت عليه الاعمال فانه اريد انه لا يكتفى بايمان القلب بل لا بد
معه من الاعمال الصالحة ثم للناس في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل
في المعطوف عليه اولا ثم ذكره باسمه الخاص تخصيصًا له لئلا يظن انه لم يدخل في
الاول وقيل بل هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام كقوله من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم فخص الايمان بما نزل على محمد بعد قوله
الذين امنوا وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من المومنين وقوله حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكوة والصلاة والزكاة من العبادة فقوله امنوا
وعملوا الصالحات كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلاة ويوتوا الزكاة فانه قصد اولا ان تكون العبادة لله وحده لا لغيره ثم امر
بالصلاة والزكاة ليعلم انهما عبادتان واجبتان فلا يكتفى بمطلق العبادة الخالصة
دونهما وكذلك يذكر الايمان اولا لانه الاصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فانه
ايضا من تمام الدين لا بد منه فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد ايمان ليس معه العمل
الصالح ولذلك قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
وقد قيل هؤلاء هم اهل الكتاب الذين امنوا بما انزل عليه وما انزل على من قبله كابن سلام
ونحوه وان هؤلاء نوع غير النوع المتقدم الذين يومنون بالغيب وقد قيل هؤلاء جميع
المتقين الذين امنوا بما انزل اليه وما انزل من قبله وهؤلاء هم الذين يومنون بالغيب وهم
صنف واحد وانما عطفوا لتغاير الصفتين كقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى فهو سبحانه واحد

وعطف بعض صفاته على بعض وكذلك قوله والصلاة الوسطى وصلاة العصر والصفات
اذا كانت معارف كانت للتوضيح وتضمنت المدح او الذم تقول هذا الرجل هو الذي
فعل كذا وهو الذي فعل كذا وهو الذي فعل كذا تعدد محاسنه ولهذا مع الاتباع قد
يعطفونها وينصبون او يرفعون وهذا القول هو الصواب فان المومنين بالغيب
ان لم يومنوا بما انزل اليه وما انزل من قبله لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين
ولا متقين وكذلك الذين امنوا بما انزل اليه وما انزل من قبله ان لم يكونوا من الذين
يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون لم يكونوا على هدى
من ربهم ولم يكونوا مفلحين ولم يكونوا متقين فدل على ان الجميع صفة المهتدين
المتقين الذين اهتدوا بالكتاب المنزل الى محمد فعطفت هذه الصفة على
تلك مع انها داخلة فيها لان المقصود صفة ايمانهم وانهم يومنون بجميع ما انزل الله
على انبيائه لا يفرقون بين احد منهم والا فاذا لم يذكر الا الغيب فقد يقول من
يومن ببعض ويكفر ببعض نحن نومن بالغيب ولما كانت سورة البقرة سنام
القران ويقال انها اول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله باربع ايات في صفة
المومنين وايتين في صفة الكافرين وبضع عشرة اية في صفة المنافقين فانه
من حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم صار الناس ثلثة اصناف اما مومن واما
كافر مظهر للكفر واما منافق بخلاف ما كانوا بمكة فانه لم يكن هناك منافق ولهذا قال
احمد بن حنبل وغيره لم يكن في المهاجرين منافق وانما كان النفاق في قبايل الانصار
فان مكة كانت للكفار مستولين عليها فلا يومن ويهاجر الا من هو مومن ليس هناك
داعي يدعو الى النفاق والمدينة امن بها اهل الشوكة فصار للمومنين بها عز ومنعة
بالانصار فمن لم يظهر الايمان اذوه فاحتاج المنافقون الى اظهار الايمان مع ان قلوبهم
لم تومن والله تعالى افتتح البقرة وختم البقرة ووسط البقرة بالايمان بجميع ما
جات به الانبياء فقال في اولها ما تقدم وقال في وسطها قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق

فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقال في اخرها امن الرسول بما انزل اليه
من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الاية الاخرى وفي الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة كفتاه والاية
الوسطى قد ثبت في الصحيح انه كان يقرا بها في ركعتي الفجر تارة وبقوله يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الاية وبقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد تارة
فيقرا بما فيه من ذكر الايمان والاسلام او بما فيه ذكر التوحيد والاخلاص فعلى قول من يقول
ان الاعمال الصالحة المعطوفة على الايمان دخلت في الايمان وعطفت عليه عطف
الخاص على العام اما لذكره خصوصا بعد عموم واما لكونه اذا عطف كان دليلا على انه لم يدخل
في العام وقيل بل الاعمال في الاصل ليست من الايمان فان اصل الايمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة
له فمن لم يفعلها كان ايمانه منتفيا لان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت
بعرف الشارع داخلة في اسم الايمان اذا اطلق كما تقدم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان ان مجرد ايمانه بدون الاعمال الصالحة اللازمة
للايمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصا ليعلم ان الثواب الموعود به
في الاخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون الا لمن امن وعمل صالحا لا يكون لمن ادعى الايمان
ولم يعمل وقد بين سبحانه في غير موضع ان الصادق في قوله امنت لا بد ان يقوم
بالواجب وحصر الايمان في هولاء يدل على انتفائه عمن سواهم وللجهمية هنا سوال
ذكره ابو بكر الحسن في كتاب الموجز وهو ان القران نفى الايمان عن غير هولاء كقوله عن
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ولم يقل ان هذه الاعمال من الايمان
قالوا فنحن نقول من لم يعمل هذه الاعمال لم يكن مومنا لان انتفاها دليل على انتفا
العلم من قلبه والجواب ______ عن هذا من وجوه احدها انكم سلمتم ان
هذه الاعمال لازمة لايمان القلب فاذا انتفت لم يبق في القلب ايمان وهذا هو
المطلوب وبعد هذا فكونها لازمة او جزءا نزاع لفظي الثاني ان نصوصا صرحت
بانها جزء كقوله الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبة الثالث انكم ان قلتم
بان من انتفى عنه هذه الامور فهو كافر خال من كل ايمان كان قولكم قول الخوارج وانتم

في طرف والخوارج في طرف فكيف توافقونهم ومن هذه الامور اقام الصلاة وايتا
الزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد والاجابة الى حكم الله ورسوله وغير ذلك
مما لا تكفرون تاركه وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج الرابع ان قول القايل ان انتفا
بعض هذه الاعمال يستلزم ان لا يكون في قلب الانسان شي من التصديق بان الرب
حق قول يعلم فساده بالاضطرار الخامس ان هذا اذا ثبت في هذه ثبت في ساير
بلغ الواجبات فيرتفع النزاع المعنوي فصل الوجه الثاني من غلط
المرجية ظنهم ان ما في القلب من الايمان ليس الا التصديق فقط دون اعمال القلب كما
تقدم عن جهمية المرجية الثالث ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاما بدون
شي من الاعمال ولهذا يجعلون الاعمال ثمرة الايمان ومقتضاه بمنزلة السبب ولا يجعلونها مع المسبب صح
لازمة له والتحقيق ان ايمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع
ان يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر ولهذا صاروا يقدرون مسايل يمتنع وقوعها
لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب مثل ان يقولوا رجل في قلبه من
الايمان مثل ما في قلب ابي بكر وعمر وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان
ويزني بامه واخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مومن تام
الايمان فيبقى ساير المومنين ينكرون ذلك غاية الانكار قال احمد بن حنبل ثنا خلف بن
حيان ثنا معقل بن عبيد الله العبسي قال قدم علينا سالم الافطس بالارجا فنفر منه
اصحابنا نفورا شديدا منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فاما عبد الكريم
فانه عاهد الله ان لا يوويه واياه سقف بيت الا المسجد قال معقل
فحججت فدخلت على عطا بن ابي رباح في نفر من اصحابي وهو يقرا حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قلت ان لنا حاجة فاخلنا ففعل فاخبرته ان قوما قبلنا
قد احدثوا وتكلموا وقالوا ان الصلاة والزكاة ليستا من الدين فقال اوليس الله يقول
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة ويوتوا
الزكاة وذلك دين القيمة فالصلاة والزكاة من الدين قال فقلت انهم يقولون ليس
في الايمان زيادة فقال اوليس قد قال الله فيما انزل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فما
الايمان فقلت انهم انتحلوك وبلغني ان ابن ذر دخل عليك في اصحاب له فعرضوا عليك

قولهم

قولهم فقبلته فقلت هذا الامر فقال لا والله الذي لا اله الا هو مرتين او ثلاثا قال ثم قدمت
المدينة فجلست الى نافع فقلت له يا ابا عبد الله ان لي اليك حاجة فقال سر ام علانية
فقلت لا بل سر قال رب سر لا خير فيه فقلت ليس من ذلك فلما صلينا العصر قام واخذ
بثوبي ثم خرج من الخوخة ولم ينتظر القاص فقال حاجتك قال فقلت اخلني منه فقال
تنح قال فذكرت له قولهم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اضربهم
بالسيف حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله فقد عصموا مني دماهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال قلت انهم يقولون نحن نقر بان الصلاة فرض ولا نصلي
وبان الخمر حرام ونشربها وان نكاح الامهات حرام ونحن ننكح فنتر يده
من يدي وقال من فعل هذا فهو كافر قال معقل فلقيت الزهري فاخبرته بقولهم فقال
سبحان الله وقد اخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن قال معقل فلقيت
الحكم بن عتيبة فقلت له ان عبد الكريم وميمون بلغهما انه دخل عليك ناس من المرجية
فعرضوا قولهم عليك فقبلت قولهم قال فقبل ذلك على ميمون وعبد الكريم قال دخل علي منهم
اثنا عشر رجلا وانا مريض فقالوا يا ابا محمد بلغك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه
رجل بامة سودا او حبشية فقال يا رسول الله علي رقبة مومنة افترى هذه مومنة
فقال لها رسول الله اتشهدين ان لا اله الا الله فقالت نعم قال اتشهدين ان محمدا
رسول الله قالت نعم قال اتشهدين ان الجنة حق والنار حق قالت نعم قال اتشهدين
ان الله يبعث من بعد الموت قالت نعم فاعتقها فخرجوا وهم ينتحلوني قال معقل ثم جلست
الى ميمون بن مهران فقلت يا ابا ايوب لو قرات لنا سورة نفسرها فقرا او قال فقرا اذا
الشمس كورت حتى اذا بلغ مطاع ثم امين قال ذاكم جبريل والخيبة لمن يقول ان ايمانه كايمان
جبريل ورواه حنبل عن احمد ورواه ايضا عن ابن ابي مليكة قال لقد اتى علي برهة
من الدهر وما اراني ادرك قوما يقول احدهم اني مومن مستكمل الايمان ثم ما رضي
حتى قال ايماني على ايمان جبريل وميكايل وما زال بهم الشيطان حتى قال احدهم اني
مومن وان نكح اخته وامه وبنته والله لقد ادركت كذا وكذا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ما مات احد منهم الا وهو يخشى على نفسه النفاق وقد ذكر هذا المعنى

عنه البخاري في صحيحه قال ادركت ثلثين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم
يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول بانه على ايمان جبريل وروى البغوي عن عبد الله
ابن محمد عن ابن مجاهد قال كنت عند عطاء ابن ابي رباح فجا ابنه يعقوب فقال يا ابتاه
ان اصحابنا الي يزعمون ان ايمانهم كايمان جبريل فقال يا بني ليس ايمان من اطاع الله كايمان
من عصى الله قلت قوله عن المرجية انهم يقولون ان الصلاة والزكاة ليستا من
الدين فلا يقول بعضهم فانهم كلهم يقولون ليستا من الايمان واما من الدين فقد حكى
عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين الايمان والدين ومنهم من يقول
بل هما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم الدين وهذا هو المعروف من اقوالهم التي
يقولونها عن انفسهم ولهذا لم ارى في كتاب احد منهم انه قال ان الاعمال ليست من
الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى ابو عبيد عمن ناظره منهم فان ابا
عبيد وغيره يحتجون بان الاعمال من الدين فذكر قوله اليوم اكملت لكم دينكم
انها نزلت في حجة الوداع قال ابو عبيد فاخبر انه انما اكمل الدين الان في اخر
الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم هولاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين
سنة من اول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس الى الاقرار وقال حتى لقد اضطر
بعضهم حين ادخلت عليه هذه الحجة الى ان قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن
الدين ثلثة اجزا فالايمان جزو والفرايض والنوافل جزو ثلث هذا الذي قاله
هو مذهب القوم قال ابو عبيد وهذا غير ما نطق به الكتاب الا تسمع
الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وقال ورضيت لكم الاسلام دينا فاخبر ان الاسلام هو الدين برمته وزعم هولاء
انه ثلث الدين قلت انما قالوا ان الايمان ثلث لم يقولوا ان الايمان
ثلث الدين لكنهم فرقوا بين مسمى الايمان ومسمى الدين وسنذكر ان شا الله الكلام
في مسمى هذا ومسمى هذا فقد حكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا يفرق
بين اسم الايمان واسم الدين ومنهم من يقول بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الايمان
واسم الدين والشافعي رضي الله عنه كان معظما لعطا ابن ابي رباح ويقول ليس في
التابعين اتبع للحديث منه وكذلك ابو حنيفة قال ما رايت مثل عطا وقد اخذ

الشافعي هذه الجملة عن عطا فروي من وجوه في مناقب الشافعي ان ابا الميموني
ابو عثمان بن الشافعي سمعت ابي يقول ليلة للحميدي ما يحتج عليهم يعني اهل الارجا باية
احج من قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة
ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الام في باب النية
في الصلاة يحتج بان لا يجزي صلاة الا بنية بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية ثم قال وكان الاجماع من الصحابة والتابعين
من بعدهم ومن ادركناهم يقولون الايمان قول وعمل ونية لا يجزي واحد من الثلث
الا بالاخر وقال حنبل ثنا الحميدي قال واخبرت ان ناسا يقولون من اقر بالصلاة
والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيا حتى يموت ويصلي مستدبر القبلة
حتى يموت فهو مومن ما لم يكن جاحدا اذا علم ان تركه ذلك فيه ايمانه اذا كان
مقرا بالفرايض واستقبال القبلة فقلت هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله
وسنة رسوله وعلما المسلمين قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفا ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقال حنبل سمعت ابا عبد الله
احمد بن حنبل يقول من قال هذا فقد كفر بالله ورد على الله امره وعلى الرسول
ما جا به قلت واما احتجاجهم بقوله للامة اعتقها فانها مومنة فهو من
حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب وكان يقول الايمان هو التصديق والقول جميعا
فكان قوله اقرب من قول جهم واتباعه وهذه الحجة فيه ان الايمان الظاهر الذي
يجري عليه الاحكام في الدنيا لا يستلزم الايمان الباطن الذي يكون صاحبه من اهل
السعادة في الاخرة فان المنافقين الذين قالوا امنا بالله وباليوم (الاخر) وما هم بمومنين
هم في الظاهر مومنين يصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون والمسلمون
يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم النبي صلى
الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ولا موارثتهم
ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن ابي بن سلول وهو من اشهر الناس بالنفاق
ورثه عبد الله ابنه وهو من خيار المسلمين وكذلك ساير من كان يموت منهم ورثه
ورثته المومنون واذا مات لاحدهم وارث ورثوه مع المسلمين وقد تنازع العلما

في المنافق الزنديق الذي يكتم ايمانه زندقته هل يرث ويورث على قولين والصحيح انه يرث ويورث وان علم انه في الباطن منافق كما كان الصحابه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لان الميراث مبناه على الموالاه الظاهره لا على المحبة التي في القلوب فانه لو علق بذلك لم يمكن معرفته والحكمه اذا كانت خفيه او منتشره علق الحكم بمظنتها وهو ما اظهره من موالاه المسلمين فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لم يدخل فيه المنافقون وان كانوا في الاخره في الدرك الاسفل من النار بل كانوا يورثون ويرثون ولذلك كانوا في الحقوق والحدود كساير المسلمين وقد اخبر الله عنهم انهم يصلون ويزكون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم قال تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاه الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاه قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاه المنافق تلك صلاه المنافق تلك صلاه المنافق يرقب حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي كما خرج ابن ابي في غزوه بني المصطلق وقال فيها لين رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل وفي الصحيح عن زيد بن ارقم وفي غزوه تبوك استنفرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما استنفر غيرهم فخرج بعضهم معه وبعضهم تخلفوا وكان في الذين خرجوا معه من هم بقتله في الطريق هموا بحل حزام ناقته ليقع في واد هناك فجاه الوحي فاسر الى حذيفه اسماهم ولذلك يقال هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره كما ثبت ذلك في الصحيح ومع هذا ففي الظاهر يجري عليهم احكام اهل الايمان وبهذا يظهر الجواب عن شبه كثيره تورد في هذا المقام فان كثيرا من المتاخرين ما بقي المظهرين للاسلام عندهم الا عدلا او فاسقا واعرضوا عن حكم المنافقين والمنافقون ما زالوا ولا يزالون الى يوم القيمه والنفاق شعب كثيره وقد كان الصحابه يخافون النفاق على انفسهم ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايه المنافق

ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وفي لفظ لمسلم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصله منهن كانت فيه خصله من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا ايتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اولا يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك قال تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكن دماؤهم واموالهم معصومه لا يستحل منهم ما يستحله من اهل الذين يظهرون انهم مومنون بل يظهرون الكفر دون الايمان فانه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ولما قال لاسامه بن زيد اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال انما قالها تعوذا قال هلا شققت عن قلبه وقال اني لم اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم وكان اذا استوذن في قتل رجل يقول اليس يصلي اليس يتشهد فاذا قيل له انه منافق قال ذلك فكان صلى الله عليه وسلم حكمه في دمايهم واموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيا الا بامر ظاهر مع انه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينه مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون انه منافق ومن علم انه منافق لم يصل عليه وكان عمر اذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصلي عليه حذيفه لان حذيفه كان قد علم اعيانهم وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار فامر بامتحانهن هنا وقال الله اعلم بايمانهن والله تعالى لما امر والهاره نعمو

رقبة مومنة لم يكن على الناس ان لا يعتقوا الا من يعلموا ان الايمان في قلبه فان هذا
كما لو قيل لهم اقتلوا الا من علمتم ان الايمان في قلبه وهم لم يومروا ان ينقبوا عن قلوب
الناس ولا يشقوا بطونهم فاذا راوا رجلا يظهر الايمان جاز لهم عتقه وصاحب الجارية
لما سال النبي صلى الله عليه وسلم هل هي مومنة انما اراد الايمان الظاهر الذي يفرق فيه
بين المسلم والكافر ولذلك من عليه نذر لم يلزمه ان يعتق الا من علم ان الايمان في
قلبه فانه لا يعلم ذلك مطلقا بل ولا احد من الخلق يعلم ذلك مطلقا وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعلم الخلق والله يقول له وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل
المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين فاولئك انما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم بحكمه في ساير المومنين ولو حضرت جنازة احدهم
صلى عليها ولم يكن منهيا عن الصلاة الا على من علم نفاقه والا لزم ان يفتش عن قلوب الناس
ويعلم سرايرهم وهذا لا يقدر عليه بشر ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة
بقوله ومنهم ومنهم صار يعرف نفاق ناس لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك فان
الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان الناس يجزمون بانها مستلزمة
لنفاقهم وان كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم يعلمه فلم يكن نفاقهم معلوما عند
الجماعة بخلاف حالهم لما نزل القران ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق وما
بقي يمكنهم من اظهاره احيانا ما كان يمكنهم قبل ذلك وانزل الله تعالى لين لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التي قد خلت من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما توعدوا بالقتل اذا اظهروا النفاق كتموه ولهذا تنازع
الفقهاء في استتابة الزنديق فقيل يستتاب واستدل من قال ذلك بان المنافقين
الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل سرايرهم الى الله فيقال له هذا
كان في اول الامر وبعد هذا انزل الله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
فعلموا انهم ان اظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكتموه والزنديق هو المنافق وانما
يقتله من يقتله اذا ظهر منه انه يكتم النفاق قالوا ولا تعلم توبته لان غاية
ما عنده انه يظهر ما كان يظهر وقد كان يظهر الايمان وهو منافق ولو قبلت

توبة الزنادقة لم يكن سبيل الى تقتيلهم والقران قد توعدهم بالتقتيل والمقصود
ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن تلك الامة بالايمان الظاهر الذي علقت به الاحكام
الظاهرة والا فقد ثبت عنه ان سعد بن ابي وقاص لما شهد لرجل انه مومن قال او
مسلم وكان يظهر من الايمان ما تظهره الامة وزيادة فيجب ان يفرق بين احكام المومنين
الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الاخرة بالثواب والعقاب فالمومن
المستحق للجنة لا بد ان يكون مومنا في الباطن باتفاق جميع اهل القبلة حتى الكرامية
الذين يسمون المنافق مومنا ويقولون الايمان هو الكلمة يقولون انه لا ينفع في الاخرة
الا الايمان الباطن وقد حكى بعضهم عنهم انهم يجعلون المنافقين من اهل الجنة وهو غلط عليهم
انما نازعوا في الاسم لا الحكم بسبب شبهة المرجية في ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل
ولهذا اكثر ما اشترط الفقهاء في الرقبة التي تجزي في الكفارة العمل الظاهر وتنازعوا
هل يجزي الصغير على قولين معروفين للسلف هما روايتان عن احمد فقيل لا يجزي
عتقه لان الايمان قول وعمل والصغير لم يومن بنفسه انما ايمانه تبعا لابويه في احكام
الدنيا ولم يشترط احد ان يعلم انه مومن في الباطن وقيل بل يجزي عتقه لان العتق
من الاحكام الظاهرة وهو تبع لابويه فكما انه يرث منهما ويصلى عليه ولا يصلى الا على
مومن فانه يعتق وكذلك المنافقون الذين لم يظهر نفاقهم يصلى عليهم اذا ماتوا ويدفنوا
في مقابر المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة
خلفايه يدفن فيها كل من اظهر الايمان وان كان منافقا في الباطن لم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون
بها عن المسلمين في شي من ديار الاسلام كما يكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها ومن
دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون والصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنص القران فعلم
ان ذلك بناء على الايمان الظاهر والله يتولى السراير وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم
ويستغفر لهم حتى نهي عن ذلك وعلل ذلك بالكفر فكان ذلك دليلا على ان كل من لم يعلم انه كافر
في الباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وان كانت فيه بدعة وان كان له ذنوب
واذا ترك الامام او اهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة او فجور زجرا
عنها لم يكن ذلك محرما للصلاة عليه والاستغفار له بل قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن
كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغال وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له صلوا على صاحبكم

وروي انه كان يستغفر للرجل في الباطن وان كان في الظاهر يدع ذلك زجراً عن مثل مذهبه
كما روي في حديث محلم بن جثامة وليس في الكتاب والسنة المظهرون للاسلام الا
قسمان مؤمن او منافق فالمنافق في الدرك الاسفل من النار والاخر مؤمن ثم قد يكون
ناقص الايمان فلا يتناوله الاسم المطلق وقد يكون تام الايمان وهذا ياتي الكلام عليه ان شا الله
في مسئلة الاسلام والايمان واسما الفساق من اهل الملة لكن المقصود هنا انه لا يجعل احد
بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها ولو دعا الناس اليها كافراً في الباطن الا اذا كان
منافقاً فاما من كان في قلبه الايمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تاوله من
البدع فهذا ليس بكافر اصلاً والخوارج كانوا من اظهر الناس بدعة وقتالاً للامة وتكفيراً
لها ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن ابي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في
المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الاثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع وكذلك
سائر الثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن
منافقاً بل كان مومناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وان اخطا في التاويل
كائناً ما كان خطاه وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق
الذي يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار ومن قال ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم
يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين بل واجماع الايمة الاربعة وغير الاربعة فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين
وسبعين فرقة وانما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا بعضهم
الموضع وانما قال الايمة بكفر هذا لان هذا فرض ما لا يقع فيمتنع ان يكون الرجل
لا يفعل شيا مما امر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج ويفعل ما يقدر عليه
من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء والى غير القبلة ونكاح الامهات وهو مع ذلك
مومن في الباطن بل لا يفعل ذلك الا لعدم الايمان الذي في قلبه ولهذا كان اصحاب ابي
حنيفة يكفرون انواعاً ممن يقول كذا وكذا لما فيه من الاستخفاف ويجعلونه مرتداً
ببعض هذه الانواع مع النزاع اللفظي الذي بين اصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو النزاع اللفظي
داخل في اسم الايمان ام لا ولهذا فرض متاخرو الفقها مسالة يمتنع وقوعها وهو
ان الرجل اذا كان مقراً بوجوب الصلاة فدعي اليها وامتنع واستتيب ثلاثاً مع تهديده

بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافراً او فاسقاً على قولين وهذا الفرض باطل
فانه يمتنع في الفطرة ان يكون الرجل يعتقد ان الله فرضها عليه وانه يعاقبه
على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك هذا لا
يفعله بشر قط بل ولا يضرب احد ممن يقر بوجوب الصلاة الا صلى لا ينتهي الامر
الى القتل وسبب ذلك ان القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الانسان الا لامر عظيم
مثل لزومه لدين يعتقد انه ان فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل وسوا كان الدين
حقاً او باطلاً اما مع اعتقاده ان الفعل يجب عليه باطناً وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة
اصعب عليه من احتمال القتل قط ونظير هذا لو قيل ان رجلاً من اهل السنة
قيل له ترض عن ابي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده
فضلهما ومع عدم الاعذار المانعة له من الترضي عنهما فهذا لا يقع قط وكذلك لو
قيل ان رجلاً يشهد ان محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه
ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لاجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا
يمتنع ان يكون في الباطن يشهد ان محمداً رسول الله ولهذا كان القول
الظاهر من الايمان الذي لا نجاة الا به عند عامة السلف والخلف الاولين
والاخرين الا الجهمية جهماً ومن وافقه فانه اذا قدر انه معذور لكونه
اخرس او لكونه خائفاً من قوم ان اظهر الاسلام اذوه ونحو ذلك فهذا يمكن لا ان صح
يتكلم مع ايمان في قلبه كالمكره على كلمة الكفر قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله وهذه الاية مما
يدل على فساد قول جهم فانه جعل كل من تكلم بالكفر من اهل وعيد الكفار الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان فان قيل فقد قال ولكن من شرح بالكفر صدراً قيل وهذا
موافق لاولها فانه من كفر من غير اكراه فقد شرح بالكفر صدراً والا ناقض اول
الاية اخرها ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا اكراه
لم يستثن المكره فقط بل كان يجب ان يستثني المكره وغير المكره اذا لم يشرح
صدره واذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدراً وهي كفر وقد دل على
ذلك قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم

قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف
عن طايفة منكم نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين فقد اخبر انهم كفروا بعد ايمانهم مع قولهم
انا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب وبين ان الاستهزا بايات الله كفر
ولا يكون هذا الا ممن شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الايمان في قلبه منعه ان
يتكلم بهذا الكلام والقران يبين ان ايمان القلب مستلزم العمل الظاهر بحسبه
كقوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اوليك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون الى
قوله انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واوليك هم المفلحون فنفى الايمان عمن تولى عن طاعة الرسول واخبر ان المومنين اذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم سمعوا واطاعوا فبين ان هذا من لوازم الايمان ٥٥

فصل فان قيل فاذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به
ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك بطل الايمان فيلزم تكفير اهل الذنوب كما يقوله
الخوارج او تخليدهم في النار وسلبهم اسم الايمان بالكليه كما يقوله المعتزله وكلا هذين
القولين شر من قول المرجيه فان المرجيه منهم جماعه من العلماء والعباد المذكورين
عند الامه بخير واما الخوارج والمعتزله فاهل السنه والجماعه من جميع الطوايف
مطبقين على ذمهم قيل اولا ينبغي ان يعرف ان القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزله
عليه احد من اهل السنه هو القول بتخليد اهل الكباير في النار فان هذا القول من
البدع المشهوره وقد اتفق الصحابه والتابعون لهم باحسان وساير ايمه المسلمين
على انه لا يخلد في النار احد ممن في قلبه مثقال ذره من ايمان واتفقوا ايضا على ان نبينا
صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن ياذن الله له بالشفاعه فيه من اهل الكباير من امته وفي
الصحيحين عنه انه قال لكل نبي دعوه مستجابه واني اختبات دعوتي شفاعه
لامتي يوم القيمه وهذه الاحاديث مذكوره في موضعها وقد نقل بعض الناس عن الصحابه
في ذلك خلافا كما روي عن ابن عباس ان القاتل لا توبه له وهذا غلط على الصحابه فانه
لم يقل احد منهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكباير ولا قال انهم يخلدون في

احرى صح

في النار ولكن ابن عباس في احدى الروايتين عنه انه قال ان القاتل لا توبه له وعن احمد
ابن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان ايضا والنزاع في التوبه غير النزاع في التخليد
وذلك ان القتل يتعلق به حق ادمي فلهذا حصل فيه النزاع واما قول القائل ان الايمان
اذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع وهذا هو الاصل الذي تفرعت منه البدع
في الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شي ثم قالت الخوارج
والمعتزله هو مجموع ما امر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله اهل الحديث
قالوا فاذا ذهب شي منه لم يبق مع صاحبه من الايمان شي فيخلد في النار وقالت المرجيه
على اختلاف فرقهم لا تذهب الكباير وترك الواجبات الظاهره شيا منه اذ لو
ذهب شي منه لم يبق منه شي فيكون شيا واحدا يستوي فيه البر والفاجر ونصوص
الرسول واصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقا بعضه كقوله يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذره من ايمان ولهذا كان اهل السنه والحديث على انه يتفاضل
وجمهورهم يقولون يزيد وينقص ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص
كما روي عن مالك في احدى الروايتين ومنهم من يقول يتفاضل كعبد الله بن
ابن المبارك وقد ثبت لفظ الزياده والنقصان منه عن الصحابه ولم يعرف
فيه مخالف من الصحابه فروى الناس من وجوه كثيره مشهوره عن حماد بن سلمه
عن ابي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الايمان يزيد وينقص قيل له وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا
الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه وروى
اسمعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحرث بن محمد عن ابي الدردا قال الايمان
يزيد وينقص وقال احمد بن حنبل ثنا يزيد بن جرير بن عثمان قال سمعت اشياخنا
او بعض اشياخنا ان ابا الدرداء قال ان من فقه العبد ان يتعاهد ايمانه وما ينقص
منه ومن فقه العبد ان يعلم ايزداد هو ام ينقص وان من فقه الرجل ان يعلم
نزغات الشيطان انى ياتيه وروى اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو
عن عبد الله بن ربيعه الحضرمي عن ابي هريره قال الايمان يزيد وينقص
وقال احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن طلحه عن زبيد عن ذر قال

حدثنا صح

كان عمر بن الخطاب يقول لاصحابه هلموا نزدد ايمانا فيذكرون الله تعالى وقال ابو
عبيد في الغريب عن علي ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازداد
اللمظة يروى عن عثمان بن عبد الله عن عمرو بن هند الجملي عن علي قال
الاصمعي اللمظة مثل النكتة او نحوها وقال احمد بن حنبل ثنا وكيع عن شريك عن
هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود يقول في دعائه اللهم زدنا
ايمانا ويقينا وفقها وروى سفين الثوري عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال
قال كان معاذ بن جبل يقول للرجل اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى وروى ابو اليمان
ثنا صفوان عن شريح بن عبيد ان عبد الله بن رواحه كان ياخذ بيد الرجل من
اصحابه فيقول قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر وهذه الزيادة اثبتها
الصحابه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القران كله وصح عن عمار بن
ياسر انه قال ثلث من كن فيه فقد استكمل الايمان انصاف من نفسه والانفاق
من الاقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري عنه في صحيحه وقال جندب بن
عبد الله وابن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القران فازددنا ايمانا والاثار في هذا كثيره رواها
المصنفون في هذا الباب لاثار الصحابه والتابعين في كتب كثيره معروفه والزياده
قد نطق بها القران في عده ايات كقوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وهذه زياده اذا تليت عليهم الايات اي وقت تليت
ليس هو تصديقهم بها عند النزول وهذا امر يجده المومن اذا تليت عليه الايات
زاد في قلبه بفهم القران ومعرفه معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كانه لم يسمع الايه
الا حينيذ ويحصل في قلبه من الرغبه في الخير والرهبه من الشر ما لم يكن
فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذا زياده الايمان وقال تعالى الذين قال الله
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل فهذه الزياده عند تخويفهم بالعدو لم تكن عند ايه نزلت فازدادوا
يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بان لا يخافوا المخلوق بل يخافون
الخالق وحده وقال تعالى واذا ما انزلت سوره فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض

فزادتهم

رجسا الى رجسهم وهذه الزياده ليست مجرد التصديق بان الله انزلها بل زادتهم ايمانا
بمقتضاها فان كانت امرا بالجهاد او غيره ازدادوا رغبه فيه وان كانت نهيا
عن شي انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال وهم يستبشرون والاستبشار غير
مجرد التصديق وقال تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب من ينكر بعضه والفرح بذلك من زياده الايمان قال تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا وقال يوميذ يفرح المومنون بنصر الله وقال تعالى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكه وما جعلنا عدتهم الا فتنه للذين كفروا ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا وقال هو الذي انزل السكينه في
قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه من الحديبيه فجعل السكينه موجبه لزياده الايمان والسكينه
طمانينه في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا قال يوم حنين فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وقال
ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
~~على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وقال ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ~~
~~يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته~~ عليه وايده بجنود لم
تروها ولم يكن قد نزل يوم حنين قران ولا يوم الغار وانما انزل سكينته
وطمانينته من خوف العدو فلما انزل السكينه في قلوبهم مرجعهم من الحديبيه
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم دل على ان الايمان المزيد حال للقلب وصفه له وعمل مثل طمانينته
وسكونه ويقينه واليقين قد يكون بالعمل والطمانينه كما يكون بالعلم والريب
المنافي لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في طمانينه القلب ولهذا جا في الدعا الماثور
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك
ومن اليقين ما تهون علينا به مصايب الدنيا وفي حديث الصديق الذي رواه
احمد والترمذي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافيه واليقين
فما اعطي احد بعد اليقين شيا خيرا من العافيه فسلوهما الله تعالى فاليقين عند
المصايب بعد العلم بان الله قدرها سكينه القلب وطمانينته وتسليمه وهذا من

تمام الإيمان بالقدر خيره وشره كما قال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه قال علقمة ويروى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم
أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى يهد قلبه هداه لقلبه هو زيادة في إيمانه
كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وقال إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ولفظ
الإيمان أكثر ما يذكر في القرآن مقيدًا فلا يكون ذلك اللفظ متناولا لجميع ما أمر به بل
يجعل موجبًا للوازمه وتمام ما أمر به وحينئذ يتناوله الاسم المطلق قال تعالى آمنوا بالله
ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات
إلى النور وقال في آخر السورة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم وقد قال بعض
المفسرين في الآية الأولى إنها خطاب لقريش وفي الثانية إنها خطاب لليهود والنصارى
وليس كذلك فإن الله لم يقل قط للكفار يا أيها الذين آمنوا ثم قال بعد ذلك لئلا يعلم أهل
الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وهذه السورة مدنية باتفاق لم يخاطب
بها المشركين بمكة وقد قال وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين وهذا لا يخاطب به كافر وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم
وإنما أخذ ميثاق المؤمنين ببيعتهم له فإن كل من كان مسلمًا مهاجرًا كان يبايع النبي صلى الله
عليه وسلم كما بايعه الأنصار ليلة العقبة وإنما دعاهم إلى تحقيق الإيمان وتكميله بأداء ما يجب
من تمامه باطنًا وظاهرًا كما نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل صلاة وإن كان
قد هدى المؤمنين للإقرار بما جاء به الرسول جملة لكن الهداية المفصلة في جميع ما
يقولونه ويفعلونه في جميع أمورهم لم يحصل جميع هذه الهداية المفصلة الخاصة
هي من الإيمان المأمور به وبذلك يخرجهم الله من الظلمات إلى النور

فصل

وزيادة الإيمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه أحدها
الإجمال والتفصيل فيما أمروا به فإنه وإن وجب على جميع الخلق الإيمان بالله ورسوله
ووجب على كل أمة التزام ما أمر به رسولهم مجملًا فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما

وجب

وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول
ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الإيمان
المفصل بذلك ما لا يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنًا وظاهرًا ثم مات
قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنًا بما وجب عليه من الإيمان وليس ما وجب عليه
ولا ما وقع منه مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل إيمان هذا أكمل
وجوبًا ووقوعًا فإن ما وجب عليه من الإيمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى اليوم
أكملت لكم دينكم أي في التشريع بالأمر والنهي ليس المراد أن كل واحد من الأمة وجب عليه
ما يجب على سائر الأمة وأنه فعل ذلك بل في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين وجعل نقصان عقلها أن شهادة امرأتين
شهادة رجل واحد ونقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا
النقصان ليس هو نقص مما أمرت فلا تعاقب على هذا النقصان لكن من أمر بالصلاة
والصوم ففعله كان دينه كاملًا بالنسبة إلى هذه الناقصة الدين الوجه الثاني
الإجمال والتفصيل فيما وقع منهم فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقًا فلم يكذبه قط لكن
أعرض عن معرفة أمره ونهيه وخبره وطلب العلم الواجب عليه فلم يعلم الواجب
عليه ولم يعمله بل اتبع هواه وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به وآخر طلب علمه فعلمه
وآمن به ولم يعمل به فهؤلاء وإن اشتركوا في الوجوب لكن من طلب علم التفصيل وعمل
به فإنه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به لكنه لم يعمل بذلك وهذا المقر
بما جاء به الرسول المعترف بذنبه الخائف من عقوبته على ترك العمل أكمل
إيمانًا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف أن
يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع أنه مقر بنبوته باطنًا وظاهرًا
فكلما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة
في إيمانه على من لم يحصل له ذلك وإن كان معه التزام عام وإقرار عام وكذلك من عرف
أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانًا
مجملًا أو عرف بعضها وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان
إيمانه به أكمل الثالث أن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض

واثبت وابعد عن الشك والريب وهذا امر يشهده كل احد من نفسه كما ان الحس الظاهر
بالشي الواحد مثل رويه الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم يكون رويته
اتم من بعض وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرايحه الواحده وذوق النوع
الواحد من الطعام فكذلك معرفه القلب وتصديقه يتفاضل اعظم من ذلك من وجوه
متعدده والمعاني التي يومن بها من معاني اسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها
اعظم من تفاضلهم في معرفه غيرها الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب اكمل
من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه اكمل من العلم الذي
لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق ورسوله حق والجنه حق والنار حق وهذا
علمه اوجب له محبته الله وخشيته والرغبه في الجنه والهرب من النار والاخر
علمه لم يوجب ذلك فعلم الاول اكمل فان قوه المسبب دل على قوه السبب وهذه
الامور نشات عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم
الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين فان موسى لما اخبره ربه ان قومه عبدوا العجل
لم يلق الالواح فلما راهم قد عبدوه القاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن
المخبر وان جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره
اذا عاينه بل يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم
انه عند المعاينه يحصل له من تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا
التصديق اكمل من ذلك التصديق الخامس ان اعمال القلوب مثل محبه
الله ورسوله وخشيه الله تعالى ورجاه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك
الكتاب والسنه واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا عظيما
السادس ان الاعمال الظاهره مع الباطنه هي ايضا من الايمان والناس يتفاضلون
فيها السابع ذكر الانسان بقلبه ما امره به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون
غافلا عنه اكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفله تضاد كمال العلم والتصديق
والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابه
اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا

فذلك

فذلك نقصانه وكان معاذ بن جبل يقول لاصحابه اجلسوا بنا ساعه نومن قال تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقال
سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى وكلما يذكر ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له
معرفه شي اخر لم يكن عرفه قبل ذلك وعرف من معاني اسما الله واياته ما لم يكن
عرفه قبل ذلك كما في الاثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا امر يجده في نفسه
كل مومن وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر
ربه مثل الحي والميت قال تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وذلك انها تزيدهم علم
ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملا بذلك العلم وتزيدهم تذكيرا لما كانوا نسوه
وعملا بتلك التذكره وكذلك ما يشاهده العباد من الايات في الافاق وفي انفسهم قال
تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اي القران حق
ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد فان الله شهيد في القران بما اخبر به
ما امن به المومن ثم اراهم في الافاق وفي انفسهم ما يدل على مثل ما اخبر به في القران فتبين
لهم بهذه الايات ان القران حق مع ما كان قد حصل لهم قبل ذلك وقال تعالى افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصره وذكرى لكل عبد منيب
فالايات المخلوقه والمتلوه فيها تبصره وفيها تذكره تبصر من العمى وتذكر من الغفله
فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسي والانسان يقرا الايه
مرات حتى سوره الفاتحه ويظهر له في اثنا الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل
ذلك حتى كانها تلك الساعه نزلت فيومن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا
موجود في كل من قرا القران بتدبر بخلاف من قراه مع الغفله ثم كلما فعل شيئا
مما امر به استحضر انه امر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعه من التصديق
في قلبه ما كان غافلا عنه وان لم يكن مكذبا الوجه الثامن ان الانسان قد
يكون مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول اخبر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر وامر بها صح
بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يامر الا بحق ثم يسمع الايه او الحديث او يتدبر
ذلك او يفسر له معناه او يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به

واثبت وابعد عن الشك والريب وهذا امر يشهده كل احد من نفسه كما ان الحس الظاهر
بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم يكون رؤيته
اتم من بعض وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع
الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل اعظم من ذلك من وجوه
متعددة والمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها
اعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب اكمل
من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه اكمل من العلم الذي
لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وهذا
علمه اوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والاخر
علمه لم يوجب ذلك فعلم الاول اكمل فان قوة المسبب دل على قوة السبب وهذه
الامور نشات عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم
الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليس الخبر كالمعاين فان موسى لما اخبره ربه ان قومه عبدوا العجل
لم يلق الالواح فلما راهم قد عبدوه القاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن
المخبر وان جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره
اذا عاينه بل يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم
انه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا
التصديق اكمل من ذلك التصديق الخامس ان اعمال القلوب مثل محبة
الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك
الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا عظيما
السادس الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي ايضا من الايمان والناس يتفاضلون
فيها السابع ذكر الانسان بقلبه ما امر به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون
غافلا عنه اكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق
والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة
اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا

فذلك

فذلك نقصانه وكان معاذ بن جبل يقول لاصحابه اجلسوا بنا ساعة نؤمن قال تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال
سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فكلما يذكر ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له
معرفة شيء اخر لم يكن عرفه قبل ذلك وعرف من معاني اسماء الله واياته ما لم يكن
عرفه قبل ذلك كما في الاثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا امر يجده في نفسه
كل مؤمن وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر
ربه مثل الحي والميت قال تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وذلك انها تزيدهم علم
ما لم يكونوا قبل ذلك علموه ويزيدهم عملا بذلك العلم ويزيدهم تذكيرا لما كانوا نسوه
وعملا بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الايات في الافاق وفي انفسهم قال
تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اي ان القران حق
ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فان الله شهيد في القران بما اخبر به
ما امن به المؤمن ثم اراهم في الافاق وفي انفسهم ما يدل على مثل ما اخبر به في القران فتبين
لهم بهذه الايات ان القران حق مع ما ان قد حصل لهم قبل ذلك وقال تعالى افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
فالايات المخوفة والمتلوة فيها تبصرة وفيها تذكرة تبصر من العمى وتذكر من الغفلة
فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسي والانسان يقرا الاية
مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في اثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل
ذلك حتى كانها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا
موجود في كل من قرا القران بتدبر بخلاف من قراه مع الغفلة ثم كلما فعل شيئا
مما امر به استحضر انه امر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعة من التصديق
في قلبه ما كان غافلا عنه وان لم يكن مكذبا الوجه الثامن ان الانسان قد
يكون مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول اخبر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر وامر بها ح
بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يامر الا بحق ثم يسمع الاية او الحديث او يتدبر
ذلك او يفسر له معناه او يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به

ويعرف ما كان منكرًا وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه لم
يكن قبل ذلك كافرًا بل جاهلًا وهذا وان اشبه المجمل والمفصل لان صاحب المجمل قد يكون
قلبه سليمًا عن تكذيب وتصديق لشي من التفاصيل وعن معرفته وانكار الشي من
ذلك فياتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج واما كثير من الناس بل من اهل العلوم
والعبادات فيقوم بقلوبهم من التفصيل امور كثيرة تخالف ما جا به الرسول وهم لا
يعرفون انها تخالف ما جا به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل
من ابتدع في الدين قولًا اخطا فيه او عمل عملًا اخطا فيه وهو مومن بالرسول لو عرف ما
قاله وامن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو
من هذا الباب فمن علم ما جا به الرسول وعمل به اكمل ممن اخطا ذلك ومن علم الصواب
بعد الخطا وعمل به فهو اكمل ممن لم يكن كذلك **فصل** وقد اثبت
في القران اسلامًا بلا ايمان في قوله قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيًا وقد ثبت
في الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطًا وفي رواية
قسم قسمًا وترك فيهم من لم يعطه وهو اعجبهم الي فقلت يا رسول الله ما لك عن
فلان فوالله اني لاراه مومنًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلمًا اقولها
ثلاثًا ويرددها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره
احب الي منه مخافة ان يكبه الله في رواية فضرب بين عنقي وكتفي وقال اقتالًا في النار صح
اي سعد فهذا الاسلام الذي نفى الله عن اهله دخول الايمان في قلوبهم هل
هو اسلام يثابون عليه ام هو من جنس اسلام المنافقين فيه قولان مشهوران
للسلف والخلف احدهما انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق
وهذا مروي عن الحسن وابن سيرين وابراهيم النخعي وابي جعفر الباقر وهو
قول حماد بن زيد واحمد بن حنبل وسهل بن عبد الله التستري وابي طالب
المكي وكثير من اهل الحديث والسنة والحقائق قال احمد بن حنبل ثنا مومل عن
حماد بن زيد قال سمعت هشامًا يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مومن
وقال احمد بن حنبل ثنا ابو سلمة الخزاعي قال قال مالك وشريك وابو بكر بن عياش

وعبد العزيز

وعبد العزيز بن ابي سلمة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة الايمان المعرفة والاقرار والعمل
الا ان حماد بن زيد يفرق بين الاسلام والايمان يجعل الاسلام عامًا والايمان خاصًا
والقول الثاني ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين
قالوا وهولاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو
كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون
في ذلك قال محمد بن نصر ثنا اسحاق ثنا جرير عن مغيرة قال اتيت ابراهيم النخعي
فقلت ان رجلًا خاصمني يقال له سعيد العنزي فقال ابراهيم ليس بالعنزي ولكنه
زبيدي قوله قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا فقال هو الاستسلام
فقال ابراهيم لا هو الاسلام وقال ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان
عن مجاهد قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا قال استسلمنا خوف
السبي والقتل لكن هذا منقطع سفيان لم يدرك مجاهدًا والذين قالوا ان هذا
الاسلام هو كاسلام المنافقين لا يثابون عليه قالوا ان الله نفى عنهم الايمان ومن نفى
الله عنه الايمان فهو كافر وقال هولاء الاسلام هو الايمان وكل مسلم مومن
وكل مومن مسلم ومن جعل الفساق مسلمين غير مومنين لزمه ان لا يجعلهم داخلين
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة وفي قوله يا ايها الذين امنوا
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وامثال ذلك فانه انما دعوا باسم الايمان لا باسم الاسلام
فمن لم يكن مومنًا لم يدخل في ذلك وجواب هذا ان يقال الذين قالوا من السلف
انهم خرجوا من الايمان الى الاسلام لم يقولوا لم يبق معهم من الايمان شي بل هذا قول الخوارج
والمعتزلة واهل السنة الذين قالوا هذا يقولون الفساق يخرجون من النار
بالشفاعة وان معهم ايمانًا يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان لان
الايمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة وهولاء ليسوا
من اهله وهم يدخلون في الخطاب بالايمان لان الخطاب بذلك هو لمن دخل في الايمان
وان لم يستكمله فانه انما خوطب ليفعل تمام الايمان فكيف يكون قد اتمه قبل الخطاب
وان كان قد يقال ان هذا المامور من الايمان قبل الخطاب وانما صار من الايمان بعد ان امر

به فالخطاب بيا ايها الذين امنوا غير قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم ونظايره فان الخطاب بيا ايها
الذين امنوا اولا يدخل فيه من اظهر الايمان وان كان منافقا في الباطن يدخل فيه في
الظاهر فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقا وان لم يكن من المومنين حقا وحقيقة
الامر ان من لم يكن من المومنين حقا يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه الخلود
في النار وهذا متفق عليه بين اهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الايمان هذا هو
الذي تنازعوا فيه فقيل يقال مسلم ولا يقال مومن وقيل بل يقال مومن والتحقيق
انه يقال انه مومن ناقص الايمان مومن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى الاسم المطلق
فان الكتاب والسنة نفى عنه الاسم المطلق واسم الايمان يتناوله فيما امر الله به ورسوله
لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم غيره وانما الكلام في اسم المدح
المطلق وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلث طوايف يدخل فيه المومن
حقا ويدخل فيه المنافق في احكامه الظاهرة وان كانوا في الاخرة في الدرك الاسفل من
النار وهو في الباطن ينفى عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يثبت له الاسلام والايمان
الظاهر ويدخل فيه الذين اسلموا ولما يدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من
الايمان والاسلام يثابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من
الكباير ما يعاقبون عليه كاهل الكباير لكن يعاقبون على ترك المفروضات وهولاء
كالاعراب المذكورين في الاية وغيرهم فانهم قالوا امنا من غير قيام منهم بما امروا به باطنا
وظاهرا فلا دخلت حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه
وسلم الى الجهاد وقد يكونون من اهل الكباير المعرضين للوعيد كالذين يصلون ويزكون
ويجاهدون وياتون الكباير وهولا لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم
نزاع لفظي هل يقال انهم مومنون كما سنذكره ان شا الله واما الخوارج والمعتزلة
فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا
عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام لكن الخوارج تقول هم كفار والمعتزلة تقول لا
مسلمون ولا كفار ينزلونهم منزلة بين المنزلتين والدليل على ان الاسلام المذكور في
الاية هو اسلام يثابون عليه وانهم ليسوا منافقين انه قال لما قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا

عندهم من الايمان
خرجوا الخ

ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم من اعمالكم شيا فذكر انهم اذا اطاعوا الله ورسوله مع هذا الاسلام اجرهم
الله على الطاعة والمنافق عمله حابط في الاخرة وايضا فانه وصفهم بخلاف صفات
المنافقين فان المنافقين وصفهم بكفر في قلوبهم وانهم يبطنون خلاف ما يظهرون
كما قال ومن يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين امنوا (الناس م)
وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا الايات
وقال اذا جاك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون فالمنافقون يصفهم في القران بالكذب وانهم يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون عليه وهولا لم يصفهم بشي من ذلك لكن لما
ادعوا الايمان قال للرسول قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في
قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا ونفي الايمان المطلق لا يستلزم
ان يكونوا منافقين كما في قوله يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين ثم قال
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون اوليك هم المومنون
حقا ومعلوم انه ليس من لم يكن كذلك يكون منافقا من اهل الدرك الاسفل
من النار بل لا يكون قد اتى بالايمان الواجب فنفي عنه كما نفي سائر الاسما عمن ترك
بعض ما يجب فيها فكذلك الاعراب لم ياتوا بالايمان الواجب فنفي عنهم لذلك
وان كانوا مسلمين معهم من الايمان ما يثابون عليه وهذا حال اكثر الداخلين
في الاسلام ابتدا بل حال اكثر من لم يعرف حقايق الايمان فان الرجل اذا قوتل حتى اسلم
كما كان الكفار يقاتلون حتى يسلموا او يسلم بعد الاسر او سمع بالاسلام فجا فاسلم
فانه مسلم ملتزم طاعة الرسول ولم يدخل الى قلبه المعرفة بحقايق الايمان
فان هذا انما يحصل لمن تيسرت له اسباب ذلك اما بفهم القران واما بمباشرة
اهل الايمان واما بهداية خاصة من الله يهديه بها والانسان قد يظهر له من
محاسن الاسلام ما يدعوه الى الدخول فيه وان كان قد ولد عليه وتربى بين اهله فانه

عنه وقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوي الكفار وكثير من هولاء قد يرتاب
اذا سمع الشبهة القادحة فيه ولا يجاهد في سبيل الله فليس هو داخلا في قوله
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله وليس هو منافقا في الباطن مضمر الكفر فلا هو من المومنين حقا ولا هو من
المنافقين ولا هو ايضا من اصحاب الكباير بل ياتي بالطاعات الظاهرة ولا ياتي بحقايق
الايمان التي يكون بها المومنين حقا فهذا معه ايمان وليس هو من المومنين حقا ويثاب من ع
على ما فعل من الطاعات ولهذا قال الله تعالى لهم ولكن قولوا اسلمنا ولهذا قال يمنون
عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
يعني في قولهم امنا يقول ان كنتم صادقين فالله يمن عليكم ان هداكم للايمان وهذا يقتضي
انهم قد يكونون صادقين في قولهم امنا ثم صدقهم اما ان يراد به اتصافهم بانهم
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم هم الصادقون واما
ان يراد به انهم لم يكونوا كالمنافقين بل معهم ايمان لم يكن لهم ان يدعوا مطلق الايمان وان صح
وهذا اشبه والله اعلم لان النسوة الممتحنات قال فيهن فان علمتموهن مومنات
فلا ترجعوهن الى الكفار ولا يمكن نفي الذنب عنهن في المستقبل ولان الله انما كذب
المنافقين لم يكذب غيرهم وهولاء لم يكذبهم ولكن قال لم تومنوا كما قال لا يومن
احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله لا يزني الزاني حين يزني
وهو مومن ولا يومن من لا يامن جاره بوايقه وهولاء ليسوا منافقين وسياق
الاية يدل على ان الله ذمهم لكونهم منوا باسلامهم لجهلهم وجفايهم واظهروا
ما في انفسهم مع علم الله به فان الله قال قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما
في السموات وما في الارض فلو لم يكن في قلوبهم شي من الدين لم يكونوا يعلمون
الله بدينهم فان الاسلام الظاهر يعرفه كل احد ودخلت الباء في قوله اتعلمون
الله بدينكم لانه ضمن معنى تخبرون وتحدثون كانه قال اتخبرونه وتحدثونه
بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الارض وسياق الاية يدل على ان الذي اخبروا
به الله هو ما ذكره عنهم من قولهم امنا فانهم اخبروا عما في قلوبهم وقد ذكر المفسرون
انه لما نزلت هاتان الايتان اتوا رسول الله يحلفون انهم مومنون صادقون فنزل قوله الايمان صح

قل اتعلمون الله بدينكم وهذا يدل على انهم كانوا صادقين اولا في دخولهم في الدين
لانه لم يتجدد لهم بعد نزول الاية جهاد حتى يدخلوا في الاية انما هو كلام قالوه
وهو تعالى قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولفظ لما ينفى به ما يقرب حصوله ويحصل
غالبا كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد قال
السدي نزلت هذه الاية في اعراب مزينة وجهينة واسلم وغفار واشجع
وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون امنا بالله ليامنوا على انفسهم فلما استنفروا
الى الحديبية تخلفوا فنزلت فيهم هذه الاية وعن مقاتل كانت منازلهم بين مكة والمدينة
وكانت اذا مرت بهم سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا
ليامنوا على دمايهم واموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية
استنفرهم فلم ينفروا معه وقال مجاهد نزلت في اعراب بني اسد بن خزيمة ووصف
غيره حالهم قال قدموا المدينة في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين
وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارهم وكانوا يمنون على النبي صلى الله
عليه وسلم يقولون اتيناك بالاثقال والعيال ونزلت فيهم هذه الاية وقد قال قتادة
في قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين قال منوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاووا فقالوا
انا اسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فقال الله لنبيه يمنون وسعو لبلادن صح
عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال مقاتل
ابن حيان هم اعراب بنو اسد بن خزيمة قالوا يا رسول الله اتيناك بغير قتال
وتركنا العشاير والاموال وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الاسلام
فلنا بذلك عليك حق فانزل الله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل
الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين فلله بذلك المن عليكم وفيهم انزل ولا
تبطلوا اعمالكم ويقال من الكباير التي ختمت بالنار كل موجبة من ركبها ومات عليها
لم يتب منها وهذا كله يبين انهم لم يكونوا كفارا في الباطن ولا كانوا قد دخلوا فيما
يجب من الايمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الاصناف فقال ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولم يصفهم بكفر ولا نفاق لكن هولاء

يثني عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لانهم لم يخالط الايمان بشاشة قلوبهم
وقال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
وهذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة وكان قد كذب فيما اخبر قال المفسرون
نزلت هذه الاية في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني
المصطلق ليقبض صدقاتهم وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فسار
بعض الطريق ثم رجع فقال انهم منعوا الصدقة وارادوا قتلي فضرب رسول انهم ح
الله صلى الله عليه وسلم البعث اليهم فنزلت هذه الاية وهذه القصة معروفة
من وجوه كثيرة ثم قال في اثنائها واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم وقال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما
على الاخرى الاية ثم نهاهم عن ان يسخر بعضهم من بعض وعن اللمز والتنابز بالالقاب
وقال بيس الاسم الفسوق بعد الايمان وقد قيل معناه لا تسميه فاسقا ولا كافرا
بعد ايمانه وهذا ضعيف بل المراد بيس الاسم ان يكونوا فساقا بعد ايمانكم كما قال في الذي
كذب ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فسماه فاسقا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر يقول فاذا ساببتم المسلم وسخرتم
منه ولمزتموه استحققتم ان تسموا فساقا وقد قال في اية القذف ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا واولئك هم الفاسقون يقول فاذا اتيتم بهذه الامور التي تستحقون بها ان تسموا
فساقا كنتم قد استحققتم اسم الفسوق بعد الايمان والا فهم في تنابزهم ما كانوا يقولون
فاسق كافر فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضا وقد قال
طايفة من المفسرين في هذه الاية لا يسميه بعد الاسلام بدينه قبل الاسلام
كقوله لليهودي اذا اسلم يا يهودي وهذا مروي عن ابن عباس وطايفة من
التابعين الحسن وسعيد بن جبير وعطا الخراساني والقرظي وقال عكرمة هو
قول الرجل يا كافر يا منافق وقال عبد الرحمن بن زيد هو تسميته بالاعمال
كقوله يا زاني يا سارق يا فاسق وفي تفسير العوفي عن ابن عباس قال هو تعيير التايب
بسيئات كان قد عملها ومعلوم ان اسم الكفر واليهودية والزاني والسارق
وغير ذلك من السيئات ليست هي اسم الفاسق فعلم ان قوله بيس الاسم الفسوق

لم يرد به تسمية المسبوب فاسقا فان تسميته كافرا اعظم بل ان الساب يصير بانهم م
فاسقا كقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ثم قال ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون فجعلهم ظالمين اذا لم يتوبوا من ذلك وان كانوا يدخلون في اسم
المومنين ثم ذكر النهي عن الغيبة ثم ذكر النهي عن التفاخر بالاحساب وقال
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم ذكر قول الاعراب امنا فالسورة نهي عن هذه
المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى المومنين فالاعراب المذكورون
فيها من جنس المنافقين اهل السباب والفسوق والمنادين من وراء الحجرات
وامثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال المفسرون انهم الذين استنفروا عام الحديبية
واولئك وان كانوا من اهل الكباير فلم يكونوا في الباطن كفارا منافقين قال ابن اسحق
لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديبية استنفر من حول
المدينة من اهل البوادي والاعراب ليخرجوا معه خوفا من قومه ان يعرضوا
له بحرب وبصد فتثاقل عنه كثير منهم فهم الذين عنى الله بقوله سيقول لك
المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا اي ادع الله ان يغفر
لنا تخلفنا عنك يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ما يبالون استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب والمنافقون قال فيهم
اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم
مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ولم يقل مثل هذا في هولاء الاعراب بل الاية دليل على انهم لو صدقوا في طلب الاستغفار
نفعهم استغفار الرسول ثم قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او
يسلمون فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا
اليما فوعدهم بالثواب على طاعة الداعي الى الجهاد وتوعدهم بالتولي عن طاعته وهذا
كخطاب امثالهم من اهل الذنوب والكباير بخلاف من هو كافر في الباطن فانه لا
يستحق الثواب بمجرد طاعة الامر حتى يومن اولا ووعيده ليس على مجرد
توليه عن الطاعة في الجهاد فان كفره اعظم من هذا فهذا كله يدل على ان هولاء
فساق الله فان الفسوق يكون تارة بترك الفرايض وتارة بفعل المحرمات وهولا

لما تركوا ما فرضه الله عليهم من الجهاد وحصل عندهم نوع من الريب الذي اضعف
ايمانهم لم يكونوا من الصادقين في انهم في الباطن متدينين بدين الاسلام وقول
المفسرين لم يكونوا مومنين نفي لما نفاه الله عنهم من الايمان كما نفاه عن الزاني
والسارق والشارب وعمن لا يامن جاره بوايقه وعمن لا يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وعمن لا يجيب الى حكم الله ورسوله وامثال هولاء وقد يحتج على ذلك بقوله
بيس الاسم الفسوق بعد الايمان كما قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقد من
استبدل الاسم الفسوق بعد الايمان فدل على ان الفاسق لا يسمى مومنا فذلك دال
على ان هولاء الاعراب من جنس اهل الكباير لا من جنس المنافقين واما ما نقل من انهم اسلموا
خوف القتل والسبا فهكذا كان اسلام غير المهاجرين والانصار اسلموا رغبة او رهبة
كاسلام الطلقا من قريش بعد ان قهرهم النبي صلى الله عليه وسلم واسلام المولفة قلوبهم
من هولاء ومن اهل نجد وليس من اسلم لرغبة او رهبة كان من المنافقين الذين في
الدرك الاسفل من النار بل يدخلون في الاسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب
ومعاداه للرسول ولا استنارت قلوبهم بنور الايمان ولا استبصروا فيه وهولا قد
يحسن اسلام احدهم فيصير من المومنين كاكثر الطلقا وقد يبقى من فساق الملة
ومنهم من يصير منافقا مرتابا اذا قال له منكر ونكير ما تقول في هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول اه اه لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وقد تقدم
قول من قال انهم اسلموا بغير قتال فهولا كانوا احسن اسلاما من غيرهم وان
الله انما ذمهم لكونهم منوا بالاسلام وانزل فيهم ولا تبطلوا اعمالكم وانهم من جنس اهل
الكباير وايضا فقوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولما انما ينفى بها
ما ينتظر ويكون حصوله مترقبا كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم يدل ان دخول الايمان
منتظر منهم فان الذي يدخل الاسلام ابتدا لا يكون قد حصل في قلبه الايمان لكنه يحصل
فيما بعد كما في الحديث ان الرجل يسلم اول النهار رغبة في الدنيا فلا يجي اخر
النهار الا والاسلام احب اليه مما طلعت عليه الشمس ولهذا كان عامة الذين اسلموا

رغبة ورهبة دخل الايمان الى قلوبهم بعد ذلك وقوله ولكن قولوا اسلمنا
امر لهم بان يقولوا ذلك والمنافق لا يومر بشي ثم قال وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا والمنافق لا تنفعه طاعة الله ورسوله حتى
يومن اولا وهذه الاية مما احتج بها احمد بن حنبل وغيره على انه يستثنى في الايمان
دون الاسلام وان اصحاب الكباير يخرجون من الايمان الى الاسلام قال الميموني
سالت احمد بن حنبل عن رايه في مومن ان شا الله قال اقول مومن ان شا
الله واقول مسلم ولا استثني قال قلت لاحمد تفرق بين الايمان والاسلام قال
لي نعم قلت له باي شي تحتج قال لي قال الله الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا
اسلمنا وذكر اشيا وقال الشالنجي سالت احمد عمن قال انا مومن قال انا مومن
عند نفسي من طريق الاحكام والمواريث ولا اعلم ما انا عند الله قال ليس بمرجي
وقال ابو ايوب سليمن بن داود الهاشمي الاستثنا جايز ومن قال انا مومن
ولم يقل عند الله ولم يستثن فذلك عندي جايز وليس بمرجي وبه قال ابو خيثمة
وابن ابي شيبة وذكر الشالنجي انه سال احمد بن حنبل عن المصر على الكباير يطلبها
بجهده اي يطلب الذنب بجهده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل
يكون مصرا من كانت هذه حاله قال هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني
وهو مومن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله ولا يشرب الخمر حين
يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو مومن ونحو قول ابن
عباس في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون فقلت له ما هذا
الكفر قال كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر
حتى يجي من ذلك امر لا يختلف فيه وقال ابن ابي شيبة لا يزني حين يزني وهو
مومن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصا من ايمانه قال الشالنجي وسالت احمد
عن الايمان والاسلام فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال ابو خيثمة
وقال ابن ابي شيبة لا يكون اسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام واذا كان على المخاطبة
فقال قد قبلت الايمان فهو داخل الاسلام واذا قال قد قبلت الاسلام فهو داخل
في الايمان وقال محمد بن نصر المروزي وحكي عن هولاء انه سال احمد بن حنبل

لا يستثنى في الايمان دون الاسلام

عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن فقال من اتى هذه
الاربعة او مثلهن او فوقهن فهو مسلم ولا اسميه مومنا ومن اتى دون
الكباير نسميه مومنا ناقص الايمان قلت احمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا
الفرق وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو المتاخر عنه قال ابو بكر الاثرم
في السنة سمعت ابا عبد الله يسال عن الاستثناء في الايمان ما تقول فيه قال اما انا
فلا اعيبه اي من الناس من يعيبه قال ابو عبد الله اذا كان يقول الايمان قول وعمل ان م
يزيد وينقص فاستثنى مخافة او احتياطا ليس كما يقولون على الشك انما يستثنى
للعمل قال ابو عبد الله قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله اي ان هذا
استثنا بغير شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا ان شاء الله بكم لاحقون اي لم يكن
يشك في هذا وقد استثنى وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وعليها نبعث ان شاء
الله يعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان اكون اخشاكم لله
قال هذا كله تقوية للاستثنا في الايمان قلت لابي عبد الله وكانك لا ترى باسا ان لا يستثنى
فقال اذا كان ممن يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فهو اسهل عندي ثم
قال ابو عبد الله ان قوما تضعف قلوبهم من الاستثنا كالمتعجب منهم وسمعت
ابا عبد الله وقيل له شبابة اي شي تقول فيه فقال شبابة كان يدعو الى الارجا قال كان م
وحكي عن شبابة اخبث من هذه الاقاويل ما سمعت عن احد بمثله قال ابو عبد الله قوله
قال شبابة اذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فاذا قال فقد عمل بلسانه اي
يقولون فاذا قال فقد عمل بجارحه اي بلسانه حين تكلم به ثم قال ابو عبد الله
هذا قول خبيث ما سمعت احدا يقول به ولا بلغني قيل لابي عبد الله كنت كتبت عن
شبابة شيا قال نعم كنت كتبت عنه قديما يسيرا قبل ان نعلم انه يقول
بهذا قلت لابي عبد الله كتبت عنه قال لا ولا حرف قيل لابي عبد الله يزعمون
ان سفيان كان يذهب الى الاستثنا في الايمان قال هذا مذهب سفيان المعروف
عنه الاستثنا قلت لابي عبد الله من يرويه عن سفيان قال كل من حكى عن سفيان في هذا كلهم
حكاية كان يستثني قال وقال وكيع عن سفيان الناس عندنا مومنون في الاحكام
والمواريث ولا ندري ما هم عند الله قلت لابي عبد الله فانت باي شي تقول قال نحن

نذهب الى الاستثنا قلت لابي عبد الله فاما اذا قال انا مسلم فلا يستثني
فقال نعم لا يستثني اذا قال انا مسلم قلت لابي عبد الله اقول هذا مسلم وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وانا اعلم انه لا
يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري من ان الاسلام الكلمة
والايمان العمل قال ابو عبد الله ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قيل لابي
عبد الله فقول الايمان يزيد وينقص فقال حديث النبي صلى الله عليه وسلم
يدل على ذلك يدل قوله اخرجوا من كان في قلبه مثقال كذا اخرجوا من كان
في قلبه مثقال كذا فهو يدل على ذلك وذكر عند ابي عبد الله عيسى الاحمر وقوله
في الارجاء فقال نعم ذاك خبيث القول وقال ابو عبد الله ثنا مومل ثنا حماد بن زيد
سمعت هشاما يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مومن قلت
لابي عبد الله رواه غير مومل قال ما علمت بذاك وسمعت ابا عبد الله يقول
الايمان قول وعمل قلت لابي عبد الله فالحديث الذي يروى اعتقها فانها
مومنة قال ليس كل احد يقول انها مومنة يقولون اعتقها قال ومالك سمعه من
هلال بن علي لا يقول فانها مومنة قال وقد قال بعضهم بانها مومنة
فهو حين تقر بذلك فحكمها حكم المومنة هذا معناه قلت لابي عبد الله تفرق بين
الايمان والاسلام فقال قد اختلف الناس فيه وكان حماد بن زيد زعموا يفرق بين
الايمان والاسلام قال له من المرجية قال الذين يقولون الايمان قول بلا عمل
قلت احمد بن حنبل لم يرد انه سلب جميع الايمان فلم يبق معه منه شي
كما يقوله الخوارج والمعتزلة فانه قد صرح في غير موضع بان اهل الكباير معهم
ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وليس هذا قوله ولا قول احد من ايمة السنة
بل كلهم متفقون على ان الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شي من الايمان يخرجون
به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين لكن اذا كان معه بعض الايمان لم
يلزم ان يدخل في الاسم المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هولاء
فقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه

من الخير ما يحب لنفسه وقال لا يومن من لا يامن جاره بوايقه واقسم على ذلك مرات
وقال المومن من امنه الناس على دمايهم واموالهم والمعتزله ينفون عنه اسم الايمان بالكليه
واسم الاسلام ايضا ويقولون ليس معه من الايمان والاسلام ويقولون ننزله شي
منزله بين منزلتين فهم يقولون انه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعه وهذا هو
الذي انكر عليهم والا لو نفوا مطلق الاسم واثبتوا معه شيا من الايمان يخرج به من النار
لم يكونوا مبتدعه وكل اهل السنه متفقون على انه قد سلب كمال الايمان الواجب
فزال بعض ايمانه الواجب لكنه من اهل الوعيد وانما تنازع في ذلك من يقول الايمان لا يتبعض
من الجهميه والمرجيه فيقولون انه كامل الايمان فالذي ينفي اطلاق الاسم يقول الاسم
المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب كقولنا متقي وبر وعلى الصراط المستقيم
فاذا كان الفاسق لا يطلق عليه هذه الاسماء فكذلك اسم الايمان واما دخوله في الخطاب
فلان المخاطب باسم الايمان كل من معه شي منه لانه امر لهم فبعاصيهم لا يسقط عنهم
الامر واما ما ذكره احمد في الاسلام فاتبع فيه الزهري حيث قال فكانوا يرون
الاسلام الكلمه والايمان العمل في حديث سعد بن ابي وقاص وهذا على وجهين
فانه قد يراد به الكلمه بتوابعها من الاعمال الظاهره وهذا هو الاسلام الذي بينه
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وتقيم الصلاه وتوتي الزكاه وتصوم رمضان وتحج البيت وقد يراد الكلمه
فقط من غير فعل الواجبات الظاهره وليس هذا هو الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم
الاسلام لكن قد يقال اسلام الاعراب كان من هذا الجنس فيقال الاعراب وغيرهم كانوا
اذا اسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الزموا بالاعمال الظاهره الصلاه والزكاه والصيام
والحج ولم يكن احد يترك بمجرد الكلمه بل كان من اظهر المعصيه يعاقب عليها واحمد
ان كان اراد في هذه الروايه ان الاسلام هو الشهادتان فقط فكل من قالها فهو
مسلم فهذا احدى الروايات عنه والروايه الاخرى لا يكون مسلما حتى ياتي بها
ويصلي فاذا لم يصل كان كافرا والثالثه انه كافر بترك الزكاه ايضا والرابعه انه يكفر
بترك الزكاه اذا قاتل الامام عليها دون ما اذا لم يقاتله وعنه انه لو قال انا اوديها
ولا ادفعها الى الامام لم يكن للامام ان يقتله وكذلك عنه روايه انه يكفر بترك الصيام بلغ

والحج

والحج اذا عزم انه لا يحج ابدا ومعلوم انه على القول بكفر تارك المباني يمتنع ان يكون
الاسلام مجرد الكلمه بل المراد انه اذا اتى بالكلمه دخل في الاسلام وهذا صحيح
فانه يشهد له بالاسلام ولا يشهد له بالايمان الذي في القلب ولا يستثنى
في هذا الاسلام لانه امر مشهود لكن الاسلام الذي هو اداء الخمس كما امر به
يقبل الاستثنا فالاسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فانها
لا تزيد ولا تنقص فلا استثنا فيه وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثه
اقوال قيل هو الايمان وهما اسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمه وهذان القولان
لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتدا هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم
لما سيل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهره والايمان بالاصول بالايمان
الخمسه فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان ان نجيب بغير ما اجاب
به النبي صلى الله عليه وسلم واما اذا افرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا
افرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مومنا بلا نزاع وهذا هو الواجب
وهل يكون مسلما ولا يقال له مومن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم
الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعد الذي في القران
بالجنه وبالنجاه من العذاب انما هو معلق باسم الايمان واما اسم الاسلام مجردا
فما علق به في القران دخول الجنه لكنه فرضه واخبر انه دينه الذي لا يقبل
من احد سواه وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخره من الخاسرين وقال تعالى ان
الدين عند الله الاسلام وقال نوح يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمه ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان
اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين وقد اخبر انه لم ينج من العذاب
الا المومنين فقال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه
القول ومن امن وما امن معه الا قليل وقال واوحي الى نوح انه لن يومن
من قومك الا من قد امن وقال نوح وما انا بطارد الذين امنوا وقال للاخرين

ابراهيم ان دينه الاسلام فقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون وقال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة
ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا فجمع هذين الوصفين علق السعادة فقال
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما علقه
بالايمان باليوم الاخر والعمل الصالح في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابين
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهذا يدل على ان الاسلام الذي هو اخلاص الدين لله مع الاحسان وهو العمل الصالح الذي
امر الله به هو الايمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان فان الوعد على الوصفين وعد واحد
وهو الثواب وانتفاء العقاب فان انتفاء الخوف علة يقتضي انتفاء ما يخافه ولهذا لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم
ان يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا في القبور ولا في عرصات
القيمة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن كما قال
تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وايضا فالاسلام
المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق
دخول الجنة بالايمان المطلق المجرد كقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للمتقين للذين امنوا بالله ورسله وقال وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالايمان كقوله
فامن له لوط ووصفه بذلك تعالى فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها
ابراهيم على قومه ووصفه باعلى الطبقات الايمان وهو افضل البرية بعد محمد صلى
الله عليهما وسلم والخليل انما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر وقال واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين بعد

قوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وقال
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا
الصلاة وبشر المؤمنين وقد ذكر البشرى المطلقة للمؤمنين في قوله ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقد وصف الله السحرة
بالاسلام والايمان معا فقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون وقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ووصف انبيا بني اسرايل بالاسلام في قوله انا
انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والانبيا
كلهم مؤمنون ووصف الحواريين بالاسلام والايمان فقال تعالى واذ اوحيت الى
الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون وقال الحواريون
نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون وحقيقة الفرق ان الاسلام
دين والدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل ودين الاسلام الذي ارتضاه الله
وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله
وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها اخر لم يكن مسلما
ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الاستسلام لله
وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام
في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح واما الايمان فاصله تصديق واقرار
ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق
والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان مخصوص وهو
الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله وفسر الاسلام باستسلام مخصوص
وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الايمان بذلك
النوع ويفسر الاسلام بهذا وذلك النوع اعلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الاسلام
علانية والايمان في القلب فان الاعمال الظاهرة يراها الناس واما ما في القلب من تصديق
ومعرفة وحب وخشية ورجا فهذا باطن لكن له لوازم قد يدل عليه واللازم لا
يدل الا اذا كان ملزوما فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل
في حديث عبد الله بن عمرو وابي هريرة جميعا ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من
امنه الناس على دمايهم واموالهم ففسر المسلم بامر ظاهر وهو سلامة الناس منه
وفسر المؤمن بامر باطن وهو ان يامنوه على دمايهم واموالهم وهذه الصفة اعلى من تلك
فان من كان مامونًا سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مامونًا فقد يترك
اذاهم وهم لا يامنون اليه خوفًا ان يكون ترك اذاهم لرغبة ورهبة لا لايمان في قلبه
وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام قال فما الايمان قال
السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الانسان لمقاصد متعددة
واما السماحة والصبر فخلقان في النفس قال تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة وهذا اعلى من ذلك وهو ان يكون صبارًا شكورًا فيه سماحة بالرحمة
للانسان وصبر على المكاره وهذا ضد الذي خلق هلوعًا اذا مسه الشر جزوعًا
واذا مسه الخير منوعًا فان ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة
وتمام الحديث فاي الاسلام افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يا رسول الله
اي المؤمنين اكمل ايمانًا قال احسنهم خلقًا قال يا رسول الله اي القتل اشرف قال
من اريق دمه وعقر جواده قال يا رسول الله فاي الجهاد افضل قال الذين جاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله قال يا رسول الله فاي الصدقة افضل قال جهد المقل
قال يا رسول الله فاي الصلاة افضل قال طول القنوت قال يا رسول الله فاي
الهجرة افضل قال من هجر السوء وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروى
مرسلًا وتارة مسندًا وفي رواية اي الساعات افضل قال جوف الليل الغابر وقوله
افضل الايمان السماحة والصبر يروى من وجه اخر عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهكذا في ساير الاحاديث انما يفسر الاسلام بالاستسلام لله بالقلب
مع الاعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه احمد عن بهز بن حكيم عن
ابيه عن جده انه قال والله يا رسول الله ما اتيتك حتى حلفت عدد اصابعي هذه
الا اتيتك فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما الاسلام قال ان
تسلم قلبك لله وان توجه وجهك الى الله وان تصلي الصلاة المكتوبة وتودي

الزكاه

عملوا

الزكاة المفروضة اخوان نصيران لا يقبل الله من اشرك بعد اسلامه وفي
رواية قال ان تقول اسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وكل
مسلم على مسلم محرم وفي لفظ ان تقول اسلمت نفسي لله وخليت وجهي اليه
وروى محمد بن نصر من حديث خالد بن معدان عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان للاسلام ضوى ومنارًا كمنار الطريق من ذلك ان تعبد الله
ولا تشرك به شيئًا وان تقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وتسليم على بني ادم اذا لقيتهم فاذا ردوا عليك ردت
عليك الملايكة وان لم يردوا عليك ردت عليك الملايكة ولعنتهم ان سكت عنهم
وتسليمك على اهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن انتقص منهن شيئًا فهو سهم في الاسلام
تركه ومن تركهن فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم كافة قال مجاهد وقتادة نزلت في المسلمين يامرهم بالدخول
في شرايع الاسلام كلها وهذا الثاني قول من قال نزلت فيمن اسلم من اهل الكتاب
او فيمن لم يسلم لان هولاء كلهم مامورون ايضًا بذلك الجمهور يقولون في السلم
اي في الاسلام وفي الطمانينة هو الطاعة وكلاهما ماثور عن ابن عباس وكلاهما حق فان
الاسلام هو الطاعة كما تقدم انه من باب الاعمال واما قوله كافة فقد قيل المراد ادخلوا
كلكم وقيل المراد به ادخلوا في الاسلام جميعه وهذا هو الصحيح فان الانسان لا يومر
بعمل غيره وانما يومر بما يقدر عليه وقوله ادخلوا خطاب لهم كلهم فقوله ان اريد به
مجتمعين لزم ان يترك الانسان الاسلام حتى يسلم غيره فلا يكون الاسلام مامورًا به
الا بشرط موافقة الغير له كالجمعة وهذا لا يقوله مسلم وان اريد بكافة اي ادخلوا
جميعكم فكل اوامر القران كقوله امنوا بالله ورسوله واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
كلها من هذا الباب وما قيل فيها كافة وقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة اي قاتلوهم
كلهم لا تدعوا مشركًا حتى تقاتلوه فانها نزلت بعد نبذ العهود ليس المراد قاتلوهم
جميعًا مجتمعين او جميعكم فان هذا لا يجب بل يقاتلون بحسب المصلحة والجهاد فرض
على الكفاية فاذا كانت فرايض الاعيان لم يوكد المامورين فيها بكافة فكيف يوكد
بذلك في فروض الكفاية وانما المقصود تعميم المقاتلين فقوله قاتلوهم كافة احتمالان

والمقصود انه لا بد من الدخول في جميع الاسلام كما دل عليه هذا الحديث فكل
ما كان من الاسلام وجب الدخول فيه فان كان واجبا على الاعيان لزمه فعله وان
كان واجبا على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه اذا تعين واخذ بالفضل ففعله
وان كان مستحبا اعتقد حسنه واحب فعله وفي حديث جرير ان رجلا قال
يا رسول الله صف لي الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وتقر بما جاء من عند الله وتقيم
الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال اقررت في قصة طويلة
فيها انه وقع في اخاقيق جرذان وانه قتل وكان جائعا وملكان يدسان في شدقه من
ثمار الجنة فقوله وتقر بما جاء من عند الله هو الاقرار بان محمدا رسول الله فانه
هو الذي جا بذلك وفي الحديث الذي يرويه ابو سليمان الداراني حديث الوفد الذين
قالوا نحن المومنون قال فما علامة ايمانكم قالوا خمس عشرة خصلة خمس امرتنا
رسلك ان نعمل بهن وخمس امرتنا رسلك ان نومن بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية
ونحن عليها في الاسلام الا ان تكره منها شيا قال فما الخمس التي امرتكم رسلي ان قالوا (تعملوا بها)
نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونقيم الصلاة ونوتي الزكاة ونصوم رمضان
ونحج البيت قال وما الخمس التي امرتكم ان تومنوا بها قالوا امرتنا ان نومن بالله وملايكته
وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية
وثبتم عليها في الاسلام قالوا الصبر عند البلا والشكر عند الرخا والرضا بمر القضا
والصدق في مواطن اللقا وترك الشماتة بالاعداء قال وانا امركم بخمس لا تجمعوا
ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه منتقلون واتقوا الله (انتم)
الذي اليه ترجعون فقد فرق بين الخمس التي يعمل بها فجعلها في الاسلام والخمس
التي يومن بها فجعلها في الايمان وجميع الاحاديث الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم
تدل على مثل هذا وفي الحديث الذي رواه احمد من حديث ايوب عن ابي قلابة
عن رجل من اهل الشام عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اسلم تسلم قال وما
الاسلام قال ان تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل
قال الايمان قال وما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد
الموت قال فاي الايمان افضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال ان تهجر السوء قال فاي الهجرة

افضل

قال الجهاد قال وما الجهاد قال ان تجاهد الكفار اذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما افضل الاعمال الا من عمل بمثلهما
قالها ثلاثا حجة مبرورة او عمرة وقوله هما افضل الاعمال اي بعد الجهاد كقوله
ثم عملان ففي هذا الحديث جعل الايمان خصوصا في الاسلام اعم منه كما جعل الهجرة
خصوصا في الايمان والايمان اعم منه وجعل الجهاد خصوصا من الهجرة والهجرة
اعم منه فالاسلام ان تعبد الله وحده مخلصا له الدين وهذا دين الله الذي لا يقبل
من احد غيره لا من الاولين ولا من الاخرين ولا تكون عبادته مع ارسال الرسل الينا
الا بما امرت به رسله لا بما يضاد ذلك فان ضد ذلك معصية وقد ختم الله الرسل بمحمد صلى
الله عليه وسلم فلا يكون مسلما الا من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وهذه الكلمة بها يدخل الانسان في الاسلام فمن قال الاسلام الكلمة واراد هذا فقد صدق
ثم لا بد من التزام ما امر به الرسول من الاعمال الظاهرة كالمباني الخمس ومن
ترك من ذلك شيا نقص اسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث من انتقص منهن
شيئا فهو سهم من الاسلام تركه وهذه الاعمال اذا عملها الانسان مخلصا لله
تعالى فانه يثاب عليها ولا يكون ذلك الا مع اقراره بقلبه انه لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فيكون معه من الايمان هذا الاقرار وهذا الاقرار لا يستلزم ان يكون
صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب ولا ان يكون مجاهدا ولا سائر ما يتميز
به المومن عن المسلم الذي ليس بمومن ولكن كثير من المسلمين باطنا وظاهرا
معهم هذا الاسلام بلوازمه من الايمان ولم يصلوا الى اليقين والجهاد فهولا
يثابون على اسلامهم واقرارهم بالرسول مجملا وقد لا يعرفون انه جا بكتاب
وقد لا يعرفون انه جا بملك ولا انه اخبر بكذا واذا لم يبلغهم ان الرسول اخبر
بذلك لم يكن عليهم الاقرار المفصل به لكن لا بد من الاقرار بانه رسول الله وانه صادق
في كل ما يخبر به عن الله ثم الايمان الذي يمتاز به فيه تفضيل وفيه طمانينة ويقين
فهذا متميز بصفته وقدره في الكمية والكيفية فان اوليك معهم من الايمان بالله
وملايكته وكتبه ورسله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هولا وايضا ففي
قلوبهم من اليقين والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هولا واوليك هم المومنون

حقا وكل مؤمن من ابرار يكون مسلما فان الايمان يستلزم الاعمال وليس كل مسلم مؤمنا هذا
الايمان المطلق لان الاستسلام والعمل لله لا يتوقف على هذا الايمان الخاص وهذا الفرق
يجده الانسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر
او ولدوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل الطاعة لله ورسوله فهم
مسلمون ومعهم ايمان مجمل ولكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا
ان اعطاهم الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون لا الى اليقين ولا الى الجهاد ولو
شككوا لشكوا ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارا ولا منافقين بل ليس
عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرا الريب ولا عندهم من قوة
الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الاهل والمال وهؤلاء ان عوفوا من المحنة
وماتوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم فان
لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب والا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق
وكذلك اذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا من اهل الوعيد ولهذا لما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم عامة اهلها فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق
من نافق فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الاسلام ودخلوا الجنة ولم يكونوا
من المؤمنين حقا الذين ابتلوا فظهر صدقهم قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين وقال ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ولهذا ذم المنافقين
بانهم دخلوا في الايمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله الى قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون وقال في الاية الاخرى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الى
قوله ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان
نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين فقد امره ان يقول لهم قد كفرتم
بعد ايمانكم وقول من يقول عن مثل هذه الايات انهم كفروا بعد ايمانهم بلسانهم مع كفرهم اولا

بقلوبهم

بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال
قد كفرتم بعد ايمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان اريد انكم
اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان فهم لم يظهروا للناس الا لخواصهم وهم
مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا ان تنزل سورة تبين ما في قلوبهم
من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد ايمانهم ولا يدل اللفظ على انهم
ما زالوا منافقين وقد قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم
جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان ورسوله
يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة فهنا قال كفروا بعد اسلامهم
فهذا الاسلام قد يكون من جنس اسلام الاعراب فيكون قوله بعد ايمانكم
وبعد اسلامهم سواء وقد يكونوا ما زالوا منافقين فلم يكن لهم حال كان معهم فيها
من الايمان شيء لكنهم اظهروا الكفر والردة ولهذا دعاهم الى التوبة فقال فان يتوبوا
يك خيرا لهم وان يتولوا بعد التوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة
وهذا انما هو لمن اظهر الكفر فيجاهده الرسول باقامة الحد والعقوبة ولهذا ذكر
هذا في سياق قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولهذا قال في تمامها وما لهم في
الارض من ولي ولا نصير وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد اسلامهم غير اولئك
الذين كفروا بعد ايمانهم فان هؤلاء حلفوا بالله ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي
كفروا بها بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وهو يدل على انهم سعوا في ذلك فلم
يصلوا الى مقصودهم فانه لم يقل هموا بما لم يفعلوا لكن بما لم ينالوا فصدر منهم
قول وفعل وقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فاعترفوا واعتذروا
ولهذا قال لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة
فدل على انهم لم يكونوا عند انفسهم قد اتوا كفرا بل ظنوا ان ذلك ليس بكفر فبين
ان الاستهزاء بالله واياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد ايمانه فدل على انه كان
عندهم ايمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا انه محرم ولكن لم يظنوه
كفرا وكان كفرا كفروا به فانهم لم يعتقدوا جوازه وهكذا قال غير واحد من

من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة انهم ابصروا
ثم عموا وعرفوا ثم انكروا وامنوا ثم كفروا وكذلك قال قتادة ومجاهد ضرب
المثل لاقبالهم على المومنين وسماعهم ما جاء به الرسول وذهاب نورهم
قال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون الى ما كانوا عليه واما
قول من قال المراد بالنور ما حصل في الدنيا من حقن دمايهم واموالهم فاذا
ماتوا سلبوا ذلك الضو كما سلب صاحب النار ضوءه فلفظ الاية يدل على خلاف ذلك
فانه قال وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ويوم القيمة
يكونون في العذاب كما قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا قيل ارجعوا وراكم
انظرونا نقتبس من نوركم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم الاية وقال غير واحد من السلف ان المنافق يعطى يوم القيمة نورا قد
ثم يطفى ولهذا قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا قال المفسرون
اذا راى المومنون نور المنافقين يطفى سالوا الله ان يتم نورهم ويبلغهم الجنة لهم
قال ابن عباس ليس احد من المسلمين الا يعطى نورا يوم القيمة فاما المنافق فيطفى
نوره والمومن يشفق مما راى من اطفاء نور المنافق فهو يقول ربنا اتمم لنا نورنا
وهو كما قال وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة وابي سعيد وهو ثابت من
وجوه اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث جابر وهو معروف من حديث
ابن مسعود وهو اطولها ومن حديث ابي موسى في الحديث الطويل الذي يذكر فيه
انه ينادي يوم القيمة ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس
الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت
وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله في صورة

فتبين ان المنافقين يحشرون مع المومنين في الظاهر كما كانوا معهم في الدنيا وقت

الحقيقة هولاء يسجدون لربهم واولئك لا يتمكنون من السجود فانهم لم يسجدوا
في الدنيا له بل قصدوا الرياء للناس والجزاء في الاخرة هو من جنس العمل في الدنيا فلهذا
اعطوا نورا ثم طفى لانهم في الدنيا دخلوا في الايمان ثم خرجوا ولهذا ضرب الله لهم المثل
بذلك وهذا المثل هو لمن كان فيهم امن ثم كفر وهولاء الذين يعطوا في الاخرة نورا ثم يطفى
ولهذا قال فيهم لا يرجعون قال قتادة ومقاتل لا يرجعون عن ضلالتهم وقال
السدي لا يرجعون الى الاسلام يعني في الباطن والا فهم يظهرونه وهذا المثل انما
يكون في الدنيا وهذا المثل مضروب لبعضهم وهم الذين امنوا ثم كفروا واما الذين لم
يزالوا منافقين فضرب لهم المثل الاخر وهو قوله او كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد وبرق وهذا اصح القولين فان المفسرين اختلفوا هل المثلان مضروبان لهم كلهم
او هذا المثل لبعضهم وهذا المثل لبعضهم على قولين والثاني هو الصواب لانه قال او كصيب
واو انما يثبت بها احد الامرين فدل ذلك على ان مثلهم هذا او هذا فانهم لا يخرجون عن
المثلين بل بعضهم يشبه هذا وبعضهم يشبه هذا ولو كانوا كلهم يشبهون المثلين
لم يذكر او بل كان يذكر الواو العاطفة وقول من قال او هنا للتخيير كقولهم
جالس الحسن او ابن سيرين ليس بشي لان التخيير يكون في الامر لا يكون في الخبر
وهذا خبر وكذلك قول من قال او بمعنى الواو او لتشكيك المخاطبين او للابهام عليهم
ليس بشي فان الله يريد بالامثال البيان والتفهيم لا يريد التشكيك والابهام والمقصود
تفهيم المومنين حالهم ويدل على ذلك انه قال في المثل الاول صم بكم عمي وقال في الثاني
يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق
يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم ان الله على كل شي قدير ففي المثل الثاني انهم يسمعون ويبصرون
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم وفي الاول كانوا يبصرون ثم صاروا في
ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي وفي الثاني اذا اضاء لهم البرق مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا فلهم حالان حال ضيا وحال ظلام والاولون بقوا في الظلمة فالاول حال من
كان في ضو فصار في ظلمة والثاني حال من لم يستقر لا في ضو ولا في ظلمة بل يختلف
عليه الاحوال التي توجب مقامه واسترابته ومن هذا انه تعالى ضرب للكفار ايضا

مثلين بحرف قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع
الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور فالاول مثل الكفر الذي يحسب صاحبه انه على حق
وهو على باطل كمن زين له سوء عمله فراه حسنا فانه لا يعلم انه لا يعلم فلهذا مثل (ولا يعلم م)
بالسراب بقيعة والثاني مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيا بل هو في ظلمات
بعضها فوق بعض من عظم جهله لم يكن معه اعتقاد انه على حق بل هو حائر في ضلالة
وظلمات متراكمة وايضا فقد يكون المنافق والكافر تارة متصفا بهذا الوصف
وتارة متصفا بهذا الوصف فيكون التقسيم في المثلين لتنوع الاشخاص ولتنوع احوالهم
وبكل حال فليس ما ضرب له هذا المثل هو مماثل لما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثلين
صورة ومعنى ولهذا لم يضرب للايمان الا مثل واحد لان الحق واحد فضرب مثله
بالنور واولئك ضرب لهم المثل بضوء لا حقيقة له كالسراب بالقيعة او بالظلمات
المتراكمة ولذلك المنافق يضرب له المثل بمن ابصر ثم عمي او هو مضطرب يسمع
ويبصر ما لا ينتفع به فتبين ان من المنافقين من كان امن ثم كفر باطنا وهذا مما
استفاض به النقل عند اهل العلم بالحديث والتفسير والسير انه كان رجال
قد امنوا ثم كفروا وكان يجري مجرى ذلك اسباب منها امر القبلة لما حولت ارتد عن (نافقوا)
الايمان لاجل ذلك طايفة وكانت محنة امتحن الله بها الناس قال تعالى وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قال اي اذا حولت
والمعنى ان الكعبة هي القبلة التي كان قد علمنا انا نجعلها قبلتكم فان الكعبة ومسجدها
وحرمها افضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق وقبلة ابراهيم وغيره من
الانبياء ولم يامر الله قط احدا ان يصلي الى بيت المقدس لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما
فلم يكن نجعلها القبلة دايما ولكن جعلناها اولا قبلة ليمتحن بتحويلها منها الناس فيتبين
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكان في شرعها هذه الحكمة ولذلك
ايضا لما انهزم المسلمون يوم احد وشج وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت

رباعيته

ارتد طايفة نافقوا قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم
مومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين
الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب الظالمين وليمحص الله
الذين امنوا ويمحق الكافرين وقال تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن
الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون فقوله وليعلم الذين نافقوا ظاهر
فيمن احدث نفاقا وهو يتناول من لم يكن قبل منافقا ومن نافق ثم جدد نفاقا ثانيا وقوله هم
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يبين انهم لم يكونوا قبل ذلك اقرب منهم بل اما ان يتساويا
واما ان يكونوا للايمان اقرب وكذلك كان فان ابن ابي لما انخزل عن النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد انخزل معه ثلث الناس قيل كانوا نحو ثلثماية وهولاء لم يكونوا قبل ذلك كلهم
منافقين في الباطن اذ لم يكن لهم داع الى النفاق فان ابن ابي كان مظهرا لطاعة النبي صلى الله
عليه وسلم والايمان به وكان كل يوم جمعة يقوم خطيبا في المسجد يامر باتباع النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يكن ما في قلبه يظهر الا للقليل من الناس ان ظهر وكان معظما في قومه
كانوا قد عزموا على ان يتوجوه ويجعلوه مثل الملك عليهم فلما جاءت النبوة بطل ذلك
فحمله الحسد على النفاق والا فلم يكن هو في الباطن على دين يدعوا اليه وانما كان
هذا في اليهود فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقد ظهر حسنه ونوره
مال اليه القلوب لا سيما لما نصره الله يوم بدر ونصره على اليهود بني
قينقاع صار معه الدين والدنيا فكان المقتضي للايمان في عامة الانصار قائما وكان
كثير منهم يعظم ابن ابي تعظيما كثيرا ويواليه ولم يكن ابن ابي اظهر مخالفة توجب الامتياز
فلما انخزل يوم احد وقال يدع رايي ورايه وياخذ براي الصبيان او كما قال
انخزل معه خلق كثير كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك وفي الجملة ففي الاخبار ممن نافق
بعد ايمانه ما يطول ذكره هنا فاولئك كانوا مسلمين وكان معهم ايمان هو الضوء الذي ضرب
الله المثل به فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا
من المومنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة ولا من المنافقين الذين ارتدوا عن

الا

الايمان بالمحنة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا او اكثرهم اذا ابتلوا بالمحن
التي تتضعضع فيها اهل الايمان ينقص ايمانهم كثيرا وينافق كثير منهم ومنهم من يظهر الردة
اذا كان العدو غالبا وقد راينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة واذا كانت
العافية او كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مومنون
بالرسول باطنا وظاهرا لكن ايمانا لا يثبت على المحنة ولهذا يكثر في هولاء ترك الفرايض
وانتهاك المحارم وهولاء من الذين قالوا امنا فقيل لهم لم تومنوا ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي الايمان المطلق الذي اهله هم المومنون حقا فان هذا هو
الايمان اذا اطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا قال تعالى
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اوليك هم الصادقون فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الايمان في القلوب
والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب بخلاف الشك فانه لا يكون الا في العلم ولهذا
لا يوصف باليقين الا من اطمان قلبه علما وعملا والا فاذا كان عالما بالحق ولكن المصيبة
او الخوف اورثه جزعا عظيما لم يكن صاحب يقين قال تعالى هنالك ابتلى
المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا وكثيرا ما يعرض للمومن شعبة من شعب
النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله
عنه والمومن يبتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره
كما قالت الصحابة يا رسول الله ان احدنا ليجد في نفسه ما لان يخر من السماء الى
الارض احب اليه من ان يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان وفي رواية ما يتعاظم ان يتكلم به
قال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة اي حصول هذا الوسواس مع هذه
الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد الذي جاءه العدو
فدافعه حتى غلبه فهذا عظيم الجهاد والصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار صريحا
لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الايمان فصار صريحا ولا بد
لعامة الخلق من هذه الوساوس فمن الناس من يجيبها فيصير كافرا او منافقا
ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فاما
ان يصير مومنا واما ان يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلاة

ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لان الشيطان يكثر تعرضه للعبد اذا اراد الانابة الى ربه
والتقرب اليه والاتصال به فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة
اهل العلم والدين اكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة
من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه
بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين
الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا ولهذا امر قارئ القران ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم
فان قراءة القران على الوجه المامور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده قال تعالى وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال تعالى هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال تعالى هدى للمتقين وقال تعالى فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وهذا مما يجده كل مومن من نفسه فالشيطان
يريد بوساوسه ان يشغل القلب عن الانتفاع بالقران فامر الله اذا قرا القران ان
يستعيذ منه قال تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون فان المستعيذ بالله مستجير به لاجي اليه مستغيث به
من الشيطان فالعائذ بغيره مستجير به فاذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا
به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان ويجيره منه ولذلك قال ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما
يجد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فامر تعالى بالاستعاذة عند طلب العبد الخير
ليلا يعوقه عنه وعند ما يعرض له من الشر فيدفعه عنه عند ارادة العبد
الحسنات وعند ما يامر الشيطان بالسيئات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزال الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله
فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فامر بالاستعاذة عند ما طلب الشيطان

مطلب فوايد التعوذ

ان يوقعه في شر او يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الانسان
اعظم رغبة في العلم والعباده واقدر على ذلك من غيره بحيث يكون قوته على
ذلك اقوى وارادته اقوى كان ما يحصل له ان سلمه الله من الشيطان اعظم وكان
ما يفتتن به ان تمكن منه الشيطان اعظم ولهذا قال الشعبي كل امه علماوها شرارها
الا المسلمين فان علماهم خيارهم واهل السنه في الاسلام كاهل الاسلام في الملل وذلك
ان كل امه غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماوهم فعلماوهم شرارهم
والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمايهم فعلماوهم خيارهم وكذلك
اهل السنه ايمتهم خيار الامه وايمه اهل البدع اضر على الامه من اهل الذنوب
ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج ونهى عن قتال الولاه الظلمه واولئك
لهم نهمه في العلم والعباده فصار يعرض لهم من الوساوس التي تضلهم وهم يظنونها
هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من ايمه المتقين
مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لاصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح
الحكمه سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب تعرفون
في السماء وتخفون على اهل الارض فصل ومما ينبغي ان يعلم ان
الالفاظ الموجوده في القران والحديث اذا عرف تفسيرها وما اريد بها من
جهه النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال باقوال اهل اللغه ولا
غيرهم ولهذا قال الفقها الاسما ثلثه انواع نوع يعرف حده بالشرع
كالصلاه والزكاه ونوع يعرف حده باللغه كالشمس والقمر ونوع يعرف
حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف
ونحو ذلك وروي عن ابن عباس انه قال تفسير القران على اربعه اوجه تفسير
تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعرفه العلما
وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم الصلاه والزكاه والصيام والحج
ونحو ذلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله وكذلك لفظ
الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو اراد احد ان يفسرها بغير ما بينه النبي
صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه واما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس علم البيان

خاص هذه الامة علماؤها خلاف غيرها

وتعليل الاحكام هو زياده في العلم وبيان حكمه الفاظ القران لكن معرفة المراد بها
لا يتوقف على هذا واسم الايمان والاسلام والنفاق والكفر هي اعظم من هذا كله فالنبي
صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الالفاظ بيانا لا يحتاج معه الى الاستدلال
على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فلهذا يجب الرجوع
في مسميات هذه الاسما الى بيان الله ورسوله فانه شاف كاف بل معاني هذه
الاسما معلوم من حيث الجمله للخاصه والعامه بل كل من تامل ما يقوله الخوارج
والمرجيه في معنى الايمان علم بالاضطرار انه مخالف للرسول ويعلم بالاضطرار ان طاعه
الله ورسوله من تمام الايمان وانه لم يكن يجعل كل من اذنب ذنبا كافرا ويعلم انه لو قدر
ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نومن بما جيت به بقلوبنا من غير شك ونقر
بالسنتنا بالشهادتين الا انا لا نطيعك في شي مما امرت به ونهيت عنه فلا نصلي ولا
نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نودي الامانه ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيا
من الخير الذي امرت به ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من
قدرنا عليه من اصحابك وامتك وناخذ اموالهم بل نقتلك ايضا ونقاتلك مع اعدايك هل كان
يتوهم عاقل ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم انتم مومنون كاملو الايمان وانتم من
اهل شفاعتي يوم القيمه ويرجى لكم ان لا يدخل احد منكم النار بل كل مسلم يعلم بالاضطرار انه
يقول لهم انتم اكفر الناس بما جيت به ويضرب رقابهم ان لم يتوبوا من ذلك وكذلك
كل مسلم يعلم ان شارب الخمر والزاني والقاذف لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين
يجب قتلهم بل القران والنقل المتواتر عنه يبين ان هولاء لهم عقوبات غير عقوبه المرتد
عن الاسلام كما ذكر الله في القران جلد القاذف والزاني وقطع السارق وهذا متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مرتدين لقتلهم فكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار
من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واهل البدع انما دخل عليهم الداخل لانهم اعرضوا
عن هذه الطريق وصاروا يبنون دين الاسلام على مقدمات يظنون صحتها اما في
دلاله الالفاظ واما في المعاني المعقوله ولا يتاملون بيان الله ورسوله وكل مقدمات تخالف
بيان الله ورسوله فانها تكون ضلالا ولهذا تكلم احمد في رسالته المعروفه في الرد
على من يتمسك بما يظهر له من القران من غير استدلال ببيان الرسول والصحابه والتابعين

بلغ

ولهذا ذكرنا في رسالتنا الى ابي عبد الرحيم الجرجاني في الرد على المرجيه وهذه
طريقه ساير ايمه المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول اذا وجدوا الى ذلك سبيلا
ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها انه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم
او غير الحق وهذا مما حرمه الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان انما يامركم بالسوء
والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق وهذا من تفسير القران بالراي الذي جا فيه الحديث
من قال في القران برايه فليتبوا مقعده من النار مثال ذلك ان المرجيه لما عدلوا عن
معرفه كلام الله ورسوله اخذوا يتكلمون في مسمى الايمان والاسلام وغيرهما بطرق
ابتدعوها مثل ان يقولوا الايمان في اللغه هو التصديق والرسول انما خاطب الناس بلغه
العرب لم يغيرها فيكون مراده بالايمان التصديق ثم قالوا والتصديق انما يكون بالقلب
واللسان او بالقلب فالاعمال ليست من الايمان ثم عمدتهم في ان الايمان هو التصديق
قوله وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا فيقال لهم اسم الايمان قد تكرر ذكره في القران والحديث
اكثر من ذكر ساير الالفاظ وهو اصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات ويفرق
بين السعداء والاشقياء ومن يوالي ومن يعادي والدين كله تابع لهذا وكل مسلم محتاج
الى معرفه ذلك افيجوز ان يكون الرسول قد اهمل بيان هذا ووكله الى هاتين
المقدمتين ومعلوم ان الشاهد الذي استشهدوا به على ان الايمان هو التصديق
ايه من القران ونقل معنى الايمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من تواتر لفظ الكلمه فان
الايمان يحتاج الى معرفته جميع الامه فينقلونه بخلاف كلمه من سوره فاكثر المومنين لم
يكونوا يحفظون هذه السوره فلا يجوز ان يجعل بيان اصل الدين مبنيا على مثل هذه
المقدمات ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم وسلكوا
السبل وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ومن الذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات فهذا كلام عام مطلق ثم يقال هاتان المقدمتان كلاهما ممنوعه فمن الذي قال
ان لفظ الايمان مرادف للفظ التصديق وهب ان المعنى يصح اذا استعمل في هذا الموضع فلم قلت انه
يوجب الترادف ولو قلت وما انت بمسلم لنا ما انت بمومن لنا صح المعنى لكن لم قلت ان
هذا هو المراد بلفظ مومن واذا قال الله اقيموا الصلاه ولو قال القايل اتموا الصلاه ولازموا

الصلاه التزموا الصلاه افعلوا الصلاه كان المعنى صحيحا لكن لا يدل على هذا معنى
اقيموا فكون اللفظ يرادف اللفظ يراد دلالته على ذلك ثم يقال ليس هو مرادا له
وذلك من وجوه احدها ان يقال للمخبر اذا صدقه صدقه ولا يقال امنه ولا امن به بل
يقال امن له كما قال فامن له لوط وقال فما امن لموسى الا ذريه من قومه وقال فرعون
امنتم له قبل ان اذن لكم وقالوا لنوح انومن لك واتبعك الارذلون وقال تعالى قل
اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون وقال وان لم تومنوا لي فاعتزلون فان قيل فقد يقال ما انت بمصدق
لنا قيل اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه اذا ضعف عمله اما بتاخيره او بكونه
اسم فاعل او مصدرا او باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه ويتقيه ثم اذا
ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربه خايف لربه وكذلك تقول فلان يرهب الله
ثم تقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل واخرته تقويه باللام كقوله وفي
نسختها هدى ورحمه للذين هم لربهم يرهبون وقد قال فاياي فارهبون
فعداه بنفسه وهنا ذكر اللام فان قوله فاياي اتم من قوله فارهبوا لي وقوله
لربهم اتم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب اكمل من ضمير الجر بالياء
وهنا اسم ظاهر فتقويته باللام اولى واتم من تجريده ومن هذا قوله ان كنتم للرويا تعبرون
ويقال عبرت روياه وكذلك قوله وانهم لنا لغايظون وانما يقال غظته لا يقال غظت له
ومثله كثير فقول القايل ما انت بمصدق لنا ادخل فيه اللام لكونه اسم فاعل والا
فانما يقال صدقته لا يقال صدقت له ولو ذكروا الفعل لقالوا ما صدقتنا وهذا بخلاف
لفظ الايمان فانه تعدى الى الضمير باللام دايما لا يقال امنته قط وانما يقال امنت له
كما يقال اقررت له فكان تفسيره بلفظ الاقرار اقرب من تفسيره بلفظ
التصديق مع ان بينهما فرقا الثاني انه ليس مرادفا للفظ التصديق في
المعنى فان كل مخبر عن مشاهده او غيب يقال له في اللغه صدقت كما يقال
كذبت فمن قال السما فوقنا قيل له صدقت واما لفظ الايمان فلا يستعمل الا في
الخبر عن غايب لم يوجد في الكلام ان من اخبر عن مشاهده كقوله طلعت الشمس
وغربت انه يقال امناه كما يقال صدقناه ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال

صدقناهم وما يقال امنا لهم فان الايمان مشتق من الامن فانما يستعمل في خبر يؤتمن
عليه المخبر كالامر الغايب الذي يؤتمن عليه المخبر ولهذا لم يوجد قط في
القران وغيره لفظ امن له الا في هذا النوع والاثنان اذا اشتركا في معرفة الشي يقال
صدق احدهما صاحبه ولا يقال امن له لانه لم يكن غايبا ايتمنه عليه ولهذا قال فامن له امن ع
لوط انؤمن لبشرين مثلنا امنتم له يؤمن بالله ويؤمن للمومنين فيصدقهم فيما اخبروا
به مما غاب عنه وهو مامون عنده على ذلك فاللفظ متضمن مع التصديق معنى
الايتمان والامانه كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ولهذا قالوا وما انت بمؤمن لنا اي لا
تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمين اليه ولو كنا صادقين لانهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن
على ذلك فلو صدقوا لم يامن لهم الثالث ان لفظ الايمان في اللغه لم يقابل بالتكذيب كلفظ
التصديق فانه من المعلوم في اللغه ان كل مخبر يقال له صدقت او كذبت ويقال
صدقناه او كذبناه ولا يقال لكل مخبر امنا له او كذبناه ولا يقال انت مومن له او
مكذب له بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مومن او كافر والكفر لا
يختص بالتكذيب بل لو قال انا اعلم انك صادق لكن لا اتبعك بل اعاديك وابغضك واخالفك
ولا اوافقك لكان كفره اعظم فلما كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم ان
الايمان ليس هو التصديق فقط بل اذا كان الكفر يكون تكذيبا ويكون مخالفه ومعاداه
وامتناعا بلا تكذيب فلا بد ان يكون الايمان تصديقا مع موافقه وموالاه وانقياد
لا يكفي مجرد التصديق فيكون الاسلام جزء مسمى الايمان كما كان الامتناع من
الانقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر فيجب ان يكون كل مومن مسلما منقادا
للامر وهذا هو العمل فان قيل فالرسول صلى الله عليه وسلم فسر الايمان بما يومن
به قيل فالرسول ذكر ما يومن به لم يذكر ما يومن له وهو نفسه يجب ان يومن
له فالايمان به من حيث نبوته غيب عنا اخبرنا بها وليس كل غيب امنا به علينا
ان نطيعه واما ما يجب من الايمان له فهو الذي يوجب طاعته والرسول يجب الايمان
به اي يثبته ان يثبت هذا وايضا فان طاعته طاعة لله من تمام الايمان به الرابع ان من وطاعة الله ع
الناس من يقول الايمان اصله في اللغه من الامن الذي هو ضد الخوف فامن اي صار داخلا من ع
في الامن وانشدوا

يطلع

وانشدوا
واما المقدمه التاسعه فيقال انه اذا فرض انه مرادف للتصديق فقولهم
ان التصديق لا يكون الا بالقلب واللسان عنه جوابان احدهما المنع بل الافعال تسمى
تصديقا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان
وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش
والرجلان تزنيان وزناهما المشي والقلب يتمنى ذلك ويشتهي والفرج يصدق
ذلك ويكذبه وكذلك قال اهل اللغه وطوايف من السلف والخلف قال الجوهري
والتصديق مثل الفسيق الدايم التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل
وقال الحسن البصري ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقته
الاعمال وهذا مشهور عن الحسن روي عنه من غير وجه كما رواه عباس
الدوري حدثنا حجاج حدثنا ابو عبيدة الناجي عن الحسن قال ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني
ولكن ما وقر في القلب وصدقته الاعمال من قال حسنا وعمل غير صالح رده
الله عليه ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بان الله يقول
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ورواه ابن بطه من الوجهين
وقوله ليس بالتمني يعني الكلام وقوله بالتحلي يعني ان تصير حليته ظاهره له
فتظهره من غير حقيقه من قلبه ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحليه
الظاهره ولكن ما وقر في القلب وصدقته الاعمال فالعمل يصدق ان في القلب ايمانا
واذا لم يكن في القلب ايمانا اذا لم يكن عمل كذب ان في قلبه ايمانا لان ما في القلب مستلزم
للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وقد روى محمد بن نصر
المروزي باسناده ان عبد الملك بن مروان كتب الى سعيد بن جبير يساله عن
هذه المسايل فاجابه عنها سالت عن الايمان فالايمان هو التصديق ان يصدق
العبد بالله وملايكته وما انزل من كتاب وما ارسل من رسول وباليوم الاخر وسالت
عن التصديق والتصديق ان يعمل العبد بما صدق به من القران وما ضعف عن
شي منه وفرط فيه عرف انه ذنب واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه
فذلك هو التصديق وتسال عن الدين والدين هو العباده فانك لن تجد رجلا من اهل

دين يشرك عباده اهل دين ثم لا يدخل في دين اخر الا صار لا دين له وتساءل عن العبادة
والعبادة هي الطاعة ذلك انه من اطاع الله فيما امره به وفيما نهاه عنه فقد اثر
عبادة الله ومن اطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان الا ترى ان الله
قال للذين فرطوا الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وانما كانت عبادتهم
الشيطان انهم اطاعوه في دينهم وقال اسد بن موسى ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي
عن حسان بن عطية قال الايمان في كتاب الله صار الى العمل قال الله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية ثم صيرهم الى العمل فقال الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون قال وسمعت الاوزاعي يقول قال الله فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين والايمان بالله باللسان والتصديق العمل وقال معمر عن
الزهري كنا نقول الاسلام بالاقرار والايمان بالعمل والايمان قول وعمل قرينان لا ينفع
احدهما الا بالاخر وما من احد الا يوزن قوله وعمله فان كان عمله اوزن من قوله صعد
الى الله تعالى وان كان كلامه اوزن من عمله لم يصعد الى الله ورواه ابو عمر الطلمنكي
باسناده المعروف وقال معوية بن عمرو عن ابي اسحق الفزاري عن الاوزاعي قال
لا يستقيم الايمان الا بالقول ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ولا يستقيم الايمان والقول
والعمل الا بنية موافقة للسنة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل
العمل من الايمان والايمان من العمل وانما الايمان اسم يجمع كما يجمع هذه الاديان اسمها
ويصدقه العمل فمن امن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى
التي لا انفصام لها ومن قال بلسانه ولم يعرفه بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الاخرة
من الخاسرين وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف انهم يجعلون العمل
مصدقا للقول ورووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه معاذ بن اسد ثنا الفضيل
بن عياض عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد ان ابا ذر سال النبي صلى الله عليه وسلم عن
الايمان فقال الايمان الاقرار والتصديق بالعمل ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب الى قوله اولئك هم المتقون قلت ـــــ حديث ابي ذر
هذا مروي من غير وجه فان كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول فلا كلام وان كان مرويا
بالمعنى دل على انه من المعروف في لغتهم انه يقال صدق قوله بعمله وكذلك قال شيخ

الاسلام

الهروي الايمان تصديق كله ولذلك الجواب الثاني انه اذا كان اصله التصديق
فهو تصديق مخصوص كما ان الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام
امساك مخصوص وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلة في مسماه
عند الاطلاق فان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ويبقى النزاع لفظيا هل الايمان
دال على العمل بالتضمن او باللزوم ومما ينبغي ان يعرف ان اكثر التنازع من اهل السنة
في هذه المسالة هو نزاع لفظي والا فالقائلون بان الايمان قول من الفقهاء كحماد بن
ابي سليمان وهو اول من قال ذلك ومن اتبعه من اهل الكوفة وغيرهم متفقون
مع جميع علماء السنة على ان اصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد وان
قالوا ان ايمانهم كامل كايمان جبريل فهم يقولون ان الايمان بدون العمل المفروض ومع
فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب كما تقوله الجماعة
ويقولون ايضا بان من اهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة والذين ينفون
عن الفاسق اسم الايمان من اهل السنة متفقون على انه لا يخلد في النار فليس
بين فقهاء الملة نزاع في اصحاب الذنوب اذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء
به الرسول وما تواتر عنه انهم من اهل الوعيد وانه يدخل النار منهم من اخبر
الله ورسوله بدخوله اليها ولا يخلد منهم فيها احد ولا يكونون مرتدين
ولكن الاقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة
وقول غلاة المرجئة الذين يقولون ما نعلم ان احدا منهم يدخل النار بل نقف في
هذا كله وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام ويقال للخوارج الذي
نفى عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الايمان هو لم يجعلهم مرتدين
عن الاسلام بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل احدا الا الزاني
المحصن ولم يقتله قتل المرتد فان المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا
يرجم بالحجارة بلا استتابة فدل ذلك على انه وان نفى عنهم الايمان فليسوا عنده مرتدين
عن الاسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام
ويبطنون الكفر فاولئك لم يعاقبهم الا على ذنب ظاهر ومنشأ الكلام في مسألة
الايمان تنازع الناس هل في اللغة اسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في

اللغة او انها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة فذهب الخوارج والمعتزلة الى
انها منقولة وذهبت المرجية الى انها باقية على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع
زاد في احكامها لا في معنى الاسماء وهكذا قالوا في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج انها
باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في احكامها ومقصودهم ان الايمان
هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة الى ان
الشارع تصرف فيها تصرف اهل العرف فهي بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة
الى عرف الشارع حقيقة والتحقيق ان الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها
مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت فذكر
حجا خاصا وهو حج البيت وكذلك قوله فمن حج البيت او اعتمر فلم يكن لفظ الحج متناولا
لكل قصد بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه من غير تغيير اللغة والشاعر
اذا قال   واشهد من عوف حؤولا كثيرة   يحجون سب الزبرقان المزعفرا
كان متكلما باللغة وقد قيد لفظه بحج سب الزبرقان ومعلوم ان ذلك الحج المخصوص
دل عليه الاضافة فكذلك الحج المخصوص الذي امر الله به دلت عليه الاضافة والتعريف
باللام فاذا قيل الحج فرض علينا كانت لام العهد تبين انه حج البيت وكذلك الزكاة هي اسم
لما تزكو به النفس وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها والاحسان الى الناس
من اعظم ما تزكو به النفس كما قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به النفس قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا واصل زكاتها بالتوحيد واخلاص الدين لله قال تعالى وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وهي عند المفسرين التوحيد وقد بين النبي صلى الله عليه
وسلم مقدار الواجب وسماها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة اذا عرف باللام
ينصرف اليها لاجل العهد ومن الاسماء ما يكون اهل العرف نقلوه وينسبون ذلك الى الشارع
مثل لفظ التيمم فان الله قال فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
فلفظ التيمم استعمل في معناه المعروف في اللغة فانه امر بتيمم الصعيد ثم امر
بمسح الوجوه والايدي منه فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه هذا المسح
وليس هو لغة الشارع بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده

بعده ولفظ الايمان امر به مقيدا بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الاسلام
بالاستسلام لله رب العالمين وكذلك لفظ الكفر مقيدا ولفظ النفاق قد قيل انه لم تكن
العرب تكلمت به لكنه ماخوذ من كلامهم فان نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة
اذا ماتت ومنه نافقاء اليربوع والنفق في الارض قال تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض فالمنافق هو الذي خرج من الايمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهرا وقيد النفاق
بانه نفاق من الايمان ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك منافقا عليه لكن النفاق
الذي في القران هو النفاق على الرسول فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الاسماء
كخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل انواعا وقد بين
الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال انها منقولة ولا انه زيد في الحكم دون
الاسم بل الاسم انما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقا وهو
انما قال اقيموا الصلاة بعد ان عرفهم الصلاة المامور بها فكان التعريف منصرفا
الى الصلاة التي يعرفونها لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه ولهذا قال
من قال في لفظ الصلاة انه عام للمعنى اللغوي او انه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي
والشرعي ونحو ذلك فاقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ انما ورد خبرا او امرا فالخبر كقوله
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وسورة اقرا من اول ما نزل من القران وكان بعض
الكفار اما ابو جهل او غيره قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال لئن رايته
يصلي لاطان عنقه فلما راه ساجدا راى من الهول ما اوجب نكوصه على عقبيه
فاذا قيل ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا اجمال
في اللفظ ولا عموم ثم انه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج اقام النبي صلى الله عليه
وسلم لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة ذلك اليوم وكان جبريل يؤم النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمون ياتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا قيل لهم اقيموا الصلاة عرفوا
انها تلك الصلاة وقيل انه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفي النهار فكانت ايضا معروفة
فلم يخاطبوا باسم من هذه الاسماء الا ومسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل
ما يسمى حجا ودعاء وصوما فان هذا انما يكون اذا كان اللفظ مطلقا وذلك لم يرد وكذلك
الايمان والاسلام قد كان معنى ذلك عندهم من اظهر الامور وانما سال جبريل النبي صلى الله

عليه وسلم عن ذلك وهم يسمعون وقال هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ليبين لهم كمال
هذه الأسماء وحقائقها التي ينبغي أن تقصد بها لئلا يقتصروا على أدنى مسمياتها وهذا
كما في الحديث الصحيح أنه قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان
والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق
عليه ولا يسأل الناس إلحافا فهم كانوا يعرفون المسكين وأنه المحتاج وكان ذلك مشهورا
عندهم فيمن أظهر السؤال فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يظهر حاجته بالسؤال
والناس يعطونه تزول مسكنته بإعطاء الناس له والسؤال له بمنزلة الحرفة وهو
وإن كان مسكينا يستحق من الزكاة إذا لم يعط من كفايته فهو إذا وجد من يعطيه
كفايته لم يبق مسكينا وإنما المسكين المحتاج الذي لا يسأل ولا يعرف فيعطى
فهذا هو الذي يجب أن يقدم في العطاء فإنه مسكين قطعا وذاك مسكنته تندفع
بعطاء من يسأله وكذلك قوله الإسلام هو الخمس يريد أن هذا كله واجب داخل
في الإسلام فليس للإنسان أن يكتفي بالإقرار بالشهادتين وكذلك الإيمان يجب أن يكون
على هذا الوجه المفصل لا يكتفى فيه بالإيمان المجمل ولهذا وصف الإسلام بهذا وقد
اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا
في تكفير تاركها ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب فإنما
نريد به المعاصي كالزنا والشرب وأما ترك هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع
مشهور وعن أحمد في ذلك نزاع وإحدى الروايات عنه أنه يكفر من ترك واحدة
منها وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب وعنه رواية ثانية
لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ورواية ثالثة لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة
فقط ورواية ثالثة لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها ورابعة لا يكفر
إلا بترك الصلاة وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن وهذه أقوال معروفة للسلف
قال الحكم بن عتيبة من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومن ترك الزكاة متعمدا فقد
كفر ومن ترك الحج متعمدا فقد كفر ومن ترك صوم رمضان فقد كفر وقال سعيد
بن جبير من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومن ترك الزكاة متعمدا فقد كفر ومن ترك ترك
صوم رمضان متعمدا فقد كفر بالله وقال الضحاك لا ترفع الصلاة إلا بالزكاة وقال عبد

الله

عبد الله بن مسعود من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له رواهن أسد بن موسى
وقال عبد الله بن عمرو من شرب الخمر ممسيا أصبح مشركا ومن شربه مصبحا أمسى
مشركا فقيل لإبراهيم النخعي كيف ذلك قال لأنه يترك الصلاة قال أبو عبد الله الأخنس
وها به من شرب المسكر فقد تعرض لترك الصلاة ومن ترك الصلاة فقد خرج من
الإيمان ومما يوضح ذلك أن جبريل إنما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان
والإحسان كان في آخر الأمر بعد فرض الحج والحج إنما فرض سنة تسع أو عشر وقد
اتفق الناس على أنه لم يفرض قبل سنة ست من الهجرة ومعلوم أن الرسول لم يأمر الناس
بالإيمان ولم يبين لهم معناه إلى ذلك الوقت بل كانوا يعرفون أصل معناه وهذه المسائل بسطها
موضع آخر والمقصود هنا أن من نفى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الإيمان أو الإسلام
فلا بد أن يكون قد ترك بعض الواجبات فيه وإن بقي بعضها ولهذا كان الصحابة والسلف
يقولون إنه يكون في العبد إيمان ونفاق قال أبو داود السجستاني ثنا أحمد بن حنبل
ثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن أبي المقدام عن أبي يحيى قال سئل حذيفة عن المنافق
قال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به قال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش
عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة قال القلوب أربعة قلب أغلف فذلك
قلب الكافر وقلب مصفح فذلك قلب المنافق وقلب أجرد فيه سراج يزهر
فذلك قلب المؤمن وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل يمدها ماء شجرة
طيب ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم فأيهما غلب عليه غلب وقد روي
مرفوعا وهو في المسند مرفوعا وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى
هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب فلما
كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب وروى عبد الله بن المبارك عن
عوف بن أبي جميلة عن عبد الله بن عمرو بن هند عن علي بن أبي طالب قال إن الإيمان
يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضا حتى إذا استكمل
الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد العبد
نفاقا ازداد القلب سوادا حتى إذا استكمل النفاق اسود القلب وايم الله لو
شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه

أسود وقال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه أحمد
وغيره وهذا كثير في كلام السلف يبينون أن القلب قد يكون فيه إيمان ونفاق والكتاب
والسنة تدل على ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شعب الإيمان وذكر شعب النفاق
وقال من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها وتلك الشعبة
قد يكون معها كثير من شعب الإيمان ولهذا قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من إيمان لعل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب فعلم أن من كان معه من الإيمان
في النار على قدر ما معه من ذلك ثم يخرج من النار وعلى هذا فقوله تعالى للأعراب لم
تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم نفي حقيقة دخول الإيمان في
قلوبهم وذلك لا يمنع أن يكون معهم شعبة منه كما نفاه عن الزاني والسارق ومن
لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ومن لا يأمن جاره بوائقه وغير ذلك كما تقدم ذكره فإن
في القرآن والحديث من نفى عنه الإيمان لترك بعض الواجبات شيء كثير وحينئذ فقول
من قال من السلف أسلمنا أي استسلمنا خوف السيف وقول من قال هو الإسلام الجميع
صحيح فإن هذا إنما أراد الدخول في الإسلام والإسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون
فيدخل فيه من كان في قلبه إيمان ونفاق وقد علم أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال
ذرة من إيمان بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله أسود فهذا هو الذي يكون في
الدرك الأسفل من النار ولهذا كان الصحابة يخشون النفاق على أنفسهم ولم يخافوا
التكذيب لله ورسوله فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقينا
وهذا مستند من قال أنا مؤمن حقا فإنه إنما أراد ذلك لما يعلمه من نفسه من التصديق
الجازم ولكن الإيمان ليس مجرد التصديق بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمالا ظاهرة
كما تقدم من حب الله ورسوله من الإيمان وحب ما أمر الله به وبغض ما نهى عنه وهذا من
أخص الأمور بالإيمان ولهذا ذكر صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فهذا يحب الحسنة ويفرح بها ويبغض
السيئة ويسوءه فعلها وإن فعلها بشهوة غالبة وهذا الحب والبغض من خصائص
الإيمان ومعلوم أن الزاني حين يزني إنما يزني لحب نفسه لذلك الفعل فلو قام بقلبه خشية يحب
الله التي تقهر الشهوة أو حب الله الذي يغلبها لم يزن ولهذا قال تعالى عن يوسف

عليه

السلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فمن كان
مخلصا لله حق الإخلاص لم يزن وإنما يزني لخلوه عن ذلك وهذا هو الإيمان الذي
ينزع منه نفس التصديق ولهذا قيل هو مسلم وليس بمؤمن فإن المسلم المستحق لم ينزع منه
للثواب لا بد أن يكون مصدقا وإلا كان منافقا لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الأحوال
الإيمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله ومثل خشية الله والإخلاص
له في الأعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقا بما جاء به الرسول وهو مع ذلك
يرائي بأعماله ويكون أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في الجهاد
وسبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون في آخر سورة براءة فقال قل إن كان آباؤكم الآية في
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ومعلوم أن كثيرا من المسلمين أو أكثرهم
بهذه الصفة وقد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
وإنما المؤمن من لم يرتب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله فمن لم يقم بقلبه الأحوال
الواجبة في الإيمان فهو الذي نفى عنه الرسول الإيمان وإن كان معه التصديق والتصديق
من الإيمان ولا بد أن يكون مع التصديق شيء من حب الله وخشية الله وإلا فالتصديق الذي
لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانا البتة بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس وهذا
هو الذي أنكره السلف على الجهمية قال الحميدي سمعت وكيعا يقول أهل السنة
يقولون الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون الإيمان قول والجهمية يقولون الإيمان
المعرفة وفي رواية أخرى عنه وهذا كفر قال محمد بن عمر الكلابي سمعت وكيعا
يقول الجهمية شر من القدرية قال وقال وكيع المرجئة الذين يقولون الإقرار يجزئ
من العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية تجزئ من العمل فهو كفر وهو
قول جهم وكذلك قال أحمد بن حنبل ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل
السنة من شعائر السنة وحكى غير واحد الإجماع على ذلك وقد ذكرنا عن
الشافعي رحمه الله ما ذكره من الإجماع على ذلك وقوله في الأم وكان الإجماع من الصحابة
والتابعين من بعدهم ومن أدركنا هم يقولون إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ

واحد من الثلاثة الايمة الاخر وذكر ابن ابي حاتم في مناقبه سمعت حرملة يقول اجتمع
حفص الفرد ومصلان الاباضي عند الشافعي في دار الجروي يعني بمصر في الايمان واحتج
مصلان في الزيادة والنقصان يعني وخالفه حفص الفرد فحمي الشافعي وتقلد المسالة
على ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص فطحن حفص الفرد وقطعه وروى ابو عمر
الطلمنكي باسناده المعروف عن موسى بن هرون الحمال قال املا علينا اسحق بن راهويه
ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص لا شك ان ذلك كما وصفنا وانما عقلنا هذا بالروايات
الصحيحة والاثار العامة المحكمة واخذ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين
هلم جرا على ذلك وكذلك بعد التابعين من اهل العلم على شي واحد لا يختلفون فيه وكذلك
في عهد الاوزاعي بالشام وسفين الثوري بالعراق ومالك بن انس بالحجاز ومعمر باليمن
على ما فسرنا وبينا ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقال اسحق من ترك الصلاه
متعمدا حتى ذهب وقتها الظهر الى المغرب والمغرب الى نصف الليل فانه كافر بالله
العظيم يستتاب ثلثة ايام فان لم يرجع وقال تركها لا يكون كفرا ضربت عنقه
يعني تركها وقال ذلك واما اذا صلى وقال ذلك فهذه مسالة اجتهاد قال واتبعهم على
ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا اهل العلم الا من باين الجماعة واتبع الاهوا المختلفة
فاوليك قوم لا يعبا الله بهم لما باينوا الجماعة قال الامام ابو عبيد القسم بن سلام الامام
من ٢
وله كتاب مصنف في الايمان قال هذه تسمية من كان يقول الايمان قول وعمل
يزيد وينقص من اهل مكة عبيد بن عمير الليثي عطا بن ابي رباح مجاهد بن
جبر ابن ابي مليكة عمرو بن دينار ابن ابي نجيح عبيد الله بن عمير عبد الله بن عمرو
ابن عثمان عبد الملك بن جريج نافع بن جبير داود بن عبد الرحمن العطار عبد الله
ابن رجا ومن اهل المدينة محمد بن شهاب الزهري ربيعة بن ابي عبد الرحمن
ابو حازم الاعرج سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن يحيى بن سعيد الانصاري هشام
ابن عروة بن الزبير عبيد الله بن عمر العمري مالك بن انس محمد بن ابي ذيب سليمان بن بلال
عبد العزيز بن عبد الله يعني الماجشون عبد العزيز بن ابي حازم ومن اهل اليمن طاوس اليماني
وهب بن منبه معمر بن راشد عبد الرزاق بن همام ومن اهل مصر والشام مكحول
الاوزاعي سعيد بن عبد العزيز الوليد بن مسلم يونس بن يزيد الايلي يزيد بن ابي حبيب
بلغ

يزيد بن شريح سعيد بن ابي ايوب الليث بن سعد عبيد الله بن ابي جعفر معوية بن
صالح حيوة بن شريح عبد الله بن وهب ومن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة ميمون
ابن مهران يحيى بن عبد الكريم معقل بن عبيد الله عبيد الله بن عمرو الرقي عبد الملك بن مالك
الطحان [illegible] محمد بن سلمة الحراني ابو اسحق الفزاري مخلد بن الحسين علي بن بكار
يوسف بن اسباط عطا بن مسلم محمد بن كثير الهيثم بن جميل ومن اهل الكوفة علقمة
الاسود بن يزيد ابو وايل سعيد بن جبير الربيع بن خثيم عامر الشعبي ابراهيم النخعي الحكم
ابن عتيبة طلحة بن مصرف منصور بن المعتمر سلمة بن كهيل مغيرة الضبي عطا بن السايب
اسمعيل بن ابي خالد ابو حيان يحيى بن سعيد سليمن بن مهران الاعمش يزيد بن ابي زياد
سفين بن سعيد الثوري سفين بن عيينة الفضيل بن عياض ابو المقدام ثابت بن العجلان
ابن شبرمة ابن ابي ليلى زهير شريك بن عبد الله الحسن بن صالح حفص بن غياث ابو بكر
ابن عياش ابو الاحوص وكيع بن الجراح عبد الله بن نمير ابو اسامة عبد الله بن ادريس
زيد بن الحباب الحسين بن علي الجعفي محمد بن بشر العبدي يحيى بن ادم محمد
ويعلى وعمر بنو عبيد قال ومن اهل البصرة الحسن بن ابي الحسن محمد بن
سيرين قتادة بن دعامة بكر بن عبد الله المزني ايوب السختياني يونس
ابن عبيد ابن عون سليمن التيمي هشام بن حسان الدستوائي شعبة بن الحجاج
عبد الله بن
حماد بن سلمة حماد بن زيد ابو الاشهب يزيد بن ابراهيم ابو عوانة وهيب بن خالد
عبد الوارث بن سعيد معتمر بن سليمن التيمي يحيى بن سعيد القطان عبد
الرحمن بن مهدي بشر بن المفضل يزيد بن زريع المومل بن اسمعيل خالد بن
الحرث معاذ بن معاذ ابو عبد الرحمن المقري ومن اهل واسط هشيم
ابن بشير خالد بن عبد الله علي بن عاصم يزيد بن هرون صالح بن عمر عاصم بن
علي ومن اهل المشرق الضحاك بن مزاحم ابو حمزة نصر بن عمران عبد الله
ابن المبارك النضر بن شميل جرير بن عبد الحميد الضبي قال ابو عبيد هولا
جميعا يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص وهو قول اهل السنة
المعمول به عندنا قلت ذكر من الكوفيين من قال ذلك الاكثر من غيرهم
لان الارجا من اهل الكوفة وكان اولهم قاله حماد بن ابي سليمن فاحتاج علماوها ان يظهروا

انكار ذلك فكثير منهم من قال ذلك لظهور التجهم وتعطيل الصفات لا لان ابتدا
حدوثه من خراسان اكثر من علماء خراسان في ذلك الوقت من الانكار على الجهمية
ما لم يوجد لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع بها كما جاء في الحديث ان لله عند كل بدعة
كيد بها الاسلام واهله من يتكلم بعلامات الاسلام فاغتنموا تلك المجالس فان الرحمة
تنزل على اهلها او كما قال واذا كان من قول السلف ان الانسان يكون فيه ايمان
ونفاق فكذلك في قولهم انه يكون فيه ايمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة
كما قال ابن عباس واصحابه في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد
اتبعهم على ذلك احمد بن حنبل وغيره من ائمة السنة قال الامام محمد بن نصر المروزي
في كتاب الصلاة اختلف الناس في تفسير حديث جبريل هذا فقالت طائفة من
اصحابنا قول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وما ذكر معه كلام جامع مختصر
له غور وقد وهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه على غير تأويله قلة معرفة منهم
بلسان العرب وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد اعطي جوامع الكلم وفواتحه
واختصر له الحديث اختصارا اما قوله الايمان ان تؤمن بالله ان توحده وتصدق
به بالقلب واللسان وتخضع له ولامره باعطاء العزم للاداء لما امر مجانبا للاستنكاف
والاستكبار والمعاندة فاذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت مساخطه واما قوله وملائكته
فان تؤمن بمن سمى الله لك منهم في كتابه وتؤمن بان لله ملائكة سواهم لا يعرف اساميهم وعددهم
الا الذي خلقهم واما قوله وكتبه فان تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة
والانجيل والزبور خاصة وتؤمن بان لله سوى ذلك كتبا انزلها على انبيائه لا يعرف اسماءها
وعددها الا الذي انزلها وتؤمن بالفرقان وايمانك به غير ايمانك بسائر الكتب ايمانك بغيره
من الكتب اقرارك به بالقلب واللسان وايمانك بالفرقان اقرارك به واتباعك ما فيه واما
قوله ورسله فان تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله وتؤمن بان لله سواهم رسلا
وانبياء لا يعلم اسماءهم الا الذي ارسلهم وتؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانك به
غير ايمانك بسائر الرسل وايمانك بسائر الرسل اقرارك بهم وايمانك بمحمد اقرارك
به وتصديقك اياه دائبا على ما جاء به فاذا اتبعت ما جاء به اديت الفرائض واحللت
الحلال وحرمت الحرام ووقفت عند الشبهات وسارعت في الخيرات واما قوله

واليوم الاخر فان تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب
والجنة والنار وبكل ما وصف الله به يوم القيامة واما قوله وتؤمن بالقدر خيره
وشره فان تؤمن بان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ولا
تقل لو كان كذا لم يكن كذا وكذا ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا قال فهذا هو الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فصل ومما يسال عنه
انه اذا كان ما اوجبه الله من الاعمال الظاهرة اكثر من هذه الخمس فلماذا قال
الاسلام هذه الخمس وقد اجاب بعض الناس بان هذه اظهر شعائر الاسلام واعظمها
وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده والتحقيق ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقا الذي
يجب لله عبادة محضة على الاعيان فيجب على كل من كان قادرا عليه ليعبد الله بها
مخلصا له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فانما يجب باسباب لمصالح فلا يعم
وجوبها جميع الناس بل اما ان يكون فرضا على الكفاية كالجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من امارة وحكم وفتيا واقراء الحديث وغير ذلك واما ان
يجب بسبب حق للادميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه
واذا حصلت المصلحة فحقوق العباد مثل قضاء الديون ورد الغصوب
والعواري والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والاموال والاعراض انما هي حقوق
الادميين واذا ابرءوا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص في حال دون حال لم تجب
عبادة محضة لله على كل عبد قادر ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى
بخلاف الخمسة فانها من خصائص المسلمين وكذلك ما يجب من صلة الارحام وحقوق
الزوجة والاولاد والجيران والشركاء والفقراء وما يجب من اداء الشهادة والفتيا والقضاء
والامارة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كل ذلك يجب باسباب عارضة على بعض
الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار لو حصلت بدون فعل الانسان لم تجب
فما كان مشتركا فهو واجب على الكفاية وما كان مختصا فانما يجب على زيد دون عمرو لا
يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل احد قادر سوى الخمس فان زوجة زيد
واقاربه ليس زوجة عمرو واقاربه فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف

صوم شهر رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة فإن الزكاة وإن كانت
حقا ماليا فإنها واجبة لله والأصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية
ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه ولم يطلب من الكفار وحقوق العباد لا يشترط
لها النية ولو أداها غيره عنه بغير إذنه برئت ذمته ويطالب بها الكفار وما يجب حقا
لله كالكفارات هو بسبب من العبد وفيها شوب العقوبات فإن الواجب لله ثلثة
أنواع عبادة محضة كالصلوات وعقوبات محضة كالحدود وما يشبههما كالكفارات
ولهذا الكفارات الحج وما يجب بالنذر فإن ذلك يجب بسبب فعل العبد وهو واجب
في ذمته وأما الزكاة فإنها تجب حقا لله في ماله ولهذا يقال ليس في المال حق سوى
الزكاة أي ليس فيه حق يجب بسبب المال سوى الزكاة وإلا ففيه واجبات
بغير سبب المال كما تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم ويجب
حمل العاقلة ويجب قضاء الديون ويجب الإعطاء في النائبة ويجب إطعام الجائع وكسوة
العاري فرضا على الكفاية إلى غير ذلك من الواجبات المالية لكن بسبب عارض والمال
شرط في وجوبها كالاستطاعة في الحج فإن البدن سبب الوجوب والاستطاعة
شرط والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه حتى لو لم يكن في بلده من يستحقها
حملها إلى بلد آخر فهي حق وجب لله تعالى ولهذا قال من قال من الفقهاء إن التكليف
شرط فيها فلا تجب على الصغير والمجنون وأما الصحابة والجمهور كمالك والشافعي
وأحمد فأوجبوها في مال الصغير والمجنون لأن مالهما من جنس مال غيرهما ووليهما يقوم
مقامهما بخلاف بدنهما فإنه إنما يتصرف بعقلهما وعقلهما ناقص وصار هذا كإيجاب العشر
في أرضهما مع أنه إنما يستحقه الثمانية وكذلك إيجاب الكفارات في مالهما والصلاة والصيام
إنما يسقط لعجز العقل عن الإيجاب لا سيما إذا انضم إلى عجز البدن كالصغير وهذا المعنى
منتف في المال فإن الولي قام مقامهما في الفهم كما يقوم مقامهما في جميع ما يجب في المال
وأما بدنهما فلا تجب عليهما فيه شيء فصل قال محمد بن نصر واستدلوا على
أن الإيمان هو ما ذكره بالآيات التي تلوناها عند ذكر ما يسميه الله الصلاة وسائر الطاعات
إيمانا واستدلوا أيضا بما قص الله من نبأ إبليس حين عصى ربه بإبائه في سجدة واحدة
أمر أن يسجدها لآدم فأباها فلم يجحد إبليس حين عصى ربه وهو مقر برب بما أغويتني ويقول رب

أنظرني إلى يوم يبعثون إيمانا منه بالبعث وإيمانا بنفاذ قدرته في إنظاره
إياه إلى يوم يبعثون ولم يجحد أحدا من أنبيائه ولم ينكر شيئا من سلطانه
وهو يحلف بعزته وإنما كان كفره بترك سجدة واحدة أمر بها فأباها
قال واستدلوا أيضا بما قص الله علينا من نبأ ابني آدم إذ قربا قربانا فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من الآخر إلى قوله فأصبح من الخاسرين قالوا ولم يجحد ربه
وكيف يجحده وهو يتقرب إليه بالقربان قالوا وقال الله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ولم يقل إذا ذكروا بها فقط
وقال الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به يعني يتبعونه
حق اتباعه فإن قيل فهل معا ذكرت من سنة ثابتة تبين أن العمل داخل في
الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله قيل نعم عامة السنن والآثار تنطق بذلك منها
حديث وفد عبد القيس وذكر حديث شعبة وغيره عن أبي جمرة عن ابن
عباس كما تقدم ولفظه آمركم بالإيمان بالله وحده ثم قال هل تدرون ما الإيمان بالله
وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمسا من المغنم وذكر
أحاديث كثيرة توجب دخول الأعمال في الإيمان مثل قوله في حديث
لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أبو عبد الله
محمد بن نصر اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن فقالت طائفة منهم إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم
أن يزيل اسم الإيمان عنه من غير أن يخرجه من الإسلام ولا يزيل عنه اسمه وفرقوا
بين الإيمان والإسلام وقالوا إذا زنا فليس بمؤمن وهو مسلم واحتجوا لتفريقهم بين
الإسلام والإيمان بقوله تعالى قالت الأعراب آمنا الآية فقالوا الإيمان خاص يثبت
به الاسم بالعمل مع التوحيد والإسلام عام يثبت به الاسم بالتوحيد والخروج
من ملل الكفر واحتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص وذكره عن سعد أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعطى رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا فقلت يا رسول الله أعطيت
فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم أعادها

لنا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا ومسلم ثم قال إني لأعطي رجالاً وأمنع آخرين هم أحب إليّ منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار وقال الزهري فنرى الإسلام الكلمة والإيمان العمل قال محمد بن نصر واحتجوا بإنكار عبد الله بن مسعود على من شهد لنفسه بالإيمان وقال أنا مؤمن من غير استثناء ولذلك الصحابة من بعده وجلة علماء الكوفة على ذلك واحتجوا بحديث أبي هريرة يخرج منه الإيمان فإن رجع رجع إليه وبما أشبه ذلك من الأخبار وبما روي عن الحسن ومحمد بن سيرين أنهما كانا يقولان مسلم ويهابان مؤمن واحتجوا بقول أبي جعفر الذي حدثناه إسحق بن إبراهيم أنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر محمد بن علي أنه سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقال أبو جعفر هذا الإسلام ودوّر دائرة واسعة وهذا الإيمان ودوّر دائرة صغيرة في وسط الكبيرة فإذا زنا وسرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص حدثنا يحيى بن يحيى أنا ابن لهيعة عن شرح بن هاني عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص وحكي عن حماد بن زيد أنه كان يفرق بين الإسلام والإيمان فجعل الإيمان خاصاً والإسلام عاماً قال فقلنا في هؤلاء أسوة وبهم قدوة مع ما يثبت ذلك من النظر وذلك أن الله جعل اسم المؤمن اسم ثناء وتزكية ومدحة أوجب عليه الجنة فقال وكان بالمؤمنين رحيماً تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً وقال وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً وقال وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم وقال يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وقال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار قالوا ثم أوجب الله النار على الكبائر فدل بذلك على أن اسم الإيمان زائل عمن أتى كبيرة قالوا ولم نجده أوجب الجنة باسم الإسلام فثبت أن اسم الإسلام ثابت على حاله واسم الإيمان زائل عنه فإن قيل في قولهم هذا ليس الإيمان ضد الكفر قالوا الكفر ضد أصل الإيمان لأن للإيمان أصلاً وفرعاً فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر فإن قيل لهم فالذين زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم أزال عنهم اسم الإيمان هل فيه من الإيمان

شيء قالوا نعم أصله ثابت ولولا ذلك لكفر والدليل على ذلك أن ابن مسعود أنكر على الذي شهد أنه مؤمن ثم قال له أتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يخبر أنه قد آمن من جهة أنه صدق وأنه لا يستحق اسم المؤمن إذا كان يعلم أنه ينقص أنه لا يستحق هذا الاسم عنده إلا من أدى ما وجب عليه وانتهى عما حرم عليه من الموجبات للنار التي هي الكبائر قالوا فلما كان الله إن هذا الاسم يستحقه من قد استحق الجنة وأن الله قد أوجب الجنة عليه وعلمنا أنا قد آمنا وصدقنا لأنه لا يخرج من التصديق إلا بالتكذيب ولسنا بشاكين ولا مكذبين وعلمنا أنا عاصون له مستوجبون للعذاب وهو ضد الثواب الذي حكم الله به للمؤمن على اسم الإيمان علمنا أنا قد آمنا وأمسكنا عن الاسم الذي أثبت الله عليه الحكم بالجنة وهو من الله اسم ثناء وتزكية وقد نهانا الله أن نزكي أنفسنا وأمرنا بالخوف على أنفسنا وأوجب لنا العذاب بعصياننا فعلمنا أنا لسنا مستحقين باسم المؤمنين إذ أوجب الله على اسم الإيمان الثناء والتزكية والرحمة والرأفة والمغفرة والجنة وأوجب على الكبائر النار وهذان حكمان متضادان فإن قيل كيف أمسكتم عن اسم الإيمان أن تسموا به وأنتم تزعمون أن أصل الإيمان في قلوبكم وهو التصديق بأن الله حق وما قاله صدق قالوا لأن الله ورسوله وجماهير المسلمين يسمون الأشياء بما غلب عليها من الأسماء فسموا الزاني فاسقاً والقاذف فاسقاً وشارب الخمر فاسقاً ولم يسموا واحداً من هؤلاء متقياً ولا ورعاً وقد أجمع المسلمون أن فيه أصل التقوى والورع وذلك أنه يتقي أن يكفر أو أن يشرك به شيئاً وكذلك يتقي الله أن يترك الغسل من الجنابة أو الصلاة ويتقي أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك متق وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين أنهم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً إذا كان يأتي الفجور فلما أجمعوا أن أصل التقى والورع ثابت فيه وأنه قد يزيد فيه فروعاً بعد الأصل كتورعه عن إتيان المحارم ثم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً مع إتيانه بعض الكبائر بل يسمونه فاسقاً فاجراً مع علمهم أنه قد أتى ببعض التقى والورع فمنعهم من ذلك أن اسم التقى اسم ثناء وتزكية وأن الله قد أوجب عليه المغفرة والجنة قالوا فلذلك لا نسميه فاسقاً زانياً وإن كان في قلبه أصل اسم الإيمان لأن الإيمان اسم أثنى الله به على المؤمنين وزكاهم به وأوجب عليه الجنة فمن ثم قلنا مسلم ولم نقل مؤمن قالوا ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه

ايمان ولا اسلام لكان احق الناس بذلك اهل النار الذين دخلوها فلما وجدنا النبي صلى
الله عليه وسلم اخبر ان الله يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
ثبت ان شر المسلمين في قلبه ايمان ولما وجدنا الامة تحكم عليه بالاحكام التي الزمها
الله المسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت انهم مسلمون اذ اجمعوا
ان يمضوا عليهم احكام المسلمين وانهم لا يستحقون ان يسموا مومنين اذ كان الاسلام
ثبت للملة التي يخرج بها المسلم من جميع الملل فيزول عنه اسما الملل الا اسم
الاسلام وتثبت احكام الاسلام عليه ويزول عنه احكام جميع الملل فان قال لهم قايل
لم لم تقولوا كافر ان شا الله تريدون به كمال الكفر كما قلتم مومن ان شا الله تريدون
به كمال الايمان قالوا لان الكافر منكر للحق والمومن اصل ايمانه الاقرار والانكار لا اول
له ولا اخر فينتظر به الحقايق والايمان اصله التصديق والاقرار ينتظر به حقايق الادا
لما اقر والتحقيق لما صدق ومثال ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل فسال احدهما حقه
فقال ليس لك عندي حق فانكر وجحد فلم يبق له منزلة يحقق بها ما قال اذ جحد وانكر وسال
الاخر حقه فقال نعم لك علي كذا وكذا فليس اقراره بالذي يصل اليه بذلك حقه دون
ان يوفيه فهو منتظر له ان يحقق ما قال بالادا ويصدق اقراره بالوفا ولو اقر ولم
يود اليه حقه كان كمن جحده في المعنى اذ استويا في الترك للادا فتحقيق ما قال ان
تودي اليه حقه فان ادى جزا منه حقق بعض ما قال ووفى ببعض ما اقر به وكلما
ادى جزا ازداد تحقيقا لما اقر به وعلى المومن الادا ابدا لما اقر به حتى يموت فمن
ثم قلنا مومن ان شا الله ولم نقل كافر ان شا الله قال محمد بن نصر وقالت طايفة اخرى
من اصحاب الحديث بمثل مقالة هولاء الا انهم سموه مسلما لخروجه من ملل الكفر ولاقراره
بالله وبما قال ولم يسموه مومنا وزعموا انهم مع تسميتهم اياه بالاسلام كافر لا كافر
بالله ولكن كافر من طريق العمل وقالوا كفر لا ينقل عن الملة وقالوا محال ان يقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والكفر ضد الايمان فيزول عنه اسم الايمان
الا واسم الكفر لازم له لان الكفر ضد الايمان الا ان الكفر كفران كفر هو جحود بالله وبما قال
فذلك ضده الاقرار بالله والتصديق به وبما قال وكفر هو عمل هو ضد الايمان الذي هو
عمل الا ترى الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن من لا يامن جاره بوايقه

قالوا

قالوا فاذا لم يومن فقد كفر ولا يجوز غير ذلك الا انه كفر من جهة العمل اذ لم يومن
من جهة العمل لانه لا يضيع الفرض عليه ويركب الكباير الا من قلة خوفه وانما يقل
خوفه من قلة تعظيمه لله ووعيده فقد ترك من الايمان التعظيم الذي عنه الخوف
والورع عن الخوف فاقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يومن اذا لم يامن جاره بوايقه
ثم قد روى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قتال المسلم كفر واذا قال
المسلم لاخيه يا كافر فلم يكن كذلك باء بالكفر فقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بقتاله اخاه
كافرا وبقوله له يا كافر كافرا وهذه الكلمة دون الزنا والسرقة قالوا فاما قول من احتج
علينا فزعم انا اذا سميناه كافرا لزمنا ان نحكم عليه بحكم الكافر بالله فنستتيبه و
نبطل الحدود عنه لانه اذا كفر فقد زالت عنه احكام المومنين وحدودهم وفي
ذلك اسقاط الحدود واحكام المومنين عن كل من اتى كبيرة فانا لم نذهب في ذلك الى
حيث ذهبوا ولكنا نقول للايمان اصل وفرع وضد الايمان الكفر في كل معنى فاصل الايمان
الاقرار والتصديق وفرعه اكمال العمل بالقلب والبدن فضد الاقرار والتصديق
الذي هو اصل الايمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله وضد الايمان الذي هو
عمل وليس هو اقرار كفر ليس بكفر بالله ولكن كفر تضييع العمل الذي هو اقرار بالله
كافر استتبناه ومن ترك الايمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم او ترك الورع
عن شرب الخمر والزنا فقد زال عنه بعض الايمان ولا يجب ان يستتاب عندنا ولا
عند من خالفنا من اهل السنة واهل البدع ممن قال ان الايمان تصديق وعمل الا
الخوارج وحدها فلذلك لا يجب بقولنا كافر من جهة تضييع العمل ان يستتاب ولا يزول
عنه الحدود وكما لم يكن بزوال الايمان الذي هو عمل استتابته ولا ازالة الحدود عنه
اذ لم يزل اصل الايمان عنه فكذلك لا يجب علينا استتابته وازالة الحدود والاحكام
عنه باثباتنا له اسم الكفر من قبل العمل اذ لم يات باصل الكفر الذي هو جحد بالله او بما قال
قالوا ولما كان العلم بالله ايمانا والجهل به كفرا وكان العمل بالفرايض [illegible] وكان العمل بالفرايض
بالفرايض ايمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر لان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اقروا بالله اول ما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اليهم ولم يعلموا
الفرايض التي افترضت عليهم بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفرا ثم انزل الله عليهم الفرايض

[illegible] هو جحد

فكان اقرارهم بها والقيام بها ايمانا وانما يكفر من جحدها لتكذيبه خبر الله ولو لم يأت خبر
من الله ما كان بجهلها كافرا وبعد مجيء الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها
كافرا والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر قالوا فمن ثم قلنا ان ترك التصديق
بالله كفر وان ترك الفرائض مع تصديق الله انه اوجبها كفر ليس بكفر بالله انما هو كفر
من جهة ترك الحق كما يقول القائل كفرتني حقي ونعمتي يريد ضيعت حقي وضيعت شكر
نعمتي قالوا ولنا في هذا قدوة بمن روي عنهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتابعين اذ جعلوا للكفر فروعا دون اصله لا ينقل صاحبه عن ملة الاسلام كما اثبتوا
للايمان من جهة العمل فرعا للاصل لا ينقل بتركه عن ملة الاسلام من ذلك قول ابن عباس
في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال محمد بن نصر ثنا سفين
ابن عيينة عن هشام يعني بن حجير عن طاوس عن ابن عباس ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون ليس بالكفر الذي تذهبون اليه ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن رافع
قالا ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال سئل ابن عباس عن
قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال هي به كفر قال
ابن طاوس وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ثنا اسحق ثنا وكيع عن
سفين عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال هو به كفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله وبه انا وكيع عن سفين عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال قلت
لابن عباس ومن لم يحكم بما انزل الله فهو كافر قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم
الاخر وملائكته وكتبه ورسله ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق عن سفين عن
رجل عن طاوس عن ابن عباس قال كفر لا ينقل عن الملة ثنا اسحق انا وكيع
عن سفين عن سعيد المكي عن طاوس قال ليس بكفر ينقل عن الملة ثنا اسحق ثنا وكيع
عن سفين عن ابن جريج عن عطاء قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق
قال محمد بن نصر قالوا وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالما ويسمى العاصي من
المسلمين ظالما فظلم ينقل عن ملة الاسلام وظلم لا ينقل قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وذكر حديث ابن مسعود المتفق عليه قال
لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

وقالوا

وقالوا اينا لم يظلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك الا تسمع الى قول
العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك ثنا محمد بن يحيى ثنا الحجاج
ابن منهال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
ان عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فدخل ذات يوم
فقرأ فاتى على هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الى اخر الاية فانتعل
واخذ رداءه ثم اتى ابي بن كعب فقال يا ابا المنذر اتيت قبل على هذه الاية الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقد نرى انا نظلم ونفعل ونفعل فقال يا امير المؤمنين
ان هذه ليس بذلك يقول الله ان الشرك لظلم عظيم انما ذلك الشرك قال محمد
ابن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة وفسق لا ينقل عن
الملة فيسمى الكافر فاسقا والفاسق من المسلمين فاسقا ذكر الله ابليس
فقال ففسق عن امر ربه وكان ذلك الفسق منه كفرا وقال الله تعالى واما
الذين فسقوا فماواهم النار يريد الكفار دل على ذلك قوله كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وسمى
الفاسق من المسلمين فاسقا ولم يخرجه من الاسلام قال الله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا
تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون وقال تعالى فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فقالت العلماء في تفسير الفسوق ههنا
هي المعاصي قالوا فلما كان الظلم ظلمين والفسق فسقين كذلك الكفر كفران احدهما
ينقل عن الملة والاخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان شرك في التوحيد
ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء قال الله تعالى فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا يريد بذلك المراءاة
بالاعمال الصالحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك قال محمد بن نصر فهذان
مذهبان هما في الجملة محكيان عن احمد بن حنبل في موافقيه من اصحاب الحديث
حكى الشالنجي اسمعيل بن سعيد انه سال احمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها
بجهده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرا من كانت هذه حاله قال

من بعض مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن يخرج من الايمان ويبقى في الاسلام
ومن نحو قوله لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو مومن
ومن نحو قول ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقلت
له ما هذا الكفر فقال كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر
حتى يجي من ذلك امر يختلف فيه وقال ابو ابن شيبة لا يزني حين يزني وهو مومن
لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصا من ايمانه قال وسالت احمد بن حنبل عن الاسلام
والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال ابو خيثمه وقال ابن ابي
شيبة لا يكون الاسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام قلت وقد تقدم تمام
الكلام بتلازمهما وان كان مسمى احدهما ليس هو مسمى الاخر وقد حكى غير واحد اجماع
اهل السنه والحديث على ان الايمان قول وعمل قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد
اجمع اهل الفقه والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية والايمان عندهم
يزيد بالطاعه وينقص بالمعصيه والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن ابي حنيفة
واصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم
من زاد المعرفه وذكر ما احتجوا به الى ان قال واما سائر الفقها من اهل الراي
والاثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن انس والليث بن سعد وسفين
الثوري والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القسم
ابن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا الايمان قول وعمل
قول باللسان وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقه
قالوا وكل ما يطاع الله به تعالى من فريضه ونافله فهو من الايمان والايمان يزيد بالطاعات
وينقص بالمعاصي واهل الذنوب عندهم مومنون غير مستكملي الايمان من اجل ذنوبهم
وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكباير الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن يريد مستكمل الايمان ولم ينف عنه اصل الايمان بدليل الاجماع على توريث
الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبله وانتحلوا دعوة الاسلام
من قراباتهم المومنين الذين ليسوا بتلك الاحوال واحتج على ذلك الى ان قال واكثر اصحاب
مالك على ان الايمان والاسلام شي واحد قال واما المعتزله فالايمان عندهم جماع الطاعات

ومن

بلغ

ومن قصر منها عن شي فهو فاسق لا مومن ولا كافر وهولاء هم المسمون بالاعتزال
اصحاب المنزله بين المنزلتين الى ان قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص يزيد
بالطاعة وينقص بالمعصيه جماعه اهل الاثار والفقها اهل الفتيا في الامصار وروى
ابن القسم عن مالك ان الايمان يزيد وتوقف في نقصانه وروى عنه عبد الرزاق
ومعن بن عيسى وابن نافع انه يزيد وينقص وعلى هذا مذهب الجماعه من اهل
الحديث والحمد لله ثم ذكر حجج المرجيه ثم حجج اهل السنه ورد على الخوارج
التكفير بالحدود المذكوره للعصاه في الزنا والسرقه ونحو ذلك وبالموارثه
شيا يعاقب به في الدنيا فهو كفاره وقال للايمان مراتب بعضها فوق بعض
فليس ناقص الايمان ككامل الايمان قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الايه اي حقا ولذلك قال اولئك هم المومنون حقا ولذلك قوله صلى
الله عليه وسلم المومن من امنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده يعني
حقا ومن هذا قوله اكمل المومنين ومعلوم ان هذا لا يكون اكمل حتى يكون غيره انقص
وقوله اوثق عرى الايمان الحب في الله وقوله لا ايمان لمن لا امانه له يدل على ان بعض الايمان
اوثق من بعض وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من احب لله وابغض
لله الحديث وكذلك ذكر ابو عمر الطلمنكي اجماع اهل السنه على ان الايمان قول
وعمل ونيه واصابه السنه

وقال ابو طالب المكي مباني
الاسلام الخمسه يعني الشهادتين والصلوات الخمس والزكاه وصيام
شهر رمضان والحج قال واركان الايمان سبعه يعني الخمسه المذكوره في
حديث جبريل والايمان بالقدر والايمان بالجنه والنار وكلاهما قد رويت
في حديث جبريل كما سنذكره ان شا الله قال والايمان باسما الله وصفاته
والايمان بكتب الله وانبيايه والايمان بالملايكه والشياطين يعني والله اعلم الايمان
بالفرق بينهما فان من الناس من يجعلهما جنسا واحدا انما يختلف باختلاف
الاعمال كما يختلف الانسان البر والفاجر والايمان بالجنه والنار وانهما قد خلقتا
قبل ادم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع اقدار الله خيرها وشرها

خلوها ومرها انها من الله قضا وقدر ا ومشيته وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة
بالغة استاثر الله بعلم غيبها ومعنى حقايقها الاولى وقد قال قايلون ان الايمان هو
الاسلام وهذا قد اذهب التفاوت والمقامات وهذا يقرب من مذاهب
المرجية وقال الاخرون ان الاسلام غير الايمان وهولا قد ادخلوا التضاد والتغاير
وهذا قريب من قول الاباضية فهذه مسيلة مشكلة تحتاج الى شرح تفصيل
فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى المعنى وفي الحكم فشهادة
الرسول الله غير شهادة الوحدانية فهما شيئان في الاعيان واحداهما مرتبطة
بالاخرى في المعنى والحكم كشي واحد وكذلك الايمان والاسلام احدهما مرتبطا
بالاخر فهما كشي واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلوا المسلم
من ايمان به يصح اسلامه ولا يخلوا المومن من اسلام به يحقق ايمانه من حيث اشترط
الله الاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال في تحقيق
ذلك ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وقال في تحقيق الايمان
بالعمل ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى فمن كان ظاهره اعمال
الاسلام ولا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده
الايمان بالغيب ولا يعمل باحكام الايمان وشرايع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت
معه توحيد ومن كان مومنا بالغيب مما اخبرت به الرسل عن الله عاملا بما
امر الله فهو مومن مسلم ولولا انه كذلك لكان المومن يجوز ان يسمى مسلما ولجاز
المسلم ان لا يسمى مومنا بالله وقد اجمع اهل القبلة على ان كل مومن مسلم وكل مسلم
مومن بالله وكتبه ومثل الايمان في الاعمال كمثل القلب في الجسم لا ينفك احدهما عن
الاخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ولا ذو قلب بغير جسم فهما شيئان منفردان
وهما في الحكم والمعنى منفصلان ومثلهما ايضا مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة
لا يقال حبتان لتفاوت صفتها فكذلك اعمال الاسلام من الاسلام هو ظاهر الايمان
وهو من اعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو من اعمال القلوب وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وفي لفظ والايمان سر
والاسلام اعمال الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد

فيه
الاسلام ع

ومثل

ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن احدهما مرتبط بصاحبه من اعمال القلوب وعمل
الجوارح ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اي لا عمل الا بعقد
وقصد لان انما تحقيق للشي ونفي لما سواه فاثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات
وعمل القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا
يصح الكلام الا بهما لان الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط
احدهما بطلان الكلام وكذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك عدد الله
على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين بمعنى الم نجعله ناطقا متكلما فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لانهما
مكان له وذكر الشفتين لان الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم الا بهما ومثل الايمان والاسلام
ايضا كفسطاط قايم في الارض له ظاهر واطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل
الاسلام له اركان من اعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك ارجا الفسطاط
والعمود الذي في وسط الفسطاط مثله كالايمان لا قوام للفسطاط الا به فقد احتاج
الفسطاط اليهما اذ لا قوام له ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام في اعمال الجوارح لا قوام له
الا بالايمان والايمان من اعمال القلوب لا نفع له الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وايضا
فان الله قد جعل ضد الاسلام والايمان واحدا فلولا انهما كشي واحد في الحكم والمعنى ما كان
ضدهما واحدا فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال ايامركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون فجعل ضدهما الكفر والدليل على مثل هذا خبر الرسول صلى الله
عليه وسلم عن الايمان والاسلام من وصف واحد فقال في حديث ابن عمر بني الاسلام
على خمس وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس انهم سالوه عن الايمان
فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك على انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام ظاهر
علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع احدهما بدون صاحبه قال
فاما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل بين الايمان والاسلام فان ذلك
تفصيل اعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها ان يكون
عقودا من تفصيل اعمال الجوارح مما يوجب الافعال الظاهرة التي وصفناها ان يكون
علانية لا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف وتضاد ليس فيه دليل

انهما مختلفان في الحكم قال ومجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره
من عقود القلب وصف قلبه وما ذكره من العلانية وصف جسمه قال وايضا فان
الامة مجتمعة ان العبد لو امن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبريل
من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكرناه من وصف الاسلام انه لا يسمى مؤمنا وانه ان
عمل بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلما
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الامة لا تجتمع على ضلالة قلت كانه اراد
بذلك اجماع الصحابة ومن اتبعهم وانه لا يسمى مؤمنا في الاحكام وانه لا يكون مسلما
اذا انكر بعض هذه الاركان او علم ان الرسول اخبر بها ولم يصدقه وانه لم ير خلاف
اهل الاهواء خلافا والا فابو طالب ذكر عن قوم اقوالهم وهو والله اعلم بمراده فانه عقد
الفصل الثالث والثلثين في بيان تفصيل الاسلام والايمان وشرح عقود معاملة
القلب من مذاهب اهل الجماعة وهذا الذي قاله اجود ما قاله كثير من الناس لكن
تنازع في شيئين احدهما ان المسلم المستحق للثواب بلا بد ان يكون معه الايمان الواجب
المفصل المذكور في حديث جبريل والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يفصل مطلق
مؤمن دون مسلم في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] لكونه ليس (او مسلم)
من خواص المؤمنين وافاضلهم من السابقين المقربين بل من المقتصدين الابرار فهذا
ما تنازع فيها جمهور العلماء يقولون لم ينف النبي صلى الله عليه وسلم لكونه لم يكن من
خواص المؤمنين وافاضلهم كالسابقين المقربين فان هذا لو كان كذلك لكان ينفي الايمان
المطلق عن الابرار المقتصدين الموعودين بالجنة بلا عذاب اذا كانوا من اصحاب
اليمين ولم يكونوا من السابقين المقربين وليس الامر كذلك بل كل من دخل الجنة
اصحاب اليمين مع السابقين المقربين كلهم مؤمنون موعودون بالجنة بلا
عذاب وكل من كان كذلك فهو باتفاق المسلمين من اهل السنة واهل البدع ولو
جاز ان ينفي الايمان عن شخص لكون غيره افضل منه ايمانا لنفي الايمان عن اكثر اولياء الله
المتقين بل وعن كثير من الانبياء وهذا في غاية الفساد وهذا من جنس قول من يقول
نفي الاسم لنفي كماله المستحب وقد ذكرنا ان مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله
بل هذا الحديث خص من نفى فيه مسلم وليس بمؤمن فلا بد ان يكون ناقصا عن درجة

الابرار

الابرار المقتصدين من اهل الجنة ويكون ايمانه ناقصا عن ايمان هؤلاء فلا يكون قد اتى
بالايمان الذي امر به هو كله ثم ان كان قادرا على ذلك الايمان وترك الواجب
كان مستحقا للذم وان قدر انه لا يستحق انه لا يقدر على ذلك الايمان الذي اتصف
به هؤلاء كان عاجزا عن مثل ايمانهم ولا يكون هذا وجب عليه فهو وان دخل الجنة
لا يكون كمن قدر انه امن ايمانا مجملا ومات قبل ان يعلم تفصيل الايمان وقبل
ان يتقوى به ويعمل بشيء منه فهو يدخل الجنة لكن لا يكون مثل اولئك لكن قد يقال
الابرار اصحاب اليمين هم ايضا على درجات كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف
وفي كل خير وقال الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر فدرجة
المؤمن القوي في الجنة اعلى وان كان كل منهما كمل ما وجب عليه وقد يريد ابو طالب
وغيره بقولهم ليس هذا من خواص المؤمنين هذا النوع ليس ايمانه كايمان من حقق
خاصة الايمان سواء كان من الابرار او من المقربين وان لم يكن ترك واجبا لعجزه عنه
او لكونه لم يؤمر به فلا يكون مذموما ولا يمدح مدح اولئك ولا يلزم ان يكون وليك المتقين
فيقال وهذا ايضا لا ينفي عنه الايمان فيقال هو مسلم لا مؤمن كما يقال ليس بعالم ولا مفتي
ولا مؤمن من اهل الاجتهاد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا كثير وليس كما فضل الفاضل يكون مفضول من
دونه فكذلك من حقائق الايمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل واكثرهم فهؤلاء
يدخلون الجنة وان لم يكونوا ممن يحقق لحقائق الايمان التي فضل الله بها غيرهم
ولا تركوا واجبا عليهم وان كان واجبا على غيرهم ولهذا كان من الايمان ما هو من
المواهب والفضل من الله فانه من جنس العلم والاسلام الظاهر من جنس العمل
وقد قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقال ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدوره ولكن الله يجعل ذلك في
قلبه فضلا منه وجزاء على عمل سابق كما قال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما

قال اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به وقال
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة
والباطنة هو أيضاً بفضل الله وإعانته وإقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه
مقدور لهم بإعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم
إذا قيل الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على ما لا يقدر عليه غيره فهذا
أيضاً هو من جنس هذا المعنى قال تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقد قال إذا لقيتم فئة فاثبتوا فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي إلى
الملائكة أن يفعلونه بالمؤمنين والمقصود أنه قد يكون من الإيمان ما يؤمر به بعض
الناس ويذم على تركه ولا يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه ويفضل الله ذلك
بهذا الإيمان وإن لم يكن المفضول تارك واجباً فيقال وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر
القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس بما لا يؤمر به غيره لكن
الأعمال الظاهرة قد يعطى الإنسان مثل أجر العامل إذا كان يؤمن بها ويريدها جهده
ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إن بالمدينة لرجالاً
ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة
حبسهم العذر وكما قال تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة فاستثنى أولي الضرر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من
أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص
من أوزارهم شيئاً وفي حديث أبي كبشة الأنماري هما في الأجر سواء وهما في الوزر سواء رواه
الترمذي وصححه ولفظه إنما الدنيا لأربعة رجل آتاه الله مالاً فهو يتقي في ذلك المال ربه
ويصل به رحمه كالشخصين إذا تماثلا في إيمان القلوب معرفة وتصديقاً وحباً وقوة
وحالاً ومقاماً فقد يتماثلان وإن كان أحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه الآخر
كما جاء في الأثر أن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في بدنه وضعفه

في قلبه

قلبه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ليس الشديد
بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقد قال رأيتني
أنزع على قليب فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه
حتى صدر الناس بعطن فذكر أن نزع أبي بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته أو أراد
ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب أن أبا بكر أقوى إيماناً من عمر وعمر أقوى عملاً منه كما
قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقوة الإيمان أكمل من قوة العمل وصاحب
الإيمان يكتب له أجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لأبي بكر فإنه هو
الذي استخلفه وفي المسند من وجهين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم وزن بالأمة فرجح ثم وزن أبا بكر بالأمة فرجح ثم وزن عمر بالأمة فرجح وكان
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الإيمان والعمل
ما لا يقدر عنده فهو قد دعاه إلى ما فعله من خير وأعانه عليه بجهده والمعين على الفعل
إذا كان يريده إرادة جازمة كان كفاعله كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال من دل على
خير فله مثل أجر فاعله وقال من فطر صائماً فله مثل أجره وقد روى في الترمذي
من عزى مصاباً فله مثل أجره ومثله وغيره مما يبين أن الشخصين قد يتماثلان
في الأعمال الظاهرة بل يتفاضلان ويكون المفضول فيها أفضل عند الله من الآخر لأنه
أفضل في الإيمان الذي في القلب وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب كان المفضول
فيها أفضل عند الله البتة وإن كان المفضول لم يهبه الله من الإيمان ما وهبه للفاضل
ولا أعطى قلبه من الأسباب التي بها ينال درجة الإيمان الفاضل ما أعطى المفضول ولهذا
فضل الله بعض النبيين على بعض وإن كان الفاضل أقل عملاً بالبدن كما فضل الله نبينا
صلى الله عليه وسلم ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف
سنة إلا خمسين عاماً وفضل أمته أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على
من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر ومن الظهر إلى صلاة العصر فأعطى أمة محمد أجرين
وأعطى كلاً من أولئك أجراً أجراً لأن الإيمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل وإن كان أولئك أكثر عملاً

قال اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به وقال
قال أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وإن كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة
والباطنة هو أيضا بفضل الله وإعانته وإقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه
مقدور لهم بإعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم
إذا لكن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره فهذا
أيضا حق وهو من جنس هذا المعنى قال تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقد قال إذا لقيتم فئة فاثبتوا فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي إلى
الملائكة أن يفعلوه بالمؤمنين والمقصود أنه قد يكون من الإيمان ما يؤمر به بعض
الناس ويذم على تركه ولا يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه وبفضل الله ذلك
بعد الإيمان وإن لم يكن المفضول تركه واجبا فيقال وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر
القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس بما لا يؤمر به غيره ولكن
الأعمال الظاهرة قد يعطى الإنسان مثل أجر العامل إذا كان يؤمن بها ويريدها جهده
ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إن بالمدينة لرجالا
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة
حبسهم العذر وكما قال تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة فاستثنى أولي الضرر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من
أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص
من أوزارهم شيئا وفي حديث أبي كبشة الأنماري هما في الأجر سواء وهما في الوزر سواء رواه
الترمذي وصححه ولفظه إنما الدنيا لأربعة رجل آتاه الله مالا فهو يتقي فيه ربه
ويصل به رحمه كالشخصين إذا تماثلا في إيمان القلوب معرفة وتصديقا وحبا وقوة
وحالا ومقاما فقد تماثلا وإن كان لأحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه الآخر
كما جاء في الأثر أن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في بدنه وضعفه

في قلبه

قلبه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ليس الشديد
بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقد قال رأيتني
أنزع على قليب فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا يفري فريه
حتى صدر الناس بعطن فذكر أن نزع أبي بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته أو أراد
ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب أن أبا بكر أقوى إيمانا من عمر وعمر أقوى عملا منه كما
قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقوة الإيمان أكمل من قوة العمل وصاحب
الإيمان يكتب له أجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لأبي بكر فإنه هو
الذي استخلفه وفي المسند من وجهين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم وزن بالأمة فرجح ثم وزن أبا بكر بالأمة فرجح ثم وزن عمر بالأمة فرجح وكان
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الإيمان والعمل
ما لم يكن عنده فهو قد دعاه إلى ما فعله من خير وأعانه عليه بجهده والمعين على الفعل
إذا كان يريده إرادة جازمة كان كفاعله كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال من دل على
خير فله مثل أجر فاعله وقال من فطر صائما فله مثل أجره وقد روى الترمذي
من عزى مصابا فله مثل أجره وهذا وغيره مما يبين أن الشخصين قد يتماثلان
في الأعمال الظاهرة بل يتفاضلان ويكون المفضول فيها أفضل عند الله من الآخر لأنه
أفضل في الإيمان الذي في القلب وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب فلا يكون المفضول
فيها أفضل عند الله البتة وإن كان المفضول لم يهبه الله من الإيمان ما وهبه للفاضل
ولا أعطى قلبه من الأسباب التي بها ينال ذلك الإيمان الفاضل ما أعطى المفضول ولهذا
فضل الله بعض النبيين على بعض وإن كان الفاضل أقل عملا بالبدن كما فضل الله نبينا
صلى الله عليه وسلم ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف
سنة إلا خمسين عاما وفضل الله أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على
من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر ومن الظهر إلى صلاة العصر فأعطى أمة محمد أجرين
وأعطى كلا من أولئك أجرا أجرا لأن الإيمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل وإن كان أولئك أكثر عملا

من فضله اعظم الجزاء وهو فضله يؤتيه من يشاء بالاسباب التي تفضل بها عليهم وخصهم بها
وهكذا سائر من فضله الله تعالى فانه فضله بالاسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء
كما خص احد الشخصين بقوة نال بها العلم وبقوة نال بها اليقين والصبر والتوكل
والاخلاص وغير ذلك مما يفضله الله به وانما فضله الله في الجزاء بما فضله به من الايمان كما قال
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله وقال في الاية الاخرى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء وقد بين في مواضع اسباب المغفرة واسباب العذاب وقال والله يرزق من
يشاء بغير حساب وقد عرف انه يخص من يشاء باسباب الرزق واذا كان من الايمان
ما يعجز عنه كثير من الناس ويخص الله به من يشاء فذلك مما يفضلهم الله به وذلك
الايمان منفي عن غيرهم لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل فان الذم انما يكون على ترك
مامور او فعل محظور لكن على ما ذكره ابو طالب يقال فمثل هؤلاء مسلمون لا مؤمنين
باعتبار ويقال انهم مؤمنون باعتبار اخر وعلى هذا ينفى الايمان عمن فاته الحال المستحب
بل الحال الذي يفضل به على من فاته وان كان غير مقدور للعباد فينفى عنه الحال
الذي رجح على غيره وان لم يكن في حقه لا واجبا ولا مستحبا لكن هذا لا يعرف
في كلام الشارع ولم يعرف في كلام مطلقا ان نفي الايمان يقتضي الذم حيث كان فلا
ينفى الا عمن له ذنب تبين ان قوله او مسلم يوقف في اداء الواجبات الباطنة
والظاهرة كما قاله جماهير الناس ثم طائفة يقولون قد يكون منافقا ليس معه
شيء من الايمان وهم الذين يقولون الاعراب المذكورون منافقون ليس معهم من الايمان
شيء وهذا هو القول الذي نصره طائفة كمحمد بن نصر والاكثرون يقولون بل هؤلاء
لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من اعمالهم وان كان فيهم شعبة نفاق
بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ولهذا جعلهم مسلمين ولهذا قال
ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين كما قالوا مثل ذلك في الزاني والسارق وغيرهما ممن
نفي عنه الايمان مع ان معه التصديق وهذا اصح الاقوال الثلاثة فيهم وابو طالب جعل من

من كان مذموما بالترك واجب من المواهب قلوبهم الذين لم يعطوا شيئا وجعل ذلك
الشخص مؤمنا غيره وافضل منه واما الاكثرون فيقولون اثبات الاسلام لهم دون
الايمان ثبات له لذلك الشخص كان مسلما لا مؤمنا لانه مذموم لا بمجرد ان غيره افضل
منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا ولم يسلب
من دونه الايمان وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فاثبت الايمان
للفاضل والمفضول وهذا متفق عليه بين المسلمين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اجتهد فاخطا فله اجر وقال لسعد بن معاذ لما
حكم في بني قريظة لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة فكان يقول لمن
يرسله في جيش او سرية اذا حاصرت اهل حصن فسالوك ان تنزلهم على حكم الله فلا
تنزلهم على حكم الله فانك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن انزلهم على حكمك وحكم اصحابك وهذه
الاحاديث الثلاثة في الصحيح وفي حديث سليمان عليه السلام اسالك حكما يوافق حكمك وهذه
النصوص وغيرها تدل على ما اتفق عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ان احد الشخصين
قد يخصه الله باجتهاد يحصل له به من العلم ما يعجز عنه غيره فيكون له اجران وذلك
الاخر عاجز له اجر ولا اثم عليه وذلك ان العلم الذي خص به هذا والعمل به باطنا وظاهرا
زيادة في ايمانه وهو ايمان يجب عليه لانه قادر عليه وغيره عاجز عنه فلا يجب فهذا
قد فضل بايمان واجب عليه وليس بواجب على من عجز عنه وهذا حال جميع الامة فيما
تنازعت فيه من المسائل الخبرية والعملية اذا خص احدهم بمعرفة الحق في نفس الامر
مع اجتهاد الاخر وعجزه كان كلاهما محمودا مثابا مؤمنا وذلك خصه الله من الايمان الذي
وجب عليه بما فضله به على هذا وذلك المخطئ لا يستحق ذما ولا عقابا وان كان ذلك
لو فعله من غير عذر ذم وعوقب ومما خص الله به نبينا صلى الله عليه وسلم شريعة فضلها الله
ولو تركنا ما امرنا به فيها شيئا لما كان ذلك سببا للذم والعقاب والانبياء قبلنا لا يذمون بترك
ذلك لكن محمد صلى الله عليه وسلم فضله الله على الانبياء وفضل امته على الامم فمن غير ذم احد من
الانبياء ولا من اتبعهم من الامم وايضا فاذا كان الانسان انما يجب عليه من الايمان ما يقدر عليه وهو
اذا فعل ذلك كان مستحقا لما وعد الله به من الجنة فلو كان مثل هذا يسمى مسلما لا يسمى

مومنًا الوجب ان يكون من اهل الوعد بالجنة ويسمى مسلمًا لا مومنًا كالاعراب وكالشخص
الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم وكسائر من نفي عنه الايمان مع انه لم
كالزاني والشارب والسارق ومن لا يامن جاره بوايقه ومن لا يحب لاخيه من الخير
ما يحبه لنفسه وغير هولا وليس الامر كذلك فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان
لم يعلقه باسم الاسلام مع ايجابه الاسلام واخباره انه دينه الذي ارتضاه وانه لا يقبل دينًا
غيره ومع هذا فما قال ان الجنة اعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما
ذكر ذلك باسم الايمان كقوله وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
فهو يعلقها باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح كقوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها
الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وقوله ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
وفي الاية الاخرى ومن اصدق من الله قيلا وقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم وقال فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
فالوعد بالجنة والرحمة في الاخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد
بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم ان المطلق يدخل فيه فعل ما امر الله به ورسوله
ولم يعلق باسم الاسلام فلو كان من اتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله
قد يسمى مسلمًا لا مومنًا لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلمًا
وان لم يسمى مومنًا وليس الامر كذلك بل الجنة لم يعلق الا باسم الايمان وهذا ايضا مما

استدل

به من قال انه ليس كل مسلم من المومنين الموعودين بالجنة اذ لو كان كذلك لكان وعد
الجنة معلقًا باسم الاسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر ومثل
قوله ان المتقين في جنات ونهر وقوله ان الابرار لفي نعيم وباسم اوليا الله كقوله
الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فلما لم يجر اسم الاسلام
هذا المجرى علم ان مسماه ليس ملازمًا لمسمى الايمان كما يلازمه اسم البر والتقوى واوليا الله
وان اسم الاسلام يتناول لمن هو من اهل الوعيد وان كان الله تعالى يثيبه على طاعته
مثل ان يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده
في النار لان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وهكذا سائر اهل الكباير لانهم ناقص اذا كان
في قلب احدهم شعبة نفاق وعوقب بها اذا لم يعف الله عنه ولم يخلد في النار
فهولاء مسلمون وليسوا مومنين ومعهم ايمان لكن معهم ايضا ما يخالف الايمان من
النفاق فلم يكن تسميتهم مومنين باولى من تسميتهم منافقين لا سيما اذا كانوا للكفر اقرب
منهم للايمان وهولاء يدخلون في اسم الايمان في احكام الدنيا فيدخل المنافق المحض والذي
لان هولاء معهم ايمان يدخلون في خطاب الله يا ايها الذين امنوا لان ذلك امر لهم بما ينفعهم
ونهي لهم عما يضرهم وهم محتاجون الى ذلك والايمان الذي معهم ان اقتضى شمول لفظ الخطاب
لهم فالكلام ولا فليسوا باسوا حالا من المنافق المحض والمنافق يخاطب بهذه
الاعمال وينفعه في الدنيا ويحشر بها مع المومنين يوم القيمة ويتميز بها عن
سائر الملل يوم القيمة كما تميز عنهم بها في الدنيا لكن وقت الحقيقة يضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن
معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله
وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي
مولاكم وبئس المصير وقد قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن
تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك
مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فاذا عمل صالحا
لله فهذا هو الاسلام الذي هو دين الله ويكون معه من الايمان ما يحشر به مع المومنين

يوم القيمة ان كان معه من الذنوب ما يعذب به عذب واخرج من النار اذا كان
في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان وان كان معه نفاق ولهذا قال تعالى في هولاء
فاولئك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فلم يقل انهم مومنون
بمجرد هذا اذ لم يذكر الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله بل هم معهم وانما ذكر
العمل الصالح واخلاصه لله وقال اولئك مع المومنين فيكون لهم حكمهم وقد بين
تفاضل المومنين في موضع اخر وانه من اتى بالايمان الواجب استحق الثواب ومن كان
فيه شعبة نفاق واتى بالكباير فذاك من اهل الوعيد وايمانه ينفعه الله به ويخرجه
به من النار ولو انه مثقال حبة خردل لكن لا يستحق به الاسم المطلق المعلق به وعد الجنة
بلا عذاب وتمام هذا ان الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الايمان وشعبة
من شعب الكفر او النفاق ويسمى مسلما كما نص عليه احمد وتمام هذا ان الانسان قد يكون
فيه شعب من شعب الايمان وشعبة من شعب النفاق وقد يكون مسلما وفيه
كفر دون الكفر الذي ينقل عن الاسلام بالكلية كما قال الصحابة ابن عباس وغيره كفر
دون كفر وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه احمد وغيره ممن قال في السارق
والشارب ونحوهم ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بمومن انه يقال لهم
مسلمون لا مومنون واستدلوا بالقران والسنة على نفي اسم الايمان مع اثبات اسم
الاسلام وبان الرجل قد يكون مسلما ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفر دون كفر كما قال
ابن عباس واصحابه في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قالوا كفرا
لا ينقل عن الملة وكفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم وهذا ايضا استشهد
به البخاري في صحيحه فان كتاب الايمان افتتح به الصحيح يقرر به مذهب اهل الذي ح
السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجية فانه كان من القايلين بنصر السنة
والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وقد اتفق العلماء على ان اسم المسلمين
في الظاهر يجري على المنافقين لانهم استسلموا ظاهرا واتوا بما اتوا به من الاعمال الظاهرة
بالصلاة الظاهرة والزكاة الظاهرة والحج الظاهر والجهاد الظاهر كما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجري عليهم احكام الاسلام الظاهر واتفقوا على انه من لم يكن معه شي من الايمان
فهو كما قال الله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وفيها قراتان درك ودرك قال ابو الحسين

ابن فارس الجنة درجات والنار دركات قال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق
بعض والدرك اذا كان بعضها اسفل من بعض فصار المظهرون للاسلام بعضهم في اعلا
درجة في الجنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في الحديث الصحيح اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجو ان اكون انا ذلك العبد فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي
يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وسلم وارجو ان اكون مثل قوله اني لارجو ان اكون اخشاكم
لله واعلمكم بحدوده ولا ريب انه اخشى الامة لله واعلمهم بحدوده وكذلك قوله اختبات
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة فهي نايلة ان شا الله من مات لا يشرك بالله شيا
وقوله اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وامثال هذه النصوص وكان يستدل به
احمد وغيره على الاستثنا في الايمان كما يذكر في موضعه والمقصود ان خير المومنين
في اعلا درجات الجنة والمنافقون في الدرك الاسفل من النار وان كانوا في الدنيا
مسلمين ظاهرا تجري عليهم احكام الاسلام الظاهرة فمن كان فيه ايمان ونفاق يسمى
مسلما اذ ليس هو دون المنافق المحض واذا كان نفاقه اغلب لم يستحق اسم الايمان
بل اسم المنافق احق به فان ما فيه بياض وسواد وسواده اكثر هو باسم الاسود احق
منه باسم الابيض كما قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان واما اذا كان ايمانه اغلب ومعه
نفاق يستحق به الوعيد لم يكن ايضا من المومنين الموعودين بالجنة وهذه حجة لما
ذكره ابن نصر عن احمد ولما رواه ابو طالب المكي من كلام احمد ولا ذكره الخلال ونحوه
قال محمد بن نصر وحكى غير هولا عن احمد انه قال من اتى هذه الاربعة الزنا والسرقة
وشرب الخمر والنهبة التي يرفع الناس فيها ابصارهم اليه او مثلهن او فوقهن فهو مسلم
ولا اسميه مومنا ومن اتى دون ذلك الذي هو دون الكباير سميته مومنا ناقص الايمان فان صاحب
هذا القول يقول لما نفى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الايمان نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول
صلى الله عليه وسلم والرسول لم ينفه الا عن صاحب كبيرة والا فالمومن الذي يفعل الصغيرة
هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنابه للكباير لكنه ناقص الايمان عمن اجتنب
الصغاير فما اتى بالايمان الواجب ولكن خلطه بسيات كفرت عنه بغيرها ونقصت بذلك
درجته عمن لم يات بذلك واما الذين نفى عنهم الرسول الايمان فنفيه كما نفى الرسول

واوليك وان كان معهم التصديق واصل الايمان فقد تركوا منه ما استحقوا لاجله سلب
الايمان وقد يجتمع في العبد نفاق وايمان وكفر وايمان فالايمان المطلق عند هولاء ما كان
صاحبه مستحقا للوعد بالجنه وطوايف اهل الاهوا من الخوارج والمعتزله والجهميه
والمرجيه كثير منهم وغير كثير منهم يقولون انه لا يجتمع في العبد ايمان ونفاق ومنهم
من يدعي الاجماع على ذلك وقد ذكر ابو الحسن في بعض كتبه الاجماع على ذلك ومن
هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنه واثار الصحابه والتابعين لهم باحسان
مع مخالفه صريح المعقول بل الخوارج والمعتزله طردوا هذا الاصل الفاسد وقالوا
لا يجتمع في الشخص الواحد طاعه يستحق بها الثواب ومعصيه يستحق بها العقاب
ولا يكون الشخص الواحد محمودا من وجه مذموما من وجه ولا محبوبا مدعوا
له من وجه ومسخوطا ملعونا من وجه ولا يتصور ان الشخص الواحد يدخل
الجنه والنار جميعا عندهم بل من دخل احداهما لم يدخل الاخرى عندهم ولهذا انكروا
خروج احد من النار او الشفاعه في احد من اهل النار وحكي عن غاليه المرجيه انهم
وافقوهم على هذا الاصل لكن هولا قالوا ان اهل الكباير يدخلون الجنه ولا يدخلون النار
مقابله لاوليك واما اهل السنه والجماعه الصحابه والتابعون لهم باحسان وساير
طوايف المسلمين من اهل الحديث والفقها واهل الكلام من مرجيه الفقها
والكراميه والكلابيه والاشعريه والشيعه مرجيهم وغير مرجيهم فيقولون
ان الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنه كما نطقت بذلك
الاحاديث الصحيحه وهذا الشخص الذي له سيات عذب بها وله حسنات
دخل بها الجنه وله معصيه وطاعه باتفاق هولا الطوايف لم يتنازعوا في حكمه
لكن تنازعوا في اسمه فقالت المرجيه جهميتهم وغير جهميتهم هو مومن
كامل الايمان واهل السنه والجماعه على انه ناقص الايمان ولولا ذلك لما عذب كما انه
ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين وهل يطلق عليه اسم مومن هذا فيه القولان
والصحيح التفصيل فاذا سيل عن احكام الدنيا كعتقه في الكفاره قيل هو مومن وكذلك اذا
سيل عن دخوله في خطاب المومنين واما اذا سيل عن حكمه في الاخره قيل ليس هذا
النوع من المومنين الموعودين بالجنه بل معه ايمان يمنعه الخلود في النار ويدخل

به الجنه بعد ان يعذب في النار ان لم يغفر الله له ذنوبه ولهذا قال من قال هو مومن
بايمانه فاسق بكبيرته او مومن ناقص الايمان والذين لا يسمونه مومنا من اهل السنه
ومن المعتزله يقولون اسم الفسوق ينافي اسم الايمان لقوله بيس الاسم الفسوق بعد
الايمان وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق
وقتاله كفر وعلى هذا الاصل فبعض الناس يكون معه شعبه من شعب الكفر ومعه ايمان
ايضا وعلى هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسميه كثير من الذنوب كفرا مع
ان صاحبها قد يكون معه اكثر من مثقال ذره من ايمان فلا يخلد في النار كقوله سباب
المسلم فسوق وقتاله كفر وقوله لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
وهذا مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه بانه امر في حجه
الوداع ان ينادى به في الناس فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق
كفارا وسمى هذا الفعل كفرا ومع هذا فقال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما الى قوله انما المومنون اخوه فبين ان هولاء لم يخرجوا من الايمان بالكليه
ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصله كما قال بعض الصحابه كفر دون كفر وكذلك قوله
من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فلو خرج احدهما عن الاسلام بالكليه لم يكن
اخاه بل فيه كفر وكذلك قوله في الحديث الصحيحين ليس من رجل ادعى لغير ابيه
وهو يعلمه الا كفر وفي حديث اخر كفر بالله تبرو من نسب وان دق وكان
من القران الذي نسخ لفظه لا ترغبوا عن اباكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن ابايكم
فان حق الوالدين مقرون بحق الله في مثل قوله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فالوالد اصله الذي منه
خلق والولد من كسبه كما قال ما اغنى عنه ماله وما كسب فالجحد لهما شعبه
من شعب الكفر فانه جحد لما منه خلقه ربه فقد جحد خلق الرب اياه وقد كان
في لغه من قبلنا يسمى الرب ابا فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ولكن ليس هذا الكفر
جحد الخالق بالكليه وسنتكلم ان شا الله على ساير الاحاديث والمقصود هنا
ذكر اصل جامع تبنى عليه معرفه النصوص ورد ما تنازع فيه الناس الى الكتاب والسنه
فان الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمى الايمان والاسلام لكثره ذكرهما وكثره كلام

[illegible] فجعلهم اخوه مع [illegible] ايمانهم

الناس فيهما والاسم كلما كثر التكلم به مطلقا ومقيدا بقيد ومقيدا بقيد اخر في موضع اخر
كان هذا سببا لاشتباه بعض معناه ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك ومن
اسباب ذلك ان يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضها ويكون ما سمعه
مقيدا بقيد اوجب اختصاصه بمعنى فيظن معناه في سائر موارده كذلك فمن اتسع
علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة وعلم ماخذ الشبه اعطى كل ذي حق حقه وعلم
ان خير الكلام كلام الله وانه لا بيان اتم من بيانه وان ما اجمع عليه المسلمون من
دينهم الذي يحتاجون اليه اضعاف اضعاف ما تنازعوا فيه فالمسلمون سنيهم وبدعيهم
متفقون على وجوب الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ومتفقون
على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على ان من اطاع الله ورسوله فانه
يدخل الجنة ولا يعذب وعلى ان من لم يومن بان محمدا رسول الله فهو كافر وامثال هذه
الامور التي هي اصول الدين وقواعد الايمان التي اتفق عليها المنتسبون الى الاسلام والايمان فتنازعهم
بعد هذا في بعض احكام الوعيد وبعض معاني بعض الاسما امر خفيف بالنسبة الى ما اتفقوا
عليه مع ان المخالفين للحق البين من الكتاب والسنة هم عند جمهور الامة معروفون بالبدعة
مشهود عليهم بالضلالة ليس لهم في الامة لسان صدق ولا قبول عام كالخوارج والروافض
والقدرية ونحوهم وانما يتنازع اهل العلم والسنة في امور دقيقة تخفى على اكثر الناس
ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله والرد الى الله ورسوله في مسالة الايمان والاسلام
يوجب ان كلا من الاسمين وان كان مسماه واجبا ولا يستحق احد الجنة الا بان يكون مومنا
مسلما فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فجعل الدين واهله
طبقات اولها الاسلام واوسطها الايمان واعلاها الاحسان ومن وصل الى العليا فقد وصل الى
التي يليها فالمحسن مومن مسلم واما المسلم فلا يجب ان يكون مومنا وهكذا جا القران فجعل والمومن
الامة على هذه الاصناف الثلاثة قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل
الكبير فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد هو المومن المطلق
الذي ادى الواجب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كانه يراه وقد
ذكر الله تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وهل اتى وذكر الابرار

ايضا فاما ان يجعل التقسيم للمصطفين من عباده وقال ابو سليمان الخطابي ما اكثر
ما يغلط الناس في هذه المسالة فاما الزهري فقال الاسلام الكلمة والايمان العمل
واحتج بالاية وذهب غيره الى ان الاسلام والايمان شي واحد واحتج بقوله فاخرجنا
من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال الخطابي وقد تكلم
رجلان من اهل العلم وصار كل واحد منهما الى قول من هذين ورد الاخر منهما على
المتقدم وصنف عليه كتابا يبلغ عدده اوراقه المئين قال الخطابي والصحيح من ذلك ان
يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك ان المسلم قد يكون مومنا في بعض الاحوال ولا يكون
مومنا في بعضها والمومن مسلم في جميع الاحوال فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا
واذا حملت الامر على هذا استقام لك تاويل الايات واعتدل القول فيها ولم يختلف
شي منها قلت الرجلان اللذان اشار اليهما الخطابي اظن احدهما هو السابق محمد
ابن نصر فانه الذي علمته بسط الكلام في ان الاسلام والايمان شي واحد من اهل السنة
والحديث وما علمت لغيره قبله بسطا في هذا والاخر هو الذي رد عليه واظنه لكن
لم اقف على رده والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما كابي جعفر وحماد بن زيد
وعبد الرحمن بن مهدي وهو قول احمد بن حنبل وغيره وما علمت احدا من المتقدمين
خالف هولا فجعل نفس الاسلام نفس الايمان ولهذا كان عامة اهل السنة على هذا
الذي قاله هولا كما ذكره الخطابي وكذلك ذكر ابو القاسم التيمي الاصبهاني وابنه محمد
شارح مسلم وغيرهما ان المختار عند اهل السنة انه لا يطلق على السارق والزاني
اسم مومن كما دل عليه النص وقد ذكر الخطابي في شرح البخاري كلاما يقتضي تلازمهما
مع افتراق اسميهما وذكره البغوي في شرح السنة فقال قد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
الاسلام اسما لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال
ليست من الايمان او التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة
هي كلها شي واحد وجماعها الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل اتاكم
يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم الاسلام والايمان جميعا يدل عليه قوله
ان الدين عند الله الاسلام وقوله ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فاخبر ان الدين الذي رضيه ويقبله من عباده

هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل قلت
تعريف النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل وان اقتضى ان الاعلى وهو الاحسان
يتضمن الايمان والايمان يتضمن الاسلام فلا يدل على العكس ولو قدر انه دل على التلازم
فهو صريح بان مسمى هذا ليس مسمى هذا لكن التحقيق ان الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران
كما قد بيناه ومن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة من المواضع حاد عنها طوايف
مسالة الايمان وغيرها وما ذكره من ان الدين لا يكون في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق
الى العمل يدل على انه لا بد مع العمل من ايمان فهذا يدل على وجوب الايمان مطلقا لكن لا يدل
على ان العمل الذي هو الدين ليس اسمه اسلاما واذا كان الايمان شرطا في قبوله لم يلزم
ان يكون ملازما له فلو كان ملازما له لم يلزم ان يكون جز مسماه وقال الشيخ ابو عمرو
ابن الصلاح قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله الى اخره والايمان
ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسوله الى اخره قال هذا بيان لاصل الايمان وهو التصديق
الباطن وبيان لاصل الاسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الاسلام في الظاهر ثبت
بالشهادتين وانما اضاف اليهما الاربع لكونها اظهر شعاير الاسلام ومعظمها وبقيامه
بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده او اختلاله ثم ان اسم الايمان يتناول ما
فسر به الاسلام في هذا الحديث وساير الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي
هو اصل الايمان ومقويات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الايمان
في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم واعطاء الخمس من
المغنم ولهذا لا يقع اسم المومن المطلق على من ارتكب كبيرة او ترك فريضة لان اسم الشي
المطلق يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرا الا بقيد ولذلك جاز اطلاق
نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مومن واسم الاسلام يتناول
ايضا ما هو اصل الايمان وهو التصديق ويتناول اصل الطاعات فان ذلك كله استسلام
قال فخرج مما ذكرناه وحققناه ان الاسلام والايمان يجتمعان ويفترقان وان كل مومن
مسلم وليس كل مسلم مومنا قال وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات
النصوص الواردة في الايمان والاسلام التي طالما غلط فيها الخايضون وما
حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من اهل الحديث وغيرهم فيقال

هذا

هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة لما قد بين من اقوال الايمة وما دل عليه
الكتاب والسنة ما يظهر به ان الجمهور يقولون كل مومن مسلم وليس كل مسلم
مومنا وقوله ان الحديث ذكر فيه اصل الايمان واصل الاسلام قد يورد عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اجاب عن الايمان والاسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود
فيكون ما ذكره مطابقا لهما لا لاصلهما فقط فالايمان هو الايمان بما ذكره باطنا وظاهرا
لكن ما ذكره من الايمان تضمن الاسلام كما ان الاحسان تضمن الايمان وقول القايل اصل
الاستسلام هو الاسلام الظاهر فالاستسلام هو الاستسلام لله والانقياد له باطنا
وظاهرا فهذا دين الاسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة
ومن اسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره فانه لم يومر ان ينقب عن قلوب
الناس وايضا فاذا كان الاسلام يتناول التصديق الباطن الذي هو اصل الايمان فيلزم
ان يكون كل مسلم مومنا وهو خلاف ما نقل عن الجمهور لكن لا بد في الاسلام من تصديق
يحصل به اصل الايمان والا لم يثبت عليه فيكون حينيذ مسلما مومنا فلا بد ان يبين
المسلم الذي ليس بمومن ودخوله في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل
اتاكم يعلمكم دينكم وقوله الاسلام هو الاركان الخمسة لا يعني به من اداها بلا اخلاص
لله بل مع النفاق بل المراد من فعلها كما امر بها باطنا وظاهرا وذكر الخمس انها هي الاسلام
لانها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالى على كل عبد مطيق لها وما سواها اما واجب
على الكفاية لمصلحة اذا حصلت سقط الوجوب واما من حقوق الناس بعضهم
على بعض وان كان فيها قربة ونحو ذلك وتلك تابعة لهذه كما قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده وافضل الاسلام ان تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن
لم تعرف ونحو ذلك فهذه الخمس هي الاركان والمباني كما في الايمان وقول القايل
الطاعات ثمرات التصديق الباطن يراد به شيان يراد به انها لوازم له فمتى وجد
الايمان الباطن وجدت وهذا مذهب السلف واهل السنة ويراد به ان الايمان
الباطن سبب وقد يكون الايمان الباطن كمحبة الله وخشيته والثاني ظنهم ان الايمان
الذي في القلب تاما كاملا وهي لم توجد وهذا قول المرجية من الجهمية وغيرهم
وقد ذكرنا فيما تقدم انهم غلطوا في ثلثة اوجه احدها ظنهم ان الايمان الذي في القلب

تصديق بلا عمل يكون تامًا بدون العمل الظاهر وهذا يقول به جميع المرجية
والثالث قولهم كل من كفره الشارع فانما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى
وكثير من المتاخرين لا يميزون بين مذاهب السلف واقوال المرجية والجهمية لاختلاط
هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو في باطنه يرى راي الجهمية والمرجية في الايمان
وهو معظم للسلف واهل الحديث فيظن انه يجمع بينهما او يجمع بين كلام امثاله وكلام السلف
قال ابو عبد الله محمد بن نصر المروزي وقالت طايفة ثالثة وهم الجمهور
الاعظم من اهل السنة والجماعة واصحاب الحديث الايمان الذي دعا الله العباد اليه وافترضه
عليهم هو الاسلام الذي جعله دينًا وارتضاه لعباده ودعاهم اليه وهو ضد الكفر الذي
سخطه فقال ولا يرضى لعباده الكفر وقال ورضيت لكم الاسلام دينًا وقال فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقال افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فمدح الله الاسلام بمثل ما مدح به الايمان وجعله اسم ثناء وتزكية
فاخبر ان من اسلم فهو على نور من ربه وهدى واخبر انه دينه الذي ارتضاه وما
ارتضاه فقد احبه وامتدحه الا ترى ان انبيا الله ورسله رغبوا فيه اليه وسالوه
اياه فقال ابراهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف توفني مسلمًا والحقني
بالصالحين وقال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون وقال وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا
وقال في موضع اخر قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب الى قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا فاعلمكم الله بان من اسلم فقد ومن امن فقد اهتدى اه م
اهتدى فسوى بينهما قال وذكروا تمام الحجة في ان الاسلام هو الايمان وانهما لا يفترقان ثم
تبيانًا في موضع غير هذا اكرهنا اعادته في هذا الموضع كراهة التطويل والتكرير
غير انا سنذكر من الحجة ما لم نذكره في غير هذا الموضع ونبين خطا تاويلهم والحجج التي
احتجوا بها من الكتاب والاخبار على التفرقة بين الاسلام والايمان قلت
مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى ان المسلم الممدوح هو المومن
الممدوح وان المذموم ناقص الاسلام والايمان وان كل مومن فهو مسلم فلا بد ان يكون معه
ايمان وهذا صحيح وهو متفق عليه ومقصوده ايضًا ان من اطلق عليه الاسلام اطلق عليه الايمان

وهذا

وهذا فيه نزاع لفظي ومقصوده ان مسمى احدهما هو مسمى الاخر وهذا لا يعرف عن احد
من السلف وان قيل هما متلازمان فالمتلازمان لا يجب ان يكون مسمى هذا هو مسمى هذا
وهو لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا ايمة المسلمين المشهورين
انه قال مسمى الايمان هو مسمى الاسلام كما نصره بل كما عرفت انا لا اعرف ذلك عن السلف
ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف ان المومن المستحق لوعد الله هو المسلم
المستحق لوعد الله وكل مسلم مومن وكل مومن مسلم وهذا متفق على معناه بين السلف
والخلف بل وبين فرق الامة كلهم يقولون ان المومن الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مسلما
والمسلم الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مومنًا وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من
الاولين والاخرين فهو مومن مسلم ثم اهل السنة يقولون الذين يخرجون من النار
بعد ذلك ع وانما النزاع في اطلاق الاسم فالنقول متواترة عن السلف بان
الايمان قول وعمل ولم ينقل عنهم شي من ذلك في الاسلام ولكن لما كان الجمهور الاعظم
يقولون ان الاسلام هو الدين كله ليس هو الكلمة فقط خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري
وكانوا يقولون ان الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الافعال المامور بها هي
من الاسلام كما هي من الايمان ظن انهم يجعلونهما شيًا واحدًا وليس كذلك فان الايمان يستلزم
الاسلام باتفاقهم وليس اذا كان الاسلام داخلا فيه يلزم ان يكون هو اياه واما الاسلام
فليس معه دليل على انه يستلزم الايمان ولكن هل يستلزم الايمان الواجب
او كمال الايمان فيه نزاع وليس معه دليل على انه مستلزم الايمان ولكن الانبيا الذين
وصفهم الله بالاسلام كلهم كانوا مومنين وقد وصفهم الله بالايمان ولو لم يذكر ذلك
عنهم فنحن نعلم قطعًا ان الانبيا كلهم مومنون وكذلك السابقون الاولون كانوا مسلمين
مومنين ولو قدر ان الاسلام يستلزم الايمان الواجب فغايته ما يقال انهما متلازمان
فكل مسلم مومن وكل مومن مسلم وهذا صحيح اذا اريد ان كل مسلم يدخل الجنة معه
الايمان الواجب وهو متفق عليه اذا اريد ان كل مسلم يثاب على عبادته فلا بد ان يكون معه
اصل الايمان فما من مسلم الا وهو مومن وان لم يكن هو الايمان الذي نفاه النبي صلى الله عليه
وسلم عمن لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه وعمن نفاه الله عنه من الاعراب وغيرهم
اذا قيل ان الاسلام والايمان التام متلازمان لم يلزم ان يكون احدهما هو الاخر كالروح

من البدن فلا يوجد عندنا روح الا مع البدن ولا يوجد بدن حي الا مع الروح وليس احدهما
الاخر فالايمان كالروح فانه قائم بالروح ومتصل بالبدن والاسلام كالبدن ولا يكون البدن
حيا الا مع الروح بمعنى انهما متلازمان لا ان مسمى احدهما هو مسمى الاخر واسلام المنافقين
كبدن الميت جسد بلا روح فما من بدن حي الا وفيه روح ولكن الارواح متنوعة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منورا بذكر الله والخشوع
وفهم القران وان كانت صلوته يثاب عليها ويسقط الفرض فهكذا الاسلام الظاهر
بمنزلة الصلاة الظاهرة والايمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله
والخشوع وتدبر القران فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه ولا ينعكس فاذا
صلح القلب صلح الجسد وليس اذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائما بحقايقها
والناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات
فالمسلم باطنا وظاهرا ان كان ظالما لنفسه فلا بد ان يكون معه ايمان لكن لم يات بالواجب
ولا ينعكس ولذلك تفصيل اخر وسياتي ان شاء الله والايات التي احتج بها محمد بن نصر
تدل على وجوب الاسلام وانه دين الله وان الله يحبه ويرضاه وانه ليس له دين غيره
وهذا كله حق لكن ليس فيها ما يدل على انه هو الايمان ولا يدل على ان مجرد الاسلام يكون بلغ
الرجل من اهل الجنة كما ذكره في حجة القول الاول وان الله وعد المؤمنين الجنة
في غير اية ولم يذكر هذا الوعد باسم الاسلام وحينئذ فمدحه وايجابه
ومحبة الله له يدل على دخوله في الايمان وانه بعض منه وهذا متفق عليه بين اهل
السنة كلهم يقولون كل مؤمن مسلم ومن اتى بالايمان الواجب فقد اتى بالاسلام الواجب
لكن النزاع في العكس وهذا كما ان الصلاة يحبها الله ويامر بها ويوجبها ويثني عليها
وعلى اهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على ان مسمى الصلاة هو مسمى الايمان بل الصلاة
تدخل في الايمان فكل مؤمن يصلي ولا يلزم ان يكون كل من صلى الصلاة الظاهرة مؤمنا وجميع ما ذكره
من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان فيها التفريق بين مسمى الايمان والاسلام
اذا ذكرا جميعا كما في حديث جبريل وغيره وفيها ايضا ان اسم الايمان اذا اطلق
دخل فيه الاسلام قال ابو عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في اصول الدين قد ذكرنا

ان

ان الايمان قول وعمل فاما الاسلام فكلام احمد بن حنبل في روايتين احداهما انه كالايمان والثانية
انه قول بلا عمل وهو نصه في رواية اسماعيل بن سعيد قال والصحيح ان المذهب
رواية واحدة انه قول وعمل ويحمل قوله ان الاسلام قول يريد به انه لا يجب فيه
ما يجب في الايمان من العمل المشروط فيه لان الصلاة ليست من شرطه اذ النص عنه
انه لا يكفر بترك الصلاة قال وقد قضينا ان الاسلام والايمان اسمان لمعنيين وقد
ذكرنا اختلاف الفقهاء وقد ذكر قبل ذلك ان الاسلام والايمان اسمان لمعنيين مختلفين
وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد بالتفرقة بين الاسلام والايمان قال وقال
اصحاب الشافعي واصحاب مالك وابي حنيفة انهما اسمان معناهما واحد قال ونعتقد
هذا ان الايمان قد ينتفي عنه تسميته مع بقاء الاسلام عليه وهو باتيان الكباير التي ذكرت
في الخبر فيخرج عن تسمية الايمان الا انه مسلم فاذا تاب من ذلك عاد الى ما كان
عليه من الايمان ولا ينتفي عنه تسمية الايمان بارتكاب الصغاير من الذنوب بل الاسم باق
عليه ثم ذكر دليل ذلك وما ذكره فيه ادلة كثيرة على من يقول الاسلام مجرد الكلمة
فان الادلة الكثيرة تدل على ان الاعمال من الاسلام بل النصوص كلها تدل على ذلك
فمن قال ان الاعمال الظاهرة المامور بها ليست من الاسلام فقوله باطل بخلاف
التصديق الذي في القلب فان هذا ليس في النصوص ما يدل على انه من الاسلام
بل هو الايمان وانما الاسلام الدين كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بان يسلم وجهه
وقلبه لله فاخلاص الدين لله اسلام وهذا غير التصديق ذلك من جنس عمل القلب
وهذا من جنس علم القلب واحمد بن حنبل وان كان قد قال في موضع ان الاسلام
هو الكلمة فقد قال في موضع ان الاعمال من الاسلام وهو اتبع منا الزهري رحمه
الله تعالى فان كان مراد من قال ذلك انه بالكلمة يدخل في الاسلام ولم يات بتمام الاسلام
فهذا قريب وان كان مراده انه اتى بجميع الاسلام فهذا غلط قطعا بل قد انكر
احمد هذا الجواب قول من قال يطلق عليه الاسلام وان لم يعمل متابعة
لحديث جبريل وكان ينبغي ان يذكر قول احمد جميعه قال اسمعيل بن سعيد سالت قول م
احمد عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام الاقرار قال وسالت
احمد عمن قال في الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اذ ساله عن الاسلام اذا

والبدن فلا يوجد عندنا روح الا مع البدن ولا يوجد بدن حي الا مع الروح وليس احدهما
الاخر فالايمان كالروح فانه قايم بالروح ومتصل بالبدن والاسلام كالبدن ولا يكون البدن
حيا الا مع الروح بمعنى انهما متلازمان لا ان مسمى احدهما هو مسمى الاخر واسلام المنافقين
كبدن الميت جسد بلا روح فما من بدن حي الا وفيه روح ولكن الارواح متنوعة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منورا بذكر الله والخشوع
وفهم القران وان كانت صلاته يثاب عليها وتسقط الفرض فهكذا الاسلام الظاهر
بمنزلة الصلاة الظاهرة والايمان بمنزلة ما يكون في القلوب حين الصلاة من المعرفة بالله
والخشوع وتدبر القران فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه ولا ينعكس فاذا
صلح القلب صلح الجسد وليس اذا كان الجسد في عبادة يكون القلب فانما حقايقها
والناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات
فالمسلم باطنا وظاهرا اذا كان ظالما لنفسه فلا بد ان يكون معه ايمان لكن لم يات بالواجب
ولا ينعكس ولذلك في الاخرة وسياتي ان شاء الله والايات التي احتج بها محمد بن نصر
تدل على وجوب الاسلام وانه دين الله وان الله يحبه ويرضاه وانه ليس له دين غيره
وهذا كله حق لكن ليس في هذا ما يدل على انه هو الايمان ولا يدل على ان مجرد الاسلام يكون بلغ
الرجل من اهل الجنة كما ذكره في حجة القول الاول وان الله وعد المومنين الجنة
في غير اية ولم يذكر هذا الوعد باسم الاسلام وحينيذ فمدحه وايجابه
ومحبته له يدل على دخوله في الايمان وانه بعض منه وهذا متفق عليه بين اهل
السنة كلهم يقولون كل مومن مسلم وكل من اتى بالايمان الواجب فقد اتى بالاسلام الواجب
لكن النزاع في العكس وهذا كما ان الصلاة يحبها الله ويامر بها ويوجبها ويثني عليها
وعلى اهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على ان مسمى الصلاة مسمى الايمان بل الصلاة
تدخل في الايمان فكل مومن يصلي ولا يلزم ان يكون كل من صلى الجابر مومنا وجميع ما ذكره
من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانما فيها التفريق بين مسمى الايمان والاسلام
اذا ذكرا جميعا كما في حديث جبريل وغيره وفيها ايضا ان اسم الايمان اذا اطلق
دخل فيه الاسلام قال ابو عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في اصول الدين قد ذكرنا

ان

ان الايمان قول وعمل فاما الاسلام فكلام احمد يحتمل روايتين احداهما انه كالايمان والثانية
انه قول بلا عمل وهو نصه في رواية اسمعيل بن سعيد قال والصحيح ان المذهب
رواية واحدة انه قول وعمل ويحمل قوله ان الاسلام قول يريد به انه لا يجب فيه
ما يجب في الايمان من العمل المشروط فيه لان الصلاة ليست من شرطه اذ النص عنه
انه لا يكفر بترك الصلاة قال وقد قضا ان الاسلام والايمان اسمان لمعنيين وقد
ذكرنا اختلاف الفقها وقد ذكر قبل ذلك ان الاسلام والايمان اسمان لمعنيين مختلفين
وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد قال التفرقة بين الاسلام والايمان قال وقال
اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة انهما اسمان معناهما واحد قال ونعتقد
هذا ان الايمان قد ينتفي عنه تسميته مع بقا الاسلام عليه وهو بان ياتي الكباير التي ذكرت
في الخبر فيخرج عن تسمية الايمان الا انه مسلم فاذا تاب من ذلك عاد الى ما كان
عليه من الايمان ولا ينتفي عنه تسمية الايمان بارتكاب الصغاير من الذنوب بل الاسم باق
عليه ثم ذكر ذلك ولكن ما ذكره فيه ادلة كثيرة على من يقول الاسلام مجرد الكلمة
فان الادلة الكثيرة تدل على ان الاعمال من الاسلام بل النصوص كلها تدل على ذلك
فمن قال ان الاعمال الظاهرة المامور بها ليست من الاسلام فقوله باطل بخلاف
التصديق الذي في القلب فان هذا ليس في النصوص ما يدل على انه من الاسلام
بل هو الايمان وان الاسلام الدين كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بان يسلم وجهه
وقلبه لله فاخلاص الدين لله اسلام وهذا غير التصديق ذاك من جنس عمل القلب
وهذا من جنس علم القلب واحمد بن حنبل وان كان قد قال في هذا الموضع ان الاسلام
هو الكلمة فقد قال في موضع ان الاعمال من الاسلام وهو اتبع من الزهري رحمه
الله تعالى فان كان مراد من قال ذلك انه بالكلمة يدخل في الاسلام ولم يات بتمام الاسلام
فهذا قريب وان كان مراده انه اتى بجميع الاسلام فهذا غلط قطعا بل قد انكر
احمد هذا الجواب قول من قال يطلق عليه الاسلام وان لم يعمل متابعة
لحديث جبريل وكان يستحب ان يذكر هو الاحاديث جميعه قال اسمعيل بن سعيد سالت تعول بم
احمد عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام الاقرار قال وسالت
احمد عمن قال في الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اذ ساله عن الاسلام اذ

عن الإسلام فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم فقال نعم فقال قائل وإن لم يفعلوا الذي قال جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم فهو مسلم أيضاً فقال هذا معاند للحديث فقد جعل أحمد من جعله
مسلماً إذا لم يأت بالخمس معانداً للحديث مع قوله إن الإسلام الإقرار فدل ذلك على
أن ذاك أول الدخول في الإسلام وأنه لا يكون قائماً بالإسلام الواجب حتى يأتي بالخمس
وإطلاق الاسم مشروط بها فإنه ذم من لم يتبع حديث جبريل وأيضاً فهو في أكثر أجوبته
يكفر من لم يأت بالصلاة بل وبغيرها من المباني والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين فعلم أنه
لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل وإن قدر أنه أراد ذلك فهذا يكون أنه لا يكفر
بترك شيء من المباني الأربعة وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني
يجعلونها من الإسلام كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم فكيف لا يجعلها أحمد من
الإسلام وقوله في دخولها في الإسلام أقوى من قول غيره وقد روي عنه أنه جعل حديث سعد
مفارقاً لحديث عمر ورجح حديث سعد قال الحسن بن علي سألت أحمد بن حنبل عن
الإيمان أوكد أو الإسلام قال جاء حديث عمر هذا وحديث سعد أحب إلي كأنه فهم أن
حديث عمر يدل على أن الأعمال هي مسمى الإسلام فيكون مسماه أفضل وحديث سعد
يدل على أن مسمى الإيمان أفضل ولكن حديث عمر لم يذكر الإسلام إلا الأعمال الظاهرة فقط
وهذه لا يكون بها مؤمناً إلا مع الإيمان الذي في القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله فيكون
حينئذ بعض الإيمان فيكون مسمى الإيمان أفضل كما دل عليه حديث سعد فلا منافاة بين
الحديثين وأما تفريق أحمد بين الإسلام والإيمان فكان يقوله تارة وتارة يحكي الخلاف
ولا يجزم به وكان إذا قرن بينهما تارة يقول الإسلام الكلمة وتارة لا يقول ذلك وكذلك
التكفير بترك المباني كان تارة يكفر بها حتى يغضب وتارة لا يكفر بها قال الميموني قلت يا أبا
عبد الله تفرق بين الإسلام والإيمان قال نعم قلت بأي شيء تحتج قال عامة الأحاديث
تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق
وهو مؤمن وقال الله قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال وحماد بن
زيد يفرق بين الإسلام والإيمان قال وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال قال مالك وشريك وذكر
قولهم وقول حماد بن زيد فرق بين الإسلام والإيمان قال أحمد قال لي رجل لو لم يجئنا
في الإيمان إلا هذا لكان حسناً قلت لأبي عبد الله فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم

قلت

قلت لأبي عبد الله فيذهب إلى ظاهرها فإذا كان المرجئة يقولون إن الإسلام هو القول
قال هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان
جبريل ومستكمل الإيمان قلت فمن ههنا حجتنا عليهم قال نعم فقد ذكر عنه الفرق
مطلقاً واحتجاجه بالنصوص وقال صالح بن أحمد سئل أبي عن الإسلام والإيمان قال
قال ابن أبي ذئب الإسلام القول والإيمان العمل قيل له ما تقول أنت قال الإسلام
غير الإيمان وذكر حديث سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو في هذا الحديث
لم يختر قول من قال الإسلام القول بل أجاب بأن الإسلام غير الإيمان كما دل عليه الحديث
الصحيح مع القرآن وقال حنبل حدثنا أبو عبد الله بحديث بريدة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون الحديث قال وسمعت أبا عبد الله يقول وفي هذا
الحديث حجة على من قال الإيمان قول فمن قال أنا مؤمن فقوله من المؤمنين
والمسلمين فبين المؤمن من المسلم رد على من قال أنا مؤمن مستكمل الإيمان وقوله وإنا إن
شاء الله بكم لاحقون وهو يعلم أنه ميت يشد قول من قال أنا مؤمن إن شاء الله الاستثناء
في هذا الموضع وقال أبو الحارث سألت أبا عبد الله قلت قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال قد تأولوه فأما عطاء فقال
يتنحى عنه الإيمان وقال طاوس إذا فعل ذلك زال عنه الإيمان وروي عن الحسن قال
إن رجع راجعه الإيمان وقد قيل يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام
وروى هذه المسألة صالح فإن مسائل أبي الحارث يرويها صالح وصالح سأل أباه عن هذه
القصة فقال فيها هكذا يروى عن أبي جعفر قال لا يزني حين يزني وهو مؤمن
قال يخرج من الإيمان إلى الإسلام فالإيمان مقصور في الإسلام فإذا زنا خرج من الإيمان إلى
الإسلام قال الزهري يعني لما روى حديث سعد فنرى أن الإسلام الكلمة
والإيمان العمل قال أحمد وهو حديث متأول والله أعلم فقد ذكر أقوال التابعين
فيه ولم يرجح شيئاً وذلك والله أعلم لأن جميع ما قالوه حق وهو موافق على ذلك كله
كما قد ذكر في موضع آخر أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام ويحتج لذلك وأحمد وأمثاله
من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره بل التأويل عندهم مثل التفسير

وبيان ما يول اليه اللفظ كقول عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتاول القران والا فما ذكره انما يقولونه بخلاف ظاهر الحديث بل يوافقه وقول احمد يتاوله اي يفسر معناه وان كان ذلك يوافق ظاهره ليلا يظن مبتدع ان معناه انه صار كافر الايمان معه بحال كما يقوله الخوارج فان الحديث لا يدل على هذا والذي نفى عنهم الايمان كان يجعلهم مسلمين لا يجعلهم مومنين قال المروذي قيل لابي عبد الله نقول نحن المومنون فقال نقول نحن المسلمون قلت لابي عبد الله نقول انا مومنون قال ولكن نقول انا مسلمون وهذا لان اصله الاستثنا في الايمان لانه لا يعلم انه مودي لجميع ما امره الله به فهو مثل قوله انا نرجو ان نكون اتقانا لله لا يذكر في موضعه وهو لا يمنع ترك الاستثنا اذا اراد انه مصدق فانه يجزم فانه يحب الله ورسوله وانه يبغض الكفر ونحو ذلك مما يعلم انه في قلبه ولذلك اذا اراد بانه مومن في الظاهر فلا يمنع ان يجزم بما هو معلوم له وانما يكره ما كره ساير الغالية من قول المرجيه او يقولون الايمان شي متماثل في جميع اهله مثل كون كل انسان له راس فيقول احدهم انا مومن حقا وانا مومن عند الله ونحو ذلك كما يقول الانسان لي راس حقا وانا لي راس في علم الله حقا فمن جزم به على هذا الوجه فقد اخرج الاعمال الباطنه والظاهره عنه وهذا منكر من القول وزور عند الصحابه والتابعين ومن اتبعهم من ساير المسلمين وللناس في مسلة الاستثنا كلام يذكر في موضعه والمقصود هنا ان هنا قولين متطرفين قول من يقول الاسلام مجرد الكلمه والاعمال الظاهره ليست داخله في مسمى الاسلام وقول من يقول مسمى الاسلام والايمان واحد وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل وساير احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني لم يكن معه حجه على صحته ولكن احتج بما يبطل به القول الاول فاحتج بقوله في قصة الاعراب بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين قال فدل ذلك على ان الاسلام هو الايمان فيقال بل يدل على نقيض ذلك لان القوم لم يقولوا اسلمنا بل قالوا امنا والله امرهم ان يقولوا اسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين في قولكم امنا ولو كان الاسلام هو الايمان لم يحتج ان يقول ان كنتم صادقين

فانه

فانهم صادقون في قولهم اسلمنا مع انهم لم يقولوا ولكن الله قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم اي يمنون عليك ما فعلوه من الاسلام فالله تعالى سماه فعلهم اسلاما وليس في ذلك ما يدل على انهم سموه اسلاما وانما قالوا امنا ثم اخبر ان المنه تقع بالهدايه الى الايمان فاما الاسلام الذي ابان معه فكان الناس يفعلونه خوفا من السيف فلا منه لهم بفعله واذا الذين من الله عليهم بالايمان كان ذلك الاسلام المنافقين لا يقبل الله منهم فاما اذا كانوا صادقين في قولهم امنا فالله هو المان عليهم بهذا الايمان وما يدخل فيه من الاسلام وهو تعالى نفى عنهم الايمان اولا وهنا علق منته به على صدقهم فدل على جواز صدقهم وقد قيل انهم صاروا صادقين بعد ذلك وفي تعليق المعلق بشرط لا يستلزم وجود ذلك الشرط ونفاه لانه كان معهم ايمان ما لكن ما هو الايمان الذي وصفه ثانيا بل معهم شعبه من ايمان قال محمد بن نصر وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الايه وقال ان الدين عند الله الاسلام فسمى اقام الصلاه وايتا الزكاه دينا قيما وسمى الدين اسلاما فمن لم يود الزكاه فقد ترك من الدين القيم الذي اخبر الله انه عنده الدين وهو الاسلام بعضا قال وقد جامعتنا هذه الطايفه التي فرقت بين الاسلام والايمان على ان الايمان قول وعمل وان الصلاه والزكاه من الايمان وقد سماها الله دينا واخبر ان الدين عند الله الاسلام فقد سمى الله الاسلام بما سمى به الايمان وسمى الايمان بما سمى به الاسلام وبمثل ذلك جاءت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم ان الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنه ولا فرق بينه وبين المرجيه اذ زعمت ان الايمان اقرار بلا عمل فيقال اما قوله ان الله جعل الصلاه والزكاه من الدين والدين عنده هو الاسلام فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل ورده على من جعل العمل خارجا من الاسلام كلام حسن واما قوله ان الله سمى الايمان بما سمى به الاسلام وسمى الاسلام بما سمى به الايمان فليس كذلك فان الله انما قال ان الدين عند الله الاسلام ولم يقل قط ان الدين عند الله الايمان ولكن هذا الدين من الايمان وليس اذا كان منه يكون هو اياه فان الايمان اصله معرفة القلب وتصديقه وقوله والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ليس هو مسماه لكن يلزمه جنس التصديق فلا يكون عدم الاعمال الا مستلزما لعدم الايمان المفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى انما المومنون

الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم
الصادقون وفي قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته
زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون وسائر النصوص التي تنفي الإيمان عمن لم يتصف بما ذكر
فإن كثيرا من المسلمين مسلم باطنا وظاهرا ومعه تصديق مجمل ولم يتصف بهذا
الإيمان والله تعالى قال ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وقال ورضيت لكم
الإسلام دينا لم يقل ومن يبتغ غير الإسلام علما ومعرفة وتصديقا وإيمانا ولا قال رضيت
لكم الإسلام تصديقا وعلما فإن الإسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع
فمن ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه والإيمان طمأنينة ويقين أصله علم وتصديق
ومعرفة والدين تابع له يقال آمنت بالله وأسلمت لله قال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فلو كان مسماهما واحدا كان هذا تكريرا وكذلك قوله
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات كما قال والصادقين والصابرين
والخاشعين والمؤمن متصف بهذا كله لكن هذه الأسماء لا تطابق الإيمان في العموم والخصوص
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت
وبك خاصمت وإليك حاكمت [illegible] في الصحيحين أنه كان يقول إذا قام من الليل وثبت
في صحيح مسلم وغيره أنه كان يقول في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك
أسلمت وفي الركوع يقول لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت وأما ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة لاسمها فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس
على دمائهم وأموالهم ومعلوم أن السلامة من ظلم الإنسان غير كونه مأمونا على الدم والمال
فإن هذا أعلى والمأمون مسلم الناس من ظلمه وليس من سلموا من ظلمه يكون مأمونا عندهم
قال محمد بن نصر فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف
الكتاب والسنة وهذا صحيح فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام قال
ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل فما [illegible] بينهما فرق
ودل ذلك أن هؤلاء الذين قالوا من أهل السنة كالزهري ومن وافقه يقولون الأعمال
داخلة في الإيمان والإسلام عندهم جزء من الإيمان والإيمان عندهم أكمل وهذا موافق
للكتاب والسنة ويقولون الناس يتفاضلون في الإيمان وهذا موافق للكتاب والسنة

والمرجئة يقولون الإيمان بعض الإسلام والإسلام أفضل ويقولون إيمان الناس متساوي
فإيمان الصحابة وأفجر الناس سواء ويقولون لا يكون مع أحد بعض الإيمان دون بعض وهذا
مخالف للكتاب والسنة وقد أجاب أحمد عن هذا السؤال لما قال في إحدى
روايتيه أن الإسلام هو الكلمة كما قال الزهري فإنه تارة يوافق من قال ذلك وتارة
لا يوافقه بل يذكر ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الإسلام غير الإيمان فلما
أجاب بقول الزهري قال له الميموني قلت يا أبا عبد الله تفرق بين الإسلام والإيمان
قال نعم قلت بأي شيء تحتج قال عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن وقال الله تعالى قالت الأعراب
آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قلت له فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن
قال نعم قلت فإذا كانت المرجئة يقولون إن الإسلام هو القول قال هم يصيرون هذا
كله واحدا ويجعلونه مسلما ومؤمنا شيئا واحدا على إيمان جبريل ومستكمل الإيمان
قلت فمن ههنا حجتنا عليهم قال نعم فهذا جاب أحمد بأنهم يجعلون الفاسق مؤمنا
مستكمل الإيمان على إيمان جبريل وأما قوله يجعلونه مسلما ومؤمنا شيئا واحدا
فهذا قول من يقول الدين والإيمان واحد فالإسلام هو الدين فيجعلون الإسلام
والإيمان واحدا وهذا القول قول المرجئة فيما يذكره كثير من الأئمة كالشافعي
وأبي عبيد وغيرهما ومع هؤلاء يناظرون فالمعروف من كلام المرجئة الفرق بين
لفظ الدين والإيمان والفرق بين الإسلام والإيمان ويقولون الإسلام بعضه إيمان
وبعضه أعمال والأعمال منها فرض ونفل ولكن كلام السلف كان فيما يظهر لهم
ويصل إليهم من كلام أهل البدع كما تجدهم في الجهمية إنما يحكون عنهم أن الله في كل مكان
وهذا قول طائفة منهم كالنجارية وهو قول عامتهم وعبادهم وأما جمهور نظارهم
من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم فإنما يقولون هو لا داخل العالم ولا
خارجه ولا هو فوق العالم وكذلك كلامهم في القدرية يحكون عنهم إنكار العلم والكتاب
وهؤلاء هم القدرية الذين قال فيهم ابن عمر إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم
وأنهم برآء مني وهم الذين كانوا يقولون ليس الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من
يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى يفعلوا ذلك فعلمه

بعد ما فعلوه ولهذا قالوا الامر انف اي مستانف يقال روض انف اذا كانت وافرة
لم ترع قبل ذلك يعني انه مستانف العمل السعيد والشقي ويبتدا ذلك من
غير ان يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب فلا يكون العمل على ما قد قدر يحتذي
به حذو القدر بل هو امر مستانف مبتدا والواحد من الناس اذا اراد ان يعمل
عملا قدر في نفسه ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه وربما اظهر ما قدره
في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذي في النفس خلقا ومنه قول
الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري يقول اذا قدرت
امرا امضيته وانفذته بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضا ما يقدره والرب
تعالى قال انا كل شيء خلقناه بقدر وهو تعالى يعلم قبل ان يخلق الاشيا كل ما
سيكون وهو يخلق بمشيته فهو يعلمه ويريده وعلمه وارادته قايم بنفسه
وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقال ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون
وهو تعالى يكتب ما يقدره فيما يكتبه فيه كما قال الم تر ان الله يعلم ما في السماء والارض
ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير قال ابن عباس ان الله خلق الخلق وعلم ما هم
عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم انزل تصديق ذلك في قوله الم تر ان الله
يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقال تعالى ما
اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان
ذلك على الله يسير وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وقال يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وقال
للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون فالملايكة قد
علمت ما يفعل بنو ادم من الفساد وسفك الدما فكيف لا يعلمه الله سوا علموه
باعلام الله فيكون هو اعلم بما علمهم اياه كما قاله اكثر المفسرين او قالوه بالقياس

على من كان قبلهم كما قاله طايفة منهم او بغير ذلك فالله اعلم بما سيكون من مخلوقاته
الذين لا علم لهم الا ما علمهم وما اوحاه الى انبيايه وعبرهم بما سيكون فهو اعلم به منهم
فانهم لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شا وايضا فانه قال للملايكة اني جاعل في الارض
خليفة قبل ان يامرهم بالسجود لادم وقبل ان يمتنع ابليس وقبل ان ينهى ادم عن اكله
من الشجرة وقبل ان ياكل منها ويكون اكله سببا لهباطه الى الارض فقد علم سبحانه
انه سيستخلفه مع امره له ولابليس بما يعلم انهما يخالفانه فيه ويكون الخلاف سبب
امره لهما بالاهباط والاستخلاف في الارض وهذا يبين انه علم ما سيكون منهما من
مخالفة الامر فان ابليس امتنع من السجود لادم وابغضه فصار عدوه فوسوس
له حتى اكل من الشجرة فيذنب ادم ايضا فانه قد قال انه ليغوينهم اجمعين
وقد سال الانظار الى يوم يبعثون فهو حريص على اغوا ادم وذريته بكل ما امكنه
لكن ادم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه واجتباه ربه وهدا بتوبته فصار لبني
ادم سبيل الى نجاتهم وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالاغوا وهو التوبة
قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المومنين والمومنات وقدر الله قد احاط بهذا كله قبل ان يكون فابليس اصر
على الذنب واحتج بالقدر وسال الانظار ليهلك غيره وادم تاب واناب وقال
هو وزوجه ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
فتاب الله عليه وهداه واجتباه وانزله الى الارض ليعمل فيها بطاعته فيرفع الله
بذلك درجته ويكون دخوله الجنة بعد هذا اكمل مما كان فمن اذنب من اولاد ادم
فاقتدى بابيه ادم في التوبة كان سعيدا واذا تاب وامن وعمل صالحا بدل الله سياته
حسنات وكان الله غفورا رحيما وكان بعد التوبة خيرا منه قبل الخطية كساير
اوليا الله المتقين ومن اتبع منهم ابليس فاصر على الذنب واحتج بالقدر واراد ان يغوي
غيره كان من اتباع ابليس الذين قال فيهم لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين والمقصود هنا ذكر
القدر وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال قدر الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
وكان عرشه على الماء وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر
كل شيء ثم خلق السماوات والارض وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من
غير وجه انه اخبر ان الله قد علم اهل الجنة من اهل النار وما يعمله العباد قبل ان
يعملوه وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان الله يبعث ملكا بعد خلق
الجسد وقبل نفخ الروح فيه فيكتب اجله ورزقه وعمله وشقي او سعيد
وهذه الاحاديث مما ان شاء الله في مواضعها فهذا القدر هو الذي انكره القدرية
الذين كانوا في اواخر زمن الصحابة وقد روي ان اول من ابتدعه بالعراق رجل من
اهل البصرة يقال له سيسويه من ابناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني
ويقال ان اول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله
تعالى فقال الاخر لم يقدر الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين احد ينكر
القدر فلما ابتدع هولاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة كعبد
الله بن عمر وعبد الله بن عباس وواثلة بن الاسقع وكان اكثره بالبصرة والشام
وقليل منه بالحجاز فاكثر كلام السلف في ذم هولاء القدرية ولهذا قال وكيع بن الجراح
القدرية يقولون الامر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والاعمال والمرجية يقولون
القول يجزي من العمل والجهمية يقولون المعرفة تجزي من القول والعمل قال
وكيع وهو كله كفر رواه ابن   ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير
من اهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم وانما ينكرون
عموم المشية والخلق وعن عمرو بن عبيد في انكار الكتاب المتقدم والسعادة
روايتان وقول اوليك كفرهم عليه مالك والشافعي واحمد وغيرهم واما هولاء فهم مبتدعون
ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة اوليك وفي هولاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم
واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية اليه لم يخرجوا له وهذا
مذهب فقهاء الحديث كاحمد وغيره ان من كان داعية الى بدعة فانه يستحق
العقوبة لدفع ضرره عن الناس وان كان في الباطن مجتهدا واقل عقوبته ان
يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين لا يوخذ عنه العلم ولا يستقضى ولا تقبل
شهادته ونحو ذلك ومذهب مالك قريب من هذا ولهذا لم يخرج اهل الصحيح لمن

كان داعية ولكن رووا هم وسائر اهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن راي
القدرية والمرجية والخوارج والشيعة وقال احمد لو تركنا الرواية عن القدرية
لتركنا اكثر اهل البصرة وهذا لان مسالة خلق افعال العباد وارادة الكائنات
مسالة مشكلة وكما ان القدرية من المعتزلة وغيرهم اخطاوا فيها فقد اخطا
فيها كثير ممن رد عليهم او اكثرهم فانهم سلكوا في الرد عليهم مسلك جهم بن
صفوان واتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وامره ونفوا رحمته بعباده ونفوا ما
جعله من الاسباب خلقا وامرا وجحدوا من الحقائق الموجودة في مخلوقاته
وشرايعه ما صار ذلك سببا لنفور اكثر العقلاء الذين فهموا قولهم عما يظنون
السنة اذ كانوا يزعمون ان قول اهل السنة في القدر هو القول الذي ابتدعه
جهم وهذا البسط له موضع اخر والمقصود هنا ان السلف في ردهم على المرجية
والجهمية والقدرية وغيرهم يردون من اقوالهم ما بلغهم عنهم وما سمعوه
من بعضهم وقد يكون ذلك قول طايفة منهم وقد يكون نقلا مغيرا فلهذا ردوا
على المرجية الذين يجعلون الدين والايمان واحدا ويقولون هو القول وايضا فلم
يكن حدث في زمنهم من المرجية من يقول الايمان هو مجرد القول بلا تصديق
ولا معرفة في القلب فان هذا انما احدثه ابن كرام وهذا هو الذي انفرد به ابن
كرام واما سائر ما قاله فاقوال قيلت قبله ولهذا لم يذكر الاشعري ولا غيره
ممن يحكي مقالات الناس عنه قولا انفرد به الا هذا واما سائر اقواله فيحكونها
عن ناس قبله ولا يذكرونه ولم يكن ابن كرام في زمن احمد بن حنبل وغيره من
الايمة فلهذا يحكون اجماع الناس على خلاف هذا القول كما ذكر ذلك ابو عبد الله
احمد بن حنبل وابو ثور وغيرهما وكان قول المرجية قبله ان الايمان قول باللسان وتصديق
بالقلب وقول جهم انه تصديق القلب فاما ابن كرام انه مجرد قول اللسان
صارت اقوال المرجية ثلثة لكن احمد كان اعلم بمقالات الناس من غيره فكان
يعرف قول الجهمية في الايمان واما ابو ثور فلم يكن يعرفه وانما يعرف المرجية
الفقهاء فلهذا حكى الاجماع على خلاف قول الجهمية والكرامية فان ابا ثور رد
على المرجية كما روى ذلك ابو القسم الطبري وغيره عن ادريس بن عبد الكريم قال

سال رجل من اهل خراسان ابا ثور عن الايمان وما هو يزيد وينقص وقول هو او قول وعمل
وتصديق وعمل فاجابه ابو ثور بهذا فقال سالت يرحمك الله وعفا عنا وعنك عن الايمان
ما هو يزيد وينقص وقول هو او قول وعمل وتصديق وعمل فاخبرك بقول الطوايف
واختلافهم اعلم يرحمنا الله واياك ان الايمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح الايمان
وذلك انه ليس بين اهل العلم خلاف في رجل لو قال اشهد ان الله تعالى واحد وان ما جات
به الرسل حق واقر بجميع الشرايع ثم قال ما عقد قلبي على شي من هذا ولا اصدق به
انه ليس بمسلم ولو قال المسيح هو الله وجحد امر الاسلام ثم قال لم يعقد قلبي على
شي من ذلك انه كافر باظهار ذلك وليس بمومن فلما لم يكن بالاقرار اذا لم يكن معه التصديق
مومنا ولا بالتصديق اذا لم يكن معه الاقرار مومنا حتى يكون مصدقا بقلبه مقرا بلسانه
فاذا كان تصديقا بالقلب واقرارا باللسان كان عندهم مومنا وعند بعضهم لا يكون حتى
يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الاشيا اذا اجتمعت مومنا فلما نفوا ان
يكون الايمان شي واحد وقالوا يكون بشيين في قول بعضهم وثلثة
اشيا في قول غيرهم لم يكن مومنا الا بما اجمعوا عليه من هذه الثلثة الاشيا
وذلك انه اذا جا بهذه الثلثة الاشيا فكلهم يشهد انه مومن فقلنا بما اجتمعوا
عليه من التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فاما الطايفه
التي ذهبت الى ان العمل ليس من الايمان فيقال لهم ما اراد الله من العباد اذ
قال لهم اقيموا الصلاه واتوا الزكاه الاقرار بذلك او الاقرار والعمل فان قالت ان الله اراد
الاقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند اهل العلم من قال ان الله لم يرد من العباد
ان يصلوا ولا يوتوا الزكاه وان قالت اراد منهم الاقرار والعمل قيل فاذا كان المراد منهم
الامرين جميعا لم زعمتم انه يكون مومنا باحدهما دون الاخر وقد ارادهما جميعا ارايتم
لو ان رجلا قال اعمل جميع ما امر الله به ولا اقر به ايكون مومنا فان قالوا لا قيل لهم
فان قال اقر بجميع ما امر الله به ولا اعمل به ايكون مومنا فان قالوا نعم قيل ما الفرق
فقد زعمتم ان الله اراد الامرين جميعا فان جاز ان يكون باحدهما مومنا اذا ترك الاخر
جاز ان يكون بالاخر اذا عمل ولم يقر مومنا لا فرق بين ذلك فان احتج فقال لو ان
رجلا اسلم فاقر بجميع ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم ايكون مومنا بهذا الاقرار

قبل ان يجي وقت عمل قيل له انما يطلق له الاسم بتصديقه ان العمل عليه بقوله ان
يعمله في وقته اذا جا وليس عليه في هذا الوقت الاقرار بجميع ما يكون به مومنا
ولو قال اقر ولا اعمل لم يطلق له اسم الايمان قلت يعني الامام ابو ثور رحمة الله
عليه انه لا يكون مومنا الا اذا التزم بالعمل مع الاقرار والا فلو اقر ولم يلتزم العمل لم يكن
مومنا وهذا الاحتجاج الذي ذكره ابو ثور هو دليل وجوب الامرين الاقرار والعمل
وهو يدل على ان كلا منهما من الدين وانه لا يكون مطيعا لله ولا مستحقا الثواب ولا
ممدوحا عند الله ورسوله الا بالامرين وهو حجة على من جعل الاعمال خارجة عن
الدين والايمان جميعا واما من يقول انها من الدين ويقول ان الفاسق مومن من حيث
احد بعض الدين وهو الايمان عندهم وترك بعضه فهذا يحتج عليه بشي اخر لكن ابو ثور
وغيره من علما السنه عامه احتجاجهم مع هذا الصنف واحمد كان اوسع علما
بالاقوال والحجج من ابي ثور ولهذا انما حكى الاجماع على خلاف قول الكرامية انه نوع
في النطق على عادته ولم يجزم بنفي الخلاف لكن قال لا احسب احدا يقول هذا
وهذا في رسالته الى ابي عبد الرحيم الجوزجاني ذكرها الخلال في كتاب السنه وهو
اجمع كتاب يذكر فيه اقوال احمد في مسايل الاصول الدينيه وان كان له اقوال
زايده على ما فيه كما ان كتابه في العلم اجمع كتاب يذكر فيه اقوال احمد في الاصول
الفقهيه قال المروذي رايت ابا عبد الرحيم الجوزجاني عند ابي عبد الله وقد
كان ذكره ابو عبد الله فقال كان ابوه مرجيا او قال صاحب راي واما ابو عبد الرحيم
فاثنى عليه وقد كان كتب الى ابي عبد الله من خراسان يساله عن الايمان ذكر الرسالة
من طريقين عن ابي عبد الرحيم وجواب احمد بسم الله الرحمن الرحيم احسن
الله الينا واليك في الامور كلها وسلمنا واياك من كل سو برحمته اتاني كتابك تذكر فيه
ما يذكر من احتجاج من احتج من المرجيه واعلم رحمك الله ان الخصومه في الدين
ليس من طريق اهل السنه وان تاويل من تاول القران بلا سنه يدل على معنا ما اراد
الله منه او اثر عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك بما جا عن النبي
صلى الله عليه وسلم او عن اصحابه فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيله
وما قصه له في القران وما عني به وما اراد به اخاص هو او عام فاما من تاوله على

ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه فهذا تاويل اهل البدع
لان الاية قد تكون خاصة ويكون حكمها عاما ويكون ظاهرها على العموم وانما قصدت حكما ع
لشي بعينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله وما اراد واصحابه
اعلم بذلك منا لمشاهدتهم الامر وما اريد بذلك فقد تكون الاية خاصة اي معناها مثل
قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وظاهرها على العموم ان من وقع
عليه اسم ولد فله ما فرض الله فجاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يرث مسلم
كافرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس بالثبت الا انه عن اصحابه انهم لم يتوارثوا
فالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن الكتاب ان الاية انما قصدت
للمسلم لا الكافر ومن حملها على ظاهرها لزمه ان يورث من وقع عليه اسم الولد كافرا
كان او قاتلا وكذلك احكام المواريث من الابوين وغير ذلك مع اي ليس من ظواهر الكتاب
وانما استعملت الامة السنة من النبي صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه الا من دفع
ذلك من اهل البدع والخوارج ومن يشبههم فقد رايت الى ما خرجوا قلت
لفظ المجمل والمطلق والعام كان في اصطلاح الايمة كالشافعي واحمد وابي عبيد واسحق
وغيرهم سواء لا يريدون بالمجمل ما لا يفهم منه معنى كما فسره بعض المتاخرين واخطا به ح
في ذلك بل المجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وان كان ظاهره حقا كما في قوله خذ من تعالى ع
اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فهذه الاية ظاهرها ومعناها مفهوم ليست
مما لا يفهم المراد به بل نفس ما دلت عليه لا يكفي وحده في العمل فان المامور به صدقة
تكون مطهرة مزكية لهم وهذا انما يعرف ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال احمد يحذر المتكلم في الفقه هذين الاصلين المجمل والقياس وقال اكثر ما
يخطي الناس من جهة التاويل والقياس يريد بذلك انه لا يحكم بما يدل عليه العام
والمطلق قبل النظر فيما يخصصه ويقيده ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص
هل يدفعه فان اكثر خطا الناس تمسكهم بما يظنونه من دلالة اللفظ والقياس فالامور
الظنية لا يعمل بها حتى يبحث عن المعارض بحثا يطمين القلب اليه والا اخطا من لم
يفعل ذلك وهذا هو الواقع في المتمسكين بالظواهر والاقيسة ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر
مع الاعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه طريق اهل البدع وله في ذلك

في ذلك مصنف كبير وكذلك التمسك بالاقيسة مع الاعراض عن النصوص والاثار
طريق اهل البدع ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء قولا فاسدا وانما الصواب
من اقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم سماه عاما وهو مطلق في الاحوال يعمها على طريق البدل كما يعم
قوله فتحرير رقبة لجميع الرقاب لا يعمها كما يعم لفظ الولد للاولاد ومن اخذ
بهذا لم ياخذ بما دل عليه ظاهر لفظ القران بل اخذ بما ظهر له لما سكت عنه
القران فكان الظهور لسكوت القران عنه لا لدلالة القران على انه ظاهر فكانوا
متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول وعمدتهم عدم العلم بالنصوص
التي فيها علم بما قيد والا فكل ما بينه القران واظهره فهو حق بخلاف ما يظهر
للانسان لمعنى اخر غير نفس القران يسمى ظاهر القران كاستدلال اهل البدع
من المرجية والجهمية والخوارج والشيعة قال احمد واما من زعم ان
الايمان الاقرار فما يقول في المعرفة هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل
يحتاج ان يكون مصدقا بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار
فقد زعم انه من شيين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقرا ومصدقا بما عرف
فهو من ثلثة اشيا وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال
قولا عظيما ولا احسب احدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع
هذه الاشيا قلت احمد وابو ثور وغيرهما من الايمة كانوا قد عرفوا
اصل قول المرجية وهو ان الايمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون
ذا عدد اثنين او ثلثة فانه اذا كان له عدد امكن ذهاب بعضه وبقا بعضه
بل لا يكون الا شيا واحدا ولهذا قالت الجهمية انه شي واحد في القلب وقالت الكرامية
انه شي واحد على اللسان كل ذلك فرارا من تبعيض الايمان وتعدده فلهذا صار
يناظرونهم بما يدل على انه ليس شيا واحدا كما قلتم فابو ثور احتج بما اجتمع عليه
فقها المرجية من انه تصديق وعمل ولم يكن بلغه قول متكلميهم وجهميتهم
او لم يعد خلافهم خلافا واحمد ذكر انه لا بد من المعرفة والتصديق مع الاقرار
وان جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما فان فساد هذا القول معلوم

من دين الاسلام ولهذا لم ينتبه له احد قبل الكرامية مع ان الكرامية لا تنكر وجوب
المعرفة والتصديق ولكن يقولون لا يدخل في اسم الايمان حذرا من تبعضه وتعدده لانهم
راوا انه لا يمكن ان يذهب بعضه ويبقى بعضه بل ذلك يقتضي ان يجتمع في القلب ايمان
وكفر واعتقدوا الاجماع على نفي ذلك كما ذكر هذا الاجماع الاشعري وغيره وهذه
الشبهة التي اوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن اسلامه وايمانه ولهذا
دخل في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الامة اهل علم ودين ولهذا لم يكفر احد من السلف
احدا من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الاقوال والافعال لا من بدع العقائد
فان كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس
لاحد ان يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة الى بدع اهل
الكلام من اهل الارجاء وغيرهم والى ظهور الفسق فصار ذلك الخطا اليسير في اللفظ
سببا لخطا عظيم في العقائد والاعمال فلهذا عظم القول في ذم الارجاء حتى قال ابراهيم
النخعي لفتنتهم يعني المرجئة اخوف على هذه الامة من فتنة الازارقة وقال الزهري
ما ابتدعت في الاسلام بدعة اضر على اهله من الارجاء وقال الاوزاعي كان يحيى
ابن ابي كثير وقتادة يقولان ليس شيء من الاهواء اخوف عندهم على الامة من
الارجاء وقال شريك القاضي وذكر المرجئة فقال هم اخبث قوم حسبك بالرافضة
خبثا ولكن المرجئة يكذبون على الله وقال سفيان الثوري تركت المرجئة
الاسلام ارق من ثوب سابري وقال قتادة انما حدث الارجاء بعد فرقة
ابن الاشعث وسئل ميمون بن مهران عن كلام المرجئة فقال انا اكبر من ذلك
وقال سعيد بن جبير لذر الهمداني الا تستحيي من راي انت اكبر منه وقال
ايوب السختياني انا اكبر من دين المرجئة ان اول من تكلم في الارجاء رجل من
اهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن وقال زاذان اتينا الحسن بن محمد
فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان هو الذي اخرج كتاب المرجئة فقال
لي يا ابا عمر لوددت اني كنت مت قبل ان اخرج هذا الكتاب واجمع هذا الكتاب
فان الخطا في اسم الايمان ليس كالخطا في اسم محدث ولا كالخطا في غيره من الاسماء
اذ كانت احكام الدنيا والاخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق واحمد رحمه الله

بل يقتضي

رح

فرق

فرق بين المعرفة التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب فان تصديق اللسان
هو الاقرار وقد ذكر ثلثة اشيا وهذا يحتمل شيئين يحتمل ان يفرق بين تصديق القلب
ومعرفته وهذا قول ابن كلاب والقلانسي والاشعري واصحابه يفرقون
بين معرفة القلب وبين تصديق القلب فان تصديق القلب قوله وقول القلب عندهم
ليس هو العلم بل نوعا اخر ولهذا قال احمد هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل
يحتاج الى ان يكون مصدقا بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار
فقد زعم انه من شيئين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقرا ومصدقا بما عرف
فهو من ثلثة اشيا فان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد اتى عظيما
ولا احسب احدا يدفع المعرفة والتصديق والدين قال والايمان هو الاقرار
فالاقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان والمرجئة لم يختلفوا ان الاقرار باللسان
فيه التصديق فعلم انه اراد تصديق القلب ومعرفته مع الاقرار باللسان
الا ان يقال اراد تصديق القلب واللسان جميعا مع المعرفة والاقرار ومراده
بالاقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين فالميثاق الماخوذ على انهم يؤمنون به وينصرونه وقد امروا بهذا
وليس هذا الاقرار تصديقا فان الله لم يخبرهم بخبر بل اوجب عليهم اذا جاء
ذلك الرسول ان يؤمنوا به وينصروه هذا الاقرار والتزموه فهذا
هو اقرارهم والانسان قد يقر للرسول بمعنى انه يلتزم ما يامر به مع غير
معرفة ومن غير تصديق له بانه رسول الله لكن لم يقل احد من المرجئة ان هذا
الاقرار يكون ايمانا بل لا بد عندهم من الاقرار الخبري وهو ان يقر له بانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكما يقر المقر لمن يقر بما يقر به من الحقوق ولفظ الاقرار يتناول
الالتزام والتصديق ولا بد منهما وقد يراد بالاقرار مجرد التصديق بدون
التزام الطاعة والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الايمان وتارة يجعلون الايمان
التصديق والالتزام معا هذا هو الاقرار الذي يقول فقها المرجئة انه الايمان

الله ع

ولو قال انا اطيعه ولا اصدق انه رسول او اصدقه ولا التزم طاعته لم يكن مسلماً
ولا مومناً عندهم واحمد قال لا بد مع هذا الاقرار ان يكون مصدقاً وان يكون عارفاً
وان يكون مصدقاً بما عرف وفي رواية اخرى مصدقاً بما اقر وهذا يقتضي انه لا بد
من تصديق باطن ويحتمل ان يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعاً
كما قد ذكرنا شواهده انه يقال صدق بالقول والعمل ويكون تصديق القلب عنده يتضمن
انه مع معرفة قلبه ان رسول الله قد خضع له وانقاد فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه
محبة وتعظيماً والا فمجرد معرفة قلبه انه رسول الله مع الاعراض عن الانقياد له ولما جا
به اما حسداً واما كبراً واما لمحبة دينه الذي يخالفه واما لغير ذلك لا يكون ايماناً ولا
بد من الايمان من علم القلب وعمله فاذا جعل احمد التصديق انه مع المعرفة به صار القلب مصدقاً
لما قاله محباً له معظماً له فان هذا لا بد منه ومن دفع هذا عن ان يكون من الايمان فهو من جنس
من دفع المعرفة عن ان تكون من الايمان وهذا اشبه ان يحمل عليه كلام احمد لان وجوب
انقياد القلب مع معرفته امر ثابت بدلائل الكتاب والسنة واجماع الامة بل ذلك معلوم
بالاضطرار من دين الاسلام ومن نازع من الجهمية في انقياد القلب من الايمان فهو كمن نازع ان ح
من الكرامية في ان معرفة القلب من الايمان وحمل كلام احمد على هذا هو المناسب
لكلامه في هذا المقام وايضاً فان الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب
الخالي عن انقياده الذي يجعل قول القلب امر دقيق واكثر العقلا ينكرونه وبتقدير
صحته لا يجب على كل احد ان يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما واكثر الناس لا يتصورون
الفرق بين معرفة القلب وتصديقه ويقولون ان ما قاله ابن كلاب والاشعري
من الفرق كلام باطل لا حقيقة له وكثير من اصحابه اعترف بعدم الفرق وعمدتهم
من الحجة انما هو خبر الكاذب قالوا ففي قلبه خبر بخلاف علمه فدل على الفرق فقال المنازعون
ذلك بعد من خبره وعلمه ليس هو علماً حقيقياً ولا ما اثبتوه من قول القلب المخالف للعلم والارادة
انما يعود الى تقدير علوم وارادات لا الى جنس اخر يخالفهما ولهذا لو قال الانسان
لا يمكنه ان يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه وانما يمكنه ان يقول ذلك بلسانه واما انه يقوم
بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه فهذا غير مسلم وهذا ما استدلوا به على ان الرب تعالى لا يتصور
قيام الكذب بذاته لانه بكل شي عليم ويمتنع قيام معنى يضاد العلم بذات العالم والخبر النفساني

الكاذب

يضاد العلم فيقال لهم الخبر النفساني لو كان خلافاً للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما
يقولون مثل ذلك في مواضع كثيرة وهي من اقوى الحجج التي يحتج بها القاضي ابو بكر وموافقوه
في مسالة العقل وغيرها كالقاضي ابي يعلى وابي محمد بن اللبان وابي علي بن شاذان وابي
الطيب وابي الوليد الباجي وابي الخطاب وابن عقيل وغيرهم فيقولون العقل نوع من
العلم فانه ليس ضداً له فان لم يكن نوعاً منه كان خلافاً له ولو كان خلافاً لجاز وجوده
مع ضد العقل وهذه الحجة وان كانت ضعيفة كما ضعفها الجمهور وابو المعالي الجويني
ممن ضعفها فان ما كان مستلزماً لغيره لم يكن ضداً له اذ قد اجتمعا وليس هو من
نوعه بل هو خلاف له على هذا الاصطلاح الذي يسمون فيه كل اسمين اما ان يكونا مثلين
او خلافين او ضدين فالملزوم كالارادة مع العلم وكالعلم مع الحيوة ونحو ذلك ليس ضداً
ولا مثلاً بل هو خلاف ومع هذا فلا يجوز وجوده مع ضد اللازم لما ينافيه وجود الملزوم
بدون اللازم محال لوجود الارادة بدون العلم والعلم بدون الحيوة فهذا خلافان عندهم
ولا يجوز وجود احدهما مع ضد الاخر لذلك العلم هو مستلزم للعقل فكل عالم عاقل
والعقل شرط في العلم فليس مثلاً له ولا ضداً ولا نوعاً منه ومع هذا لا يجوز وجوده مع ضد
العقل لكن هذه الحجة يقال لهم في العلم مع كلام النفس الذي هو الخبر فانه ليس ضداً
ولا مثلاً بل خلافاً فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب فبطل تلك
الحجة على امتناع الكذب النفساني من العالم وبسط هذا له موضع اخر والمقصود
هنا ان الانسان اذا رجع الى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بان الرسول
صادق وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن انقياد وغيره من اعمال
القلب بانه صادق ثم احتج الامام احمد على ان الاعمال من الايمان بحجج كثيرة فقال
وقد سال وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال شهادة ان
لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وصوم رمضان
وان تعطوا خمساً من المغنم فجعل ذلك كله من الايمان قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الحيا شعبة من الايمان وقال اكمل المومنين ايماناً احسنهم خلقاً وقال ان
البذاذة من الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبة فادناها اماطة
الاذى عن الطريق وارفعها قول لا اله الا الله مع اشيا كثيرة منها اخرجوا من

النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة
المنافق يلمز من كثر فيه فهو منافق مع صحة كثيرة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في تارك الصلاة وعن اصحابه من بعده ثم ما وصف الله تبارك وتعالى في كتابه من زيادة الايمان في غير
موضع مثل قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
وقال ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا وقال واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا وقال فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون وقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وقال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة فخلوا سبيلهم وقال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وقال
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك
دين القيمة قال احمد ويلزمه ان يقول هو مومن باقراره وان اقر بالزكاة في الجملة ولم يجد
في كل مايتي خمسة انه مومن فيلزمه ان يقول اذا اقر ثم شد الزنار في وسطه وصلى للصليب
واتى الكنايس والبيع وعمل الكباير كلها الا انه في ذلك مقر بالله فيلزمه ان يكون عنده مومنا
وهذه الاشيا من اشنع ما يلزمهم قلت هذا الذي ذكره احمد من احسن ما احتج به الناس
عليهم جمع في ذلك جملا يقول غيره بعضها وهذا الالتزام ما حيد لهم عنه ولهذا لما
عرف متكلمهم مثل جهم ومن وافقه انه لازم التزموه وقالوا لو فعل ما فعل من الافعال الظاهرة لم
يكن بذلك كافرا في الباطن لكن يكون دليلا على الكفر في احكام الدنيا فاذا احتج عليهم بنصوص تقتضي
انه يكون كافرا في الاخرة قالوا فهذه النصوص تدل على انه في الباطن ليس معه من معرفة
الله شي فانها عندهم شي واحد فخالفوا صريح العقل وصريح الشرع وهذا القول مع
فساده عقلا وشرعا ومع كونه عند المحققين سببا ثانيا فانهم جعلوا الايمان شيا واحدا
لا حقيقة له كما قالت الجهمية ومن وافقهم مثل ذلك في وحدة الرب انه ذات بلا صفات
وقالوا ان القران مخلوق وانه لا يرى في الاخرة وما يقوله من وحدة الكلام وغيره من
الصفات فقولهم في الرب وصفاته وكلامه والايمان يرجع الى تعطيل محض وهذا
وقد وقع فيه طوايف كثيرة من المتاخرين المنتسبين الى السنة والحديث والفقه
المتبعين للايمة الاربعة المتعصبين للجهمية والمعتزلة وللمرجية ايضا لكن بعدم معرفتهم

ملجم

بالحقايق

بالحقايق التي نشات منها البدع يجمعون بين الضدين ولكن من رحمة الله بعباده
المسلمين ان الايمة الذين لهم في الامة لسان صدق مثل الايمة الاربعة وغيرهم كمالك والثوري
والاوزاعي والليث بن سعد وكالشافعي واحمد واسحق وابي عبيد وابي حنيفة وابي
يوسف ومحمد كانوا ينكرون على اهل الكلام من الجهمية قولهم في القران والايمان
وفي صفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من ان الله يرى في الاخرة وان
القران كلام الله غير مخلوق وان الايمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم
الله ورسوله كان كافرا باطنا وظاهرا عندهم كلهم ومن كان موافقا لقول جهم في الايمان بسبب
انتصار ابي الحسن لقوله في الايمان يبقى تارة يقول بقول السلف والايمة وتارة يقول
بقول المتكلمين الموافقين لجهم حتى في مسالة سب الله ورسوله رايت طايفة من
الحنبليين والشافعيين والمالكيين اذا تكلموا بكلام الايمة قالوا هذا كافر باطنا وظاهرا
واذا تكلموا بكلام اوليك قالوا هذا كفر في الظاهر وهو في الباطن يجوز ان يكون مومنا
تام الايمان فان الايمان عندهم لا يتبعض ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض
اصحابه انكره ونصر قول ما الذي اهل السنة واحسن في ذلك وقد ذكرت بعض
ما يتعلق بهذا في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ولان التحدم في مسايل
الايمان يذكرون اقوال الايمة والسلف ويبحثون بحثا يناسب قول الجهمية
لان البحث اخذوه من كتب اهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسالة الايمان والرازي
لما صنف مناقب الشافعي ذكر قوله في الايمان وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين
وقد ذكر الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيه استشكل قول الشافعي
جدا لانه كان قد انعقد في نفسه شبهة اهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة
والجهمية والكرامية وساير المرجية وهو ان الشي المركب اذا زال بعض اجزايه
لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم والجواب عما ذكره هو سهل
فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها
زوال ساير الاجزا والشافعي مع الصحابة والتابعين وساير السلف يقولون ان الذنب
يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هولاء فذلك المجموع الذي هو الايمان
لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما اصله واما اكثره واما غير ذلك فيعود

ان م

الجهمية

الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجية تنفر من لفظ النقص اعظم
من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا
عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو عندهم واحد لا يقبل
التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية
صفاته عند من اثبتها منهم ومن العجب ان الاصل الذي اوقعهم في هذا اعتقادهم انه
لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر او ما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان
هذا متفق عليه من المسلمين كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره فلاجل اعتقادهم هذا
الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد
من الايمة وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظاير متعددة
يقول الانسان قولا مخالفا النص والاجماع القديم حقيقة ويكون معتقدا انه متمسك
بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يثيبه على ما اطاع الله فيه
من الاجتهاد ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن وهم لما توهموا ان
الايمان الواجب على جميع الناس نوع واحد صار بعضهم يظن ان ذلك النوع من حيث
هو لا يقبل التفاضل فقال ابو معمر وغيره بعضهم الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان
فقلت له قولك من حيث هو كما يقول الانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان
والوجود من حيث هو وجود والسواد من حيث هو سواد وامثال ذلك لا يقبل الزيادة
والنقصان فتثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا
لا حقيقة له في الخارج وانما هو شي يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما
ولا حادثا ولا قايما بنفسه ولا بغيره ويقدر انسانا لا موجودا ولا معدوما ويقول الماهية
من حيث هي لا توصف بوجود ولا عدم والماهية من حيث هي شي يقدره الذهن وذلك
موجود في الذهن لا في الخارج واما تقدير شي لا يكون في الذهن ولا في الخارج فممتنع وهذا
التقدير لا يكون الا في الذهن كسائر تقدير الامور الممتنعة مثل تقدير صدور العالم عن صانعين
وتحو ذلك فان هذه المقدرات في الذهن فهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مومن بل هو مجرد عن
كل قيد وتقدير انسان لا يكون موجودا ولا معدوما بل ما ثم ايمان الا مع المومنين ولا انسانية الا
ما اتصف بها الانسان فلكل انسان له انسانية تخصه ولكل مومن له ايمان يخصه فانسانية زيد

تسبيب

انسانية عمرو وليست هي هي واذا اشتركوا في نوع الانسانية فمعنى ذلك انهما
يشتبهان فيما يوجد في الخارج ويشتركان في امر كلي مطلق يكون في الذهن وكذلك اذا
قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايمان كل واحد يخصه فلو قدر ان الايمانين متماثلان لكان لكل
مومن ايمان يخصه وذلك الايمان مختص معين ليس هو الايمان من حيث هو هو بل هو ايمان معين
وذلك الايمان يقبل الزيادة والذين يمنعون التفاضل في هذه الامور يتصورون في انفسهم
ايمانا مطلقا وانسانا مطلقا او وجودا مطلقا مجردا عن جميع الصفات المعينة لهم
يظنون ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد
اذ هو تصور معين قايم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هولاء ان الامور المشتركة في
شي واحد هي واحدة بالشخص والعين حتى انتهى الامر بطايفة من علمايهم علما وعبادة الى ان
جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا
هذا في انفسهم فظنوه في الخارج كما هو في انفسهم ثم ظنوا انه الله فجعلوا الرب هو هذا
الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج وهكذا كثير من الفلاسفة
تصوروا اعدادا مجردة وحقايق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا
عن الحركة والمتحرك وبعدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج
وهولاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان بما في الاعيان ثم هولاء قد يجعلون الواحد اثنين
والاثنين واحدا فتارة يجيون الى الامور المتعددة المتفاضلة في الخارج فيجعلونها واحدة
او متماثلة وتارة يجيون الى ما في الخارج من الحيوان والمكان والزمان فيجعلون الواحد
اثنين والمتفلسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا فجاوا الى صفات الرب التي هي انه
عالم وقادر فجعلوا هذه الصفة هي عين الاخرى وجعلوا الصفة هي الموصوف وهكذا القايلون
بان الايمان شي واحد وانه متماثل في بني ادم غلطوا في كونه واحدا وفي كونه متماثلا كما غلطوا في امثال
ذلك من مسايل التوحيد والصفات والقران ونحو ذلك فكان غلط جهم واتباعه في الايمان كغلطهم
في الرب الذي يومن به المومنون وفي كلامه وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف بل عامة الصفات
التي يتصف بها الموصوفون تقبل التفاضل ولهذا كان العقل يقبل التفاضل والايجاب والتحريم
يقبل التفاضل فيكون ايجاب وتحريم اقوى من تحريم وكذلك المعرفة التي في القلوب

فصل التفاضل على الصحيح عند أهل السنة وفي هذا كله نزاع وطائفة من المنتسبين
إلى السنة ينكر التفاضل في هذا كله كما يختار ذلك القاضي أبو بكر وابن عقيل
وغيرهما وقد حكي عن أحمد في التفاضل في المعرفة روايتان وإنكار التفاضل
في هذه الصفات هو من أصل قول المرجئة ولكن يقوله من يخالف المرجئة ويقول جنس ؟
يقولون التفاضل إنما هو في الأعمال وأما الإيمان الذي في القلوب فلا يتفاضل وليس الأمر
كما قالوه بل جميع ذلك يتفاضل وقد يقولون إن عمل القلب يتفاضل بخلاف معارف
القلوب وليس الأمر كذلك بل إيمان القلوب يتفاضل من جهة ما وجب على هذا ومن
لا يستوون في الوجوب فأمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن وجب عليهم جميعهم
الإيمان بعد استقرار الشرع فوجوب الإيمان بالشيء المعين موقوف على أن يبلغ العبد إن
كان خبرا وعلى أن يحتاج إلى العمل به إن كان عملا وإلا فلا يجب على كل مسلم أن يعرف كل
خبر وكل أمر في الكتاب والسنة ويعرف معناه فإن هذا لا يقدر أحد عليه فالوجوب
ما يتنوع الناس فيه ثم قدرهم في أداء الواجب متفاوتة ثم نفس المعرفة تختلف
بالإجمال والتفصيل والقوة والضعف ودوام الحضور مع الغفلة فليست المفصلة المستحضرة
الثابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت كالمجملة التي غفل عنها وإذا حصل له ما يريبه
فيها وذكر ما في قلبه ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل محبة الله ورسوله وخشية الله
والتوكل عليه والصبر على حكمه والشكر له والإنابة إليه وإخلاص العمل له مما يتفاضل
الناس فيها تفاضلا لا يعرف قدره إلا الله تعالى ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو إما
جاهل لم يتصوره وإما معاند قال الإمام أحمد قال زعموا أنهم لا يقبلون زيادة
الإيمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته وأنها غير محدودة فما تقولون في أنبياء الله
وكتبه ورسله هل يقرون بهم في الجملة ويزعمون أنه من الإيمان فإذا قالوا نعم قيل لهم
تحدونهم وتعرفون عددهم أليس إنما يصيرون في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة ثم يكفون
عن عددهم فكذلك زيادة الإيمان ويعني أحمد أنكم لم تعرفوا منتهى زيادته لا يمنعكم من
الإقرار بها في الجملة كما أنهم يؤمنون بالأنبياء والكتب وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسل
وهذا الذي ذكره أحمد وذكره محمد بن نصر وغيرهما بين أنهم لم يعلموا عدد الكتب
والرسل وأن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم وأما قول من سوى بين الإيمان والإسلام

تعالى

تعالى إن الله سمى الإيمان بما سمى الإسلام وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان فليس كذلك فإن الله ورسوله قد
فسر الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبين أيضا أن العمل
بما أمر يدخل في الإيمان ولم يسم الله الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
إسلاما بل إنما سمى الإسلام الاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به
كالصلاة والزكاة خالصا لوجهه فهذا هو الذي سماه الله إسلاما وجعله دينا وقال
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وأما ما يدخل فيما خص به الإيمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله بل ولا أعمال القلوب مثل حب الله ورسوله ونحو ذلك فإن هذه جعلها من الإيمان
والمسلم المؤمن يتصف بها وليس إذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الإسلام
بل هي من الإيمان والإسلام فرض والإيمان فرض والإسلام داخل فيه فمن أتى بالإيمان الذي أمر به
فلا بد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة ومن أتى بما يسمى إسلاما لم يلزم أن
يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل كما علم أن من أثنى الله عليه بالإسلام من الأنبياء وأتباعهم إلى
الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين كما قال الحواريون آمنا بالله واشهد بأنا
مسلمون وقال وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا
مسلمون ولهذا أمرنا الله بهذا في خطاب واحد كما قال قولوا آمنا بالله وما بعلم ح
أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى
وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
وقال في الآية الأخرى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود وهو خاسر
في الآخرة فيقتضي وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى
الإيمان بل أمرنا أن نقول آمنا بالله وأمرنا أن نقول ونحن له مسلمون فأمرنا بهما فكيف
نجعلهما واحدا وإذا جعلوا الإسلام والإيمان شيئا واحدا فإما أن يقولوا اللفظ مترادف
فيكون هذا تكريرا محضا ثم مدلول هذا اللفظ غير مدلول هذا اللفظ وإما أن يقولوا إن أحد
اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وكتابه لكن هذا لا يقتضي الأمر واسماء
بهما جميعا لكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف فلا يقول قائل قد

وفرض الله عليك الصلوات الخمس والصلاة المكتوبة وهذا هو العطف بالصفات يكون اذا
قصد بيان الصفات لما فيها من المدح او الذم كقوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى والذي قدر فهدى لا يقال صل الرب الاعلى والرب الذي خلق فسوى قال محمد
ابن نصر المروزي رحمه الله تعالى فعند من الله في كتابه وسنة رسوله ان الاسلام
والايمان يفترقان فمن صدق بالله فقد امن بالله ومن امن بالله فقد خضع له وقد اسلم
له ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الايمان والاسلام المفترض
عليه ومن ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الايمان ولا الاسلام الا انه انقص من غيره
في الاسلام والايمان من غير نقصان من الاقرار بان الله حق باطل وصدق لا كذب ولكن وماقال ح
ينقص من الايمان الذي هو تعظيم الله وخضوع للهيبة والجلال والطاعة للمصدق
به وهو الله فمن ذلك يكون النقصان لا من اقرارهم بان الله حق وما قاله صدق فقال ما
ذكره يدل على ان من اتى بالعمل الواجب فقد اتى بالاسلام وهذا حق لكن ليس فيه ما
يدل على ان من اتى بالاسلام الواجب فقد اتى بالايمان فقوله من امن بالله فقد خضع له لله ح
وقد استسلم له حق لكن اي شيء في هذا يدل على ان من اسلم وخضع له فقد امن به وبملائكته
وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وقوله ان الله ورسوله قد بين ان الاسلام والايمان لا
يفترقان ان اراد انه اوجبهما جميعا ونهى عن التفريق بينهما فهذا حق وان اراد ان الله
جعل مسمى هذا مسمى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك وما ذكر قط نصا
واحدا يدل على اتفاق المسميين لكن قوله من فعل ما امر به وانتهى عما نهى عنه
فقد استكمل الايمان والاسلام فهذا صحيح اذا فعل ما امر به باطنا وظاهرا ويكون قد استكمل
الايمان والاسلام الواجب عليه ولا يلزم من ذلك ان يكون ايمانه واسلامه مساويا لايمان واسلام
الذي فعله اولوا العزم من الرسل كالخليل ابراهيم ومحمد خاتم النبيين عليهما الصلاة
والسلام لكان معه من الايمان والاسلام ما لا يقدر عليه ولم يؤمر به وقوله من ترك
من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الاسلام والايمان الا انه انقص من غيره في ذلك فيقال
ان اريد بذلك انه بقي معه شيء من الاسلام والايمان فهذا حق كما دلت عليه النصوص
خلافا للخوارج والمعتزلة وان اراد انه يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق
الثناء والوعد بالجنة فهذا خلاف الكتاب والسنة ولو كان كذلك لدخلوا في قوله وعد

الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار وامثال ذلك مما وعد فيه
بالجنة بلا عذاب وايضا فصاحب الشرع قد نفى عنهم الاسم في غير موضع بل قال
قتال المؤمن كفر ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض واذا احتج بقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ونحو ذلك قيل لهؤلاء انما سموا به مع التقييد بانهم
فعلوا هذه الامور ليذكر ما يؤمرون به هم وما يؤمر به غيرهم وكذلك قوله
لا يكون النقصان من اقرارهم بان الله حق وما قاله صدق فيقال بل النقصان ما ر
يكون في الايمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن علمهم فلا تكون معرفتهم وتصديقهم عملهم
بالله واسمائه وصفاته وما قاله من امر ونهي ووعد ووعيد كمعرفة غيرهم وتصديقه
لا من جهة الاجمال والتفصيل ولا من جهة القوة والضعف ولا من جهة الذكر والغفلة وهذه
الامور كلها داخلة في الايمان بالله وبما ارسل به رسوله وكيف يكون الايمان بالله واسمائه
وصفاته متماثلا في القلوب ام كيف يكون الايمان بانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه
غفور رحيم عزيز حكيم شديد العقاب ليس هو من الايمان به فلا يمكن مسلما ان يقول
ان الايمان بذلك ليس من الايمان به ولا انه لا يتماثل الناس فيه واما ما ذكره من ان الاسلام
ينقص كما ينقص الايمان فهذا ايضا حق كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة فان من نقص
من الصلاة او الزكاة او الصوم او الحج شيئا فقد نقص من اسلامه بحسب ذلك ومن
قال ان الاسلام هو الكلمة فقط واراد بذلك انه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطا ورد الذين
جعلوا الاسلام والايمان سواء انما يتوجه على هؤلاء فان قولهم في الاسلام يشبه قول
المرجئة في الايمان ولهذا صار الناس في الاسلام والايمان على ثلاثة اقوال فالمرجئة يقولون
الاسلام افضل فانه يدخل فيه الايمان واخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة
والخوارج وطائفة من اهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك
والقول الثالث ان الايمان اكمل وافضل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة
في غير موضع وهو الماثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ثم هؤلاء منهم من
يقول الاسلام مجرد القول والاعمال ليست من الاسلام والصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة
كلها واحمد انما منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو الكلمة هكذا نقل الاثرم والميموني
وغيرهما عنه واما على جوابه الاخر الذي لم يجز فيه قول من قال الاسلام الكلمة فيستثني

في الاسلام كما يستثنى في الايمان فان الانسان لا يجزم بانه قد فعل كل ما امر به من الاسلام واذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وبني الاسلام على
خمس فجزمه بانه فعل الخمس بلا نقص كما امر كجزمه بايمانه وقد قال تعالى ادخلوا
في السلم كافة اي في الاسلام كافة اي في جميع شرائع الاسلام وتعليل احمد وغيره من
السلف ما ذكروه في اسم الايمان يجيء في اسم الاسلام فاذا اريد بالاسلام الكلمة فلا استثنا فيه
كما نص عليه احمد وغيره واذا اريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثنا فيه
كالاستثنا في الايمان ولما كان كل من اتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود والنصارى
يجري عليه احكام الاسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثنا
فيه فلهذا قال الزهري الاسلام الكلمة وعلى ذلك وافقه احمد وغيره وحين وافقه
لم يرد ان الاسلام الواجب هو الكلمة وحدها فان الزهري اجل من ان يخفى عليه ذلك
ولهذا لم يجب بهذا في جوابه الثاني خوفا من ان يظن ان الاسلام ليس هو الا الكلمة احمد
ولهذا لما قال الاثرم لاحمد فاذا قال انا مسلم فلا يستثني قال نعم لا يستثني اذا قال انا مسلم
قال فقلت له اقول هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده وانا اعلم انه لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري قال
فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل فبين احمد ان الاسلام اذا كان هو الكلمة فلا استثناء الكلمة
فيها فحيث كان هو المفهوم من لفظ الاسلام فلا استثنا فيه ولو اريد بالايمان هذا كما اريد
ذلك في مثل قوله تحرير رقبة مومنة فانما اريد بها من اظهر الاسلام فان الايمان الذي علقت
به احكام الدنيا هو الايمان الظاهر وهو الاسلام فالمسمى واحد في الاحكام الظاهرة ولهذا
لما ذكر الاثرم لاحمد احتجاج المرجية بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مومنة
اجابه بان المراد حكمها في الدنيا حكم المومنة لم يرد انها مومنة عند الله تستحق دخول
الجنة بلا نار اذا لقيته بمجرد هذا الاقرار وهذا هو المومن المطلق في كتاب الله وهو
الموعود بالجنة بلا نار اذا مات على ايمانه ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف
يلزمون من شهد لنفسه بالايمان ان يشهد لها بالجنة يعنون اذا مات على ذلك
فانه قد عرف ان الجنة لا يدخلها الا من مات مومنا فاذا قال الانسان انا مومن قطعا
وانا مومن عند الله قيل له فاقطع بانك تدخل الجنة بلا عذاب اذا مت على هذه الحال

فان الله تعالى اخبر ان المومنين في الجنة وانكر احمد حديث ابن عميرة ان عبد الله
رجع عن الاستثنا فان ابن مسعود لما قيل له ان قوما يقولون انا مومنون فقال
افلا سالتموهم افي الجنة هم وفي رواية افلا قالوا نحن اهل الجنة وفي رواية قيل له ان هذا
يزعم انه مومن قال فسلوه افي الجنة هو او في النار فسالوه فقال الله اعلم فقال له عبد الله
افلا وكلت الاولى كما وكلت الثانية من قال انا مومن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو
جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار يروى عن عمر بن الخطاب من وجوه مرسلا
من حديث قتادة ونعيم بن ابي هند وغيرهما والسؤال الذي يورده المرجية على
ابن مسعود ويقولون ان يزيد بن عميرة اورده عليه حتى رجع جعل هذا ان الانسان
يعلم حاله الان وما يدري ماذا يموت عليه ولهذا السؤال صار طايفة كثيرة يقولون
المومن هو من سبق علم الله تعالى انه يختم له بالايمان والكافر من سبق في علم الله انه كافر
وانه لا اعتبار بما كان قبل ذلك وعلى هذا يجعلون الاستثنا وهذا احد قولي الناس من اصحاب
احمد وغيرهم وهو قول ابي الحسن واصحابه لكن احمد وغيره من السلف لم
يكن هذا مقصودهم وانما مقصودهم ان الايمان المطلق يتضمن فعل المامورات فقوله
انا مومن كقوله انا ولي لله وانا مومن تقي وانا من الابرار ونحو ذلك وابن مسعود رضي
الله عنه لم يكن يخفى عليه ان الجنة لا يدخلها الا من مات مومنا وان الانسان لا يعلم على
ماذا يموت فان ابن مسعود اجل قدرا من هذا وانما اراد سلوه هل هو في الجنة ان مات
على هذه الحال كانه قال سلوه ايكون من اهل الجنة على هذه الحال فلما قال الله ورسوله اعلم
قال فهلا وكلت الاولى كما وكلت الثانية يقول هذا التوقف يدل على انك لا تشهد لنفسك
بفعل الواجبات وترك المحرمات فانه من شهد لنفسه بذلك شهد لنفسه انه
من اهل الجنة ان مات على ذلك ولهذا صار الذين يرون الاستثنا لاجل الحال الحاضر بل
للموافاة لا يقطعون بان الله يقبل توبة تايب كما لا يقطعون بان الله يعاقب مذنبا فانهم
لو قطعوا بقبول توبته لزمهم ان يقطعوا له بالجنة وهم لا يقطعون لاحد من اهل القبلة بالجنة
الا ان من قطع له النص واذا قيل الجنة هي لمن اتى بالتوبة النصوح من جميع السيئات قالوا
ولو مات على هذه التوبة لم يقطع له بالجنة وهم لا يستثنون في الاحوال بل يجزمون بان
المومن مومن تام الايمان ولكن عندهم الايمان عند الله هو ما يوافي به فمن قطعوا له بانه مات

مومنا الا ذنبا قطعوا له بالجنة فلهذا لا يقطعون بقبول التوبة لئلا يلزمهم ان
يقطعوا بالجنة واما ايمة السلف فانما لم يقطعوا بالجنة لانهم لا يقطعون بانه فعل
المامور وترك المحظور ولانه اتى بالتوبة النصوح والا فهم يقطعون بان من تاب
توبة نصوحا قبل الله توبته وجماع الامر ان الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب
الاحكام المتعلقة به فلا يجب اذا اثبت او نفي في حكم ان يكون كذلك في ساير
الاحكام وهذا في كلام العرب وساير الامم لان المعنى مفهوم مثال ذلك المنافقون
قد يجعلون من المومنين في موضع وفي موضع اخر يقال ما هم منهم قال الله تعالى قد يعلم
الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جا
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك
على الله يسيرا فهنالك جعل من المنافقين الخايفين من العدو والناكلين عن الجهاد والناهين
لغيرهم الذامين للمومنين منهم وقال في اية اخرى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم
منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون
وهولاء ذنبهم اخف فانهم لم يوذوا المومنين لا بنهي ولا سلق بالسنة حداد ولكن حلفوا
بالله انهم من المومنين في الباطن بقلوبهم والا فقد علم المومنون انهم منهم في الظاهر
فكذبهم الله وقال وما هم منكم وهناك قال قد يعلم الله المعوقين منكم فالخطاب
لمن كان في الظاهر مسلما مومنا فان منكم لمن هو بهذه الصفة وليس مومنا بل احبط
الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن ولهذا لما استوذن النبي صلى الله عليه وسلم
في قتل بعض المنافقين قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانهم من اصحابه
في الظاهر عند من لا يعرف حقايق الامور واصحابه الذين هم اصحابه ليس فيهم منافق
كالذين علموا سنته الناس وبلغوها اليهم وقاتلوا المرتدين بعد موته والذين بايعوه
تحت الشجرة واهل بدر وغيرهم بل الذين كانوا امنا فمن عمن بهم الناس ولذلك الانساب
مثل كون الانسان ابا او اخا يثبت في بعض الاحكام دون بعض فانه قد ثبت في
الصحيح انه لما اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة بن الاسود
وابن وليدة زمعة وكان عتبة بن ابي وقاص قد فجر بها في الجاهلية وولدت منه ولدا

فقال عتبة لاخيه سعد اذا قدمت مكة فانظر ابن وليدة زمعة فانه ابني فاختصم فيه
هو وعبد بن زمعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ابن اخي عتبة
عهد الي اخي عتبة فيه اذا قدمت مكة انظر ابن وليدة زمعة فانه ابني الا ترى
يا رسول الله شبهه بعتبة فقال عبد يا رسول الله اخي وابن وليدة ابي ولد على
فراش ابي فراى النبي صلى الله عليه وسلم شبها بينا بعتبة فقال هو لك يا عبد بن زمعة
الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة لما راى من شبهه البين
بعتبة فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم ابن زمعة لانه ولد على فراشه وجعله اخا لولده
بقوله فهو لك يا عبد بن زمعة وقد صارت سودة اخته يرثها وترثه لانه ابن ابيها
زمعة ولد على فراشه ومع هذا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تحتجب منه لما راى
من شبهه البين بعتبة فانه قام فيه دليلان متعارضان الفراش والشبه والنسب
في الظاهر لصاحب الفراش لان الفراش اقوى ولانها امر ظاهر مباح والفجور امر باطن لا يعلم
ويجب ستره لا اظهاره كما قال وللعاهر الحجر كما يقال بفيك الكثكث وبفيك الاثلب اي عليك
ان تسكت عن اظهار الفجور فان الله يبغض ذلك ولما كان احتجابها منه ممكنا من
غير ضرر امرها بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على انه ليس اخاها في الباطن فتبين
ان الاسم الواحد ينفى في حكم ويثبت في حكم فهو اخ في الميراث وليس باخ في المحرمية
وكذلك ولد الزنا عند بعض العلما وابن الملاعنة عند الجميع الا من شذ ليس بولد في
الميراث ونحوه وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية ولفظ النكاح وغيره في الامر
يتناول الكامل وهو العقد والوطي كما في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله حتى
تنكح زوجا غيره وفي النهي يعم الناقص والكامل فينهى عن العقد مفردا وان لم
يكن وطي لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وهذا لان الامر مقصوده تحصيل
المصلحة وتحصيل المصلحة انما يكون بالدخول كما لو قال اشتر لي طعاما فالمقصود ما
يحصل الا بالشري والقبض والناهي مقصوده دفع المفسدة فيدفع كل جزء منه
لان وجوده مفسدة وكذلك النسب والميراث معلق بالكامل منه والتحريم معلق
بادنى سبب حتى الرضاع وكذلك كل ما يكون له مبتدا وكمال ينفى تارة باعتبار انتفا
كماله ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبداه فلفظ الرجال يعم الذكور وان كانوا صغارا في مثل

قوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ولا يعم الصغار في مثل قوله
الا المستضعفين من الرجال والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها فان باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه فلو اقتصر على
ذكر المستضعفين من الرجال لظن ان الولدان غير داخلين لانهم ليسوا من اهله وهم
ضعفا فذكرهم بالاسم الخاص ليس عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد ولذلك الايمان
له مبدا وكمال وظاهر وباطن فاذا علقت به الاحكام الدنيوية من الحقوق والحدود
كحقن الدم والمال والمواريث والعقوبات الدنيوية علقت بظاهره لا يمكن غير ذلك اذ
تعليق ذلك بالباطن متعذر وان قدر احيانا فهو متعسر علما وقدرة فلا يعلم ذلك علما يثبت
به في الظاهر ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن وبهذين السببين كان النبي صلى الله عليه
وسلم يمتنع من عقوبة المنافقين فان فيهم من لم يكن يعرفهم كما اخبر الله تعالى بذلك والذين كان يعرفهم
لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ولقال الناس ان محمدا يقتل اصحابه فكان يحصل نفور
عن الاسلام اذ لم يكن الذنب ظاهرا يشترك الناس في معرفته ولما هم بعقوبة من يتخلف
عن الصلاة منعه من في البيوت من النساء والذرية واما مبداه فيتعلق به خطاب
الامر والنهي فاذا قال الله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اذا نودي للصلاة ونحو
ذلك فهو امر في الظاهر لكل من اظهره وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه
انه مصدق للرسول وان كان عاصيا وان كان لم يقم بالواجبات الباطنة والظاهرة
ودلالته ان كان لفظ الذين امنوا يتناولهم فهذا الكلام وان كان لم يتناولهم فذا الذنوب بهم فلا
يكون ذنوبهم مانعة من امرهم بالحسنات التي ان فعلوها كانت سبب رحمتهم وان
تركوها كان امرهم بها وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الايمان والكافر يجب عليه ايضا لكن
لا يصح منه حتى يومن وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في الباطن حتى يومن واما من كان
معه اول الايمان فهذا يصح منه لان معه اقراره في الباطن بوجوب ما اوجبه الرسول
وتحريم ما حرمه وهذا سبب الصحة واما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة
والسلامة من النار فان هذا الوعد انما هو لمن فعل المامور وترك المحظور ومن فعل بعضا
وترك بعضا فيثاب على ما فعله ويعاقب على ما تركه فلا يدخل في هذا اسم المومن المستحق
للحمد والثنا دون الذم والعقاب ومن نفى عنه الرسول الايمان فنفى الايمان وهذا

الحكم

الحكم انه ذكر ذلك على سبيل الوعيد والوعيد انما يكون بنفي ما يقتضي الثواب ويدفع
العقاب ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الايمان عن اصحاب الذنوب فانما هو في
خطاب الوعيد والذم لا في خطاب الامر والنهي ولا في احكام الدنيا واسم الاسلام والايمان والاحسان
هي اسما ممدوحة مرغوب فيها لحسن العاقبة لاهلها فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان
العاقبة الحسنة هي لمن اتصف بها على الوجه الذي بينه ولهذا كان من نفى عنهم
الايمان او الاسلام جميعا ولم يجعلهم كفارا انما نفى ذلك في احكام الاخرة
وهو الثواب لم ينفه في احكام الدنيا لكن المعتزلة ظنت انه اذا انتفى الاسم
انتفت جميع اجزايه فلم يجعلوا معهم شيا من الايمان والاسلام فجعلوهم مخلدين
في النار في الاخرة وهذا خلاف الكتاب والسنة واجماع السلف ولو لم يكن معهم شي من
الايمان والاسلام لم يثبت في حقهم شي من احكام المومنين والمسلمين لكن كانوا كالمنافقين
وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع التفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن
وبين المومن المذنب فالمعتزلة سووا بين اهل الذنوب وبين المنافقين في احكام الدنيا
والاخرة في نفي الاسلام والايمان عنهم بل قد يثبتونه للمنافق ظاهرا وينفونه عن المذنب
باطنا وظاهرا وهذا خطا فان قيل فاذا كان كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا الايمان
الكامل كما دل عليه حديث جبريل وغيره من الاحاديث مع القران وكما ذكر ذلك
عمن ذكر عنه من السلف لان الاسلام الطاعات الظاهرة وهو الاستسلام
والانقياد لان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والانقياد وهذا هو الانقياد والطاعة
والايمان فيه معنى التصديق والطمانينة وهذا قدر زايد فما تقولون فيمن فعل
ما امر الله وترك ما نهى الله عنه مخلصا لله تعالى باطنا وظاهرا اليس هذا مسلما باطنا
وظاهرا وهو من اهل الجنة واذا كان كذلك فالجنة لا يدخلها الا نفس مومنة فهذا يجب
ان يكون مومنا قلنا قد ذكرنا غير مرة انه لا بد ان يكون معه الايمان الذي وجب عليه اذ
لو لم يود الواجب لكان معرضا للوعيد لكن قد يكون من الايمان ما لا يجب عليه اما لكونه
لم يخاطب به او لكونه كان عاجزا عنه وهذا ونحوه لان الايمان الموصوف في حديث جبريل
والاسلام ايضا لم يكونا واجبين في اول الاسلام بل ولا وجبا على من تقدم قبلنا من الامم اتباع
الانبيا اهل الجنة مع انهم مومنون مسلمون ومع ان الاسلام دين الله الذي لا يقبل دينا

غيره وهو دين الله من الاولين والاخرين ان الاسلام عبادة الله وحده لا شريك له بما
امر فقد تتنوع اوامره في الشريعة الواحدة فضلا عن الشرايع فيصير في الاسلام
بعض الايمان بما يخرج عنه في وقت اخر كالصلاة الى الصخرة كان من الاسلام حين كان
الله امر به ثم خرج من الاسلام لما نهى الله عنه ومعلوم ان الخمس المذكورة في
حديث جبريل لم تجب في اول الامر الصيام والحج وفرايض الزكاة انما وجبت بالمدينة
والصلوات الخمس انما وجبت ليلة المعراج وكثير من الاحاديث ليس فيها ذكر الحج لتاخر
وجوبه الى سنة تسع او عشر على اصح القولين ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
كان من اسعه وامن به مومنا مسلما واذا مات كان من اهل الجنة ثم انه بعد هذا زاد بما جاء
الايمان والاسلام حتى قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واذا كان الايمان فان هذا الايمان
المفصل الذي ذكره في حديث جبريل لم يكن مامورا به في اول الامر لما انزل الله سورة
العلق والمدثر بل انما جا هذا في السور المدنية كالبقرة والنسا واذا كان ذلك لم يلزم
ان يكون هذا الايمان المفصل واجبا على من تقدم قبلنا واذا كان كذلك فقد يكون
الرجل مسلما يعبد الله وحده لا يشرك به شيا ومعه الايمان الذي فرض عليه وهو
من اهل الجنة وليس معه هذا الايمان المذكور في حديث جبريل لكن هذا يقال
معه ما امتاز الايمان والاسلام وقد يكون مسلما يعبد الله كما امر ولا يعبد غيره
ويخافه ويرجوه ولكن لم يخلص الى قلبه ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما ولا ان يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله احب اليه من جميع اهله وماله
وان يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان يخاف الله لا يخاف غيره وان لا يتوكل الا على الله وهذه
كلها من الايمان الواجب وليست من لوازم الاسلام فان الاسلام هو الاستسلام
وهو يتضمن الخضوع لله وحده والانقياد له والعبودية لله وحده وهذا قد يتضمن
خوفه ورجاه واما طمانينة القلب بمحبته وحده وان يكون احب اليه مما سواهما بالتوكل
عليه وحده وان يحب لاخيه المومن ما يحب لنفسه فهذه من حقايق الايمان التي تختص
من لم يتصف بها لم يكن من المومنين حقا وان كان مسلما وكذلك وجل قلبه اذا ذكر الله
وكذلك زيادة الايمان اذا تليت عليه اياته فان قيل ففوات هذا الايمان من الذنوب ام لا
قيل اذا لم يبلغ الانسان الخطاب الواجب لذلك لم يكن تركه من الذنوب واما ان

بلغه الخطاب الموجب لذلك فلم يعمل به كان تركه من الذنوب وكان قادرا على ذلك
وكثير من الناس واكثرهم ليس عندهم هذه التفاصيل التي تدخل في الايمان مع انهم
قايمون بالطاعة الواجبة في الاسلام واذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا
منها وحقايق الايمان التي في القلوب لا يعرفون وجوبها بل ولا انها من الايمان بل كثير ممن
يعرفها منهم يظن انها من النوافل المستحبة ان صدق بوجودها فالاسلام يتناول
من اظهر الاسلام وليس معه شي من الايمان وهو المنافق المحض ويتناول من اظهر الاسلام
مع التصديق المجمل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا وهم الفساق
يكون في احدهم شعبة نفاق ويتناول من اتى بالاسلام الواجب وما يلزمه من الايمان
ولم يات بتمام الايمان الواجب وهولاء ليسوا فساقا تاركين فريضة ظاهرة ولا مرتكبين
محرما ظاهرا لكن تركوا من حقايق الايمان الواجبة علما وعملا بالقلب يتبعه بعض الجوارح
ما كانوا به مذمومين وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم فان صاحبه
قد يكون فيه شعبة نفاق وبعد هذا ما ميز الله به المقربين على الابرار اصحاب اليمين
من الايمان وتوابعه وذلك قد يكون من باب المستحبات وقد يكون ايضا مما فضل الله
به المومن ايمانا واسلاما مما وجب عليه ولم يجب على غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
مثقال وذلك اضعف الايمان وفي الحديث الاخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل فان مراده
انه لم يبق بعد هذا الانكار ما يدخل في الايمان حتى يفعله المومن بل الانكار بالقلب اخر حدود
الايمان ليس مراده ان من لم ينكر لم يكن معه من الايمان حبة خردل ولهذا قال ليس
وراء ذلك فجعل المومنين ثلاث طبقات وكل منهم فعل الايمان الذي يجب عليه لكن الاول لما
كان اقدرهم كان الذي يجب عليه اكمل مما يجب على الثاني وكان ما يجب على الثاني اكمل مما
يجب على الاخر وعلم بذلك ان الناس يتفاضلون في الايمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم
مع بلوغ الخطاب اليهم كلهم فصل واما الاستثناء في الايمان بقول الرجل
انا مومن ان شاء الله فالناس فيه على ثلاثة اقوال منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه ومنهم
من يجوز الامرين باعتبارين وهذا اصح الاقوال فالذين يحرمونه هم المرجية والجهمية
ونحوهم ممن يجعل الايمان شيا واحدا يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب

ونحو ذلك مما في قلبه فيقول احدهم انا اعلم اني مومن كما اعلم اني تكلمت بالشهادتين
وكما اعلم اني قرات الفاتحه وكما اعلم اني احب رسول الله واني ابغض اليهود والنصاري
فقولي انا مومن كقولي انا مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرات الفاتحه وكقولي
اني ابغض اليهود والنصاري ونحو ذلك من الامور الحاضره التي انا اعلمها واقطع
بها وكما انه لا يجوز ان يقال انا قرات الفاتحه ان شا الله كذلك لا يقول انا مومن ان شا الله
لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شا الله قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك
فيه وسموهم الشكاكه والذين اوجبوا الاستثنا لهم ماخذان احدهما ان الايمان هو ما
مات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مومنا وكافرا باعتبار الموافاه وما
سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبره به قالوا والايمان الذي يتعقبه الكفر
فيموت صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلاه التي يفسدها صاحبها قبل الكمال والصيام ولا
الذي يفطر صاحبه قبل الغروب وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه
وكذلك قالوا في الكفر وهذا الماخذ ماخذ كثير من المتاخرين من الكلابيه وغيرهم
ممن يريد ان ينصر ما اشتهر عن اهل السنه والحديث من قولهم انا مومن ان شا الله
ويريد مع ذلك ان يجعل الايمان لا يتفاضل ولا يشك الانسان في الموجود منه وانما يشك في
المستقبل وانضم الى ذلك انهم يقولون محبه الله ورضاه وسخطه وبغضه قديم
ثم هل ذلك هو الاراده ام صفات اخر لهم في ذلك قولان والاكثر قدما وهم يقولون ان
الرضا والسخط والغضب ونحو ذلك صفات ليست هي الاراده كما ان السمع والبصر ليس
هو العلم وكذلك الولايه والعداوه هذه كلها قديمه ازليه عند ابي عبد الله محمد
ابن سعيد بن كلاب ومن اتبعه من المتكلمين ومن اتباع المذاهب من الحنبليه والشافعيه
والمالكيه وغيرهم قالوا والله يحب في ازله من كان كافرا اذا علم انه يموت مومنا
فالصحابه ما زالوا محبوبين لله وان كانوا قد عبدوا الاصنام مده من الدهر وابليس
ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر بعد وهذا على احد القولين لهم فالرضا والسخط
يرجع الى الاراده والاراده تطابق العلم فالمعنى ما زال الله مريدا ان يثيب هولاء بعد ايمانهم
ويعاقب ابليس بعد كفره وهذا معنى صحيح فان الله يريد ان يخلق كل ما علم ان سيخلقه
وعلى قول من يثبتها صفات اخر يقول هو ايضا صفه تابعه لمن يريد ان يثيبه فكل

من

من اراد اثابته فهو يحبه وكل من اراد عقوبته فانه يبغضه وهذا تابع للعلم وهولاء
عندهم لا يرضى عن احد بعد ان كان ساخطا عليه ولا يفرح بتوبه عبد بعد ان
تاب عليه بل ما زال يفرح بتوبته والفرح عندهم اما الاراده واما الرضا والمعنى
ما زال يريد او يرضى عمن يريد اثابته وكذلك عندهم لا يغضب يوم القيمه دون اثابته ح
قبله بل غضبه قديم اما بمعنى الاراده واما بمعنى اخر فهولاء يقولون اذا علم ان الانسان
يموت كافرا لم يزل مريدا لعقوبته فذلك الايمان الذي كان معه باطل لا فايده فيه بل
وجوده كعدمه فليس هذا بمومن اصلا واذا علم انه يموت مومنا لم يزل مريدا
لاثابته وذلك الكفر الذي فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافرا عندهم اصلا فهولاء
يستثنون في الايمان بنا على هذا الماخذ وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر
مثل ابي منصور الماتريدي فان ما ذكروه مطرد فيهما ولكن جماهير الايمه على انه لا يستثنى
في الكفر والاستثنا فيه بدعه لم يعرف عن احد من السلف ولكن هو لازم لهم والذين
فرقوا من هولاء قالوا يستثنى في الايمان رغبه الى الله في ان يثبتنا عليه الى الموت
والكفر لا يرغب فيه احد لكن يقال اذا كان قول المومن كقولك هو في الجنه فانت
تقول عن الكافر هو كافر ولا تقول هو في النار الا معلقا بموته على الكفر فدل
على انه كافر في الحال قطعا وان جاز ان يصير مومنا كذلك المومن وسوا اخبر عن نفسه
او عن غيره فلو قيل عن يهودي او نصراني هذا كافر قال ان شا الله اذا لم يعلم انه
يموت كافرا وعند هولاء لا نعلم احدا احدا مومنا الا اذا علم انه يموت عليه وهذا القول
قاله كثير من اهل الكلام اصحاب ابن كلاب ووافقهم على ذلك كثير من اتباع الايمه لكن ليس
هذا قول احد من السلف لا الايمه الاربعه ولا غيرهم ولا كان احد من السلف الذين
يستثنون في الايمان يعللون بهذا الاخذ ولا من قبله وما جد هذا القول طرده
طايفه ممن كانوا في الاصل يستثنون في الايمان اتباعا للسلف وكانوا قد اخذوا
الاستثنا عن السلف وكان اهل الشام شديدين على المرجيه وكان محمد بن يوسف الفريابي
صاحب الثوري مرابطا بعسقلان لما كانت معموره وكانت من خيار ثغور المسلمين
ولهذا كان فيها فضايل لفضيله الرباط في سبيل الله وكانوا يستثنون في الايمان اتباعا
للسلف واستثنوا ايضا في الاعمال الصالحه كقول الرجل صليت ان شا الله ونحو ذلك بمعنى القبول

لما في ذلك من الآثار عن السلف صار كثير من هؤلاء بأخرة يستثنون في كل شيء فيقول أحدهم
ثوبي إن شاء الله وهذا جبل إن شاء الله فإذا قيل لأحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك
فيه لكن إذا شاء الله غيره غيره فيريدون بقولهم إن شاء الله جواز تغييره في المستقبل ان ع
وإن كان في الحال لا شك فيه كأن الحقيقة عندهم التي يستثنى فيها ما هو ما يبدل
كما يقولونه وليس في الايمان أن الايمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه
لكن هذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهؤلاء الذين يستثنون
في كل شيء تلقوا ذلك عن أتباع شيخهم أبي عمرو والذي ينتسبون إليه يقال له أبو عثمان بعض ع
ابن مرزوق قاله يلزم من يرى هذا الاستثناء إلا أن فيه الاستثناء على طريقة من قبله
ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه بعده وكان شيخهم منتسبا إلى الإمام أحمد وهو من أتباع
عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج المقدسي وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلى
وهؤلاء وإن كانوا منتسبين إلى الإمام أحمد فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذي
كان أحمد ينكره على الكلابية وأمر بهجر الحارث المحاسبي من أجله كما وافقه على أصله
طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة كأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي
وأبي منصور الماتريدي وغيرهم في قول هؤلاء في مسائل متعددة من مسائل الصفات
وما يتعلق بها كمسألة القرآن وأنه تعالى يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته
وقولهم في الاستثناء مبني على ذلك الأصل ولذلك الأشعري وأتباعه عليه أن هؤلاء
كلهم كالكلابية يقولون الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يرضى ويغضب على أحد ان ع
بعد إيمانه وكفره ولا يفرح بتوبته ولهذا اتفق السلف على أن كلام الله غير بتوبة التائب بعده
مخلوق ثم قالوا إنه قديم لم يتكلم به بمشيئته وقدرته ثم اختلفوا بعد هذا في
القديم أهو معنى وأحدام حروف قديمة مع تعاقبها كما بسطت أقوالهم وأقوال غيرهم
في موضع آخر وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال قطعا في شيء من الأشياء مع غلوهم
في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ منكرا عندهم وإن قطعوا بالمعنى فيجزمون بأن محمدا
رسول الله وأن الله ربهم ولا يقولون قطعا وقد يسمع بطائفة منهم ما يلزمهم عليهم
ذلك امتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعا واحضروا إلى هذا فيه أحاديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقول الرجل قطعا وهي أحاديث موضوعة مختلقة فإن أفراها

بعض

بعض المتأخرين والمقصود هنا أن الاستثناء في الايمان لما علل بمثل تلك العلة طرد أقوام
تلك العلة في الأشياء التي لا يجوز الاستثناء فيها بإجماع المسلمين بناء على أن الأشياء الموجودة
الآن إذا كانت في علم الله تتبدل أحوالها فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال
ويقول هذا صغير إن شاء الله لأن الله قد يجعله كبيرا ويقول هذا مجنون إن شاء
الله لأن الله قد يجعله عاقلا ويقول للمرتد هذا كافر إن شاء الله لإمكان أن يتوب
وهؤلاء الذين استثنوا في الإيمان بناء على هذا المأخذ ظنوا هذا قول السلف وهؤلاء وأمثالهم
من أهل الكلام ينصرون ما ظهر من دين الإسلام كما ينصر ذلك المعتزلة والجهمية
وغيرهم من المتكلمين فينصرون إثبات الصانع والنبوة والمعاد ونحو ذلك وينصرون
مع ذلك ما ظهر من مذهب أهل السنة والجماعة كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية
والأشعرية ونحوهم فينصرون أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة
وأن أهل القبلة لا يكفرون بالذنب ولا يخلدون في النار وأن النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة
في أهل الكبائر وأن فتنة القبر حق وعذاب القبر حق وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم في
الآخرة وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع أنها من أصول السنة والجماعة كما ينصرون حق ع
خلافة الخلفاء الأربعة وفضيلة أبي بكر وعمر ونحو ذلك ولكن من أهل الكلام في كثير
ما ينصرونه لا يكونون عارفين بحقيقة دين الإسلام في ذلك ولا بما جاءت به السنة وكان
عليه السلف فينصرون ما ظهر من قول أهل السنة بغير المآخذ التي كانت مآخذهم في الحقيقة بل بمآخذ
أخر قد تلقوها عن غيرهم من أهل البدع فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ
ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله فإن كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير والكلام المذموم
هو المخالف للكتاب والسنة وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف
للشرع والعقل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا فهؤلاء لما اشتهر عندهم عن أهل السنة
أنهم يستثنون في الإيمان ورأوا أن هذا لا يمكن إلا إذا جعل الإيمان هو ما يموت العبد عليه
وهو ما يوافي به العبد ربه ظنوا أن الإيمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا القول
ولم يقل به أحد من السلف ولكن هؤلاء حكوه عنهم بحسب ظنهم لما رأوا أن قولهم لا يتوجه
إلا على هذا الأصل وهم يدعون أن ما نصروه من أصل جهم في الإيمان هو قول المحققين
والنظار من أصحاب الحديث ومثل هذا يوجد كثيرا في مذاهب السلف التي خالفها بعض

لما يرد للسلف من الاثار عن السلف صار كثير من هولا باخره يستثنون في كل شي فيقول احدهم
هذا ثوب ان شا الله وهذا حبل ان شا الله فاذا قيل لاحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك
فيه لكن اذا شا الله غيره يغيره فيريدون بقولهم ان شا الله جواز تغييره في المستقبل ان ح
وان كان في الحال لا شك فيه كان الحقيقة عندهم التي يستثنى فيها ما هو في المستقبل
كما يقوله اوليك في الايمان ان الايمان ما علم الله انه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه
لكن هذا القول قاله قوم من اهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهولا الذين يستثنون
في كل شي تلقوا ذلك عن اتباع شيخهم ابي عمرو الذي ينتسبون اليه يقال له ابو عثمان بعض ح
ابن مرزوق ولم يكن ممن يرى هذا الاستثنا لكن على طريقة من قبله
ولكن احدث ذلك بعض اصحابه بعده وكان شيخهم ينتسب الى الامام احمد وهو من اتباع
عبد الوهاب بن الشيخ ابي الفرج المقدسي وابو الفرج من تلامذة القاضي ابي يعلى
وهولا وان كانوا منتسبين الى الامام احمد فهم يوافقون ابن كلاب على اصله الذي
كان احمد ينكره على الكلابية وامر بهجر الحرث المحاسبي من اجله كما وافقه على اصله
طايفة من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة كابي المعالي الجويني وابي الوليد الباجي
وابي منصور الماتريدي وغيرهم وقول هولا في مسايل متعددة من مسايل الصفات
وما يتعلق بها كمسالة القران هل هو متعلق بمشيته وقدرته ام القران لازم لذاته
وقولهم في الاستثنا مبني على ذلك الاصل وكذلك الاشعري واتباعه عليه ان هولا
كلهم الكلابية يقولون ان الله لم يتكلم بمشيته وقدرته ولا يرضى ويغضب على احد ان ح
بعد ايمانه وكفره ولا يفرح بتوبته ولهذا اتفق السلف على ان كلام الله غير بتوبة التايب بعد
مخلوق ثم قالوا انه قديم لم يتكلم به بمشيته وقدرته ثم اختلفوا بعد هذا في
القديم هل هو معنى واحد ام حروف قديمة مع تعاقبها كما بسطت اقوالهم واقوال غيرهم
في موضع اخر وهذه الطايفة المتاخرة تنكر ان يقال قطعا في شي من الاشيا غلوهم
في الاستثنا حتى صار هذا اللفظ منكرا عندهم وان قطعوا بالمعنى فيحترزون ان يقال محمد
رسول الله وان الله ربنا ولا يقولون قطعا وقد اجتمع بي طايفة منهم فانكرت عليهم
ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعا واحضروا الي كتابا فيه احاديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقول الرجل قطعا وهي احاديث موضوعة مختلقة من افتراها

بعض

بعض المتاخرين والمقصود هنا ان الاستثنا في الايمان لما علل بمثل تلك العلة طرد اقوام
تلك العلة في الاشيا التي لا يجوز الاستثنا فيها باجماع المسلمين بنا على ان الاشيا الموجودة
الان اذا كانت في علم الله ستتبدل احوالها فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال
ويقول هذا صغير ان شا الله لان الله قد يجعله كبيرا ويقول هذا مجنون ان شا
الله لان الله قد يجعله عاقلا ويقول للمرتد هذا كافر ان شا الله لامكان ان يتوب
وهولا الذين استثنوا في الايمان بنا على هذا الماخذ ظنوا ان هذا قول السلف وهولا وامثالهم
من اهل الكلام ينصرون ما ظهر من دين الاسلام كما ينصر ذلك المعتزلة والجهمية
وغيرهم من المتكلمين فينصرون اثبات الصانع والنبوة والمعاد ونحو ذلك وينصرون
مع ذلك ما ظهر من مذهب اهل السنة والجماعة كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية
والاشعرية ونحوهم فينصرون ان القران كلام الله غير مخلوق وان الله يرى في الاخرة
وان اهل القبلة لا يكفرون بالذنب لا يخلدون في النار وان النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة
في اهل الكباير وان فتنة القبر حق وعذاب القبر حق وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم في
الاخرة وامثال ذلك من الاقوال التي شاع انها من اصول السنة والجماعة كما ينصرون حق ح
خلافة الخلفا الاربعة وفضيلة ابي بكر وعمر ونحو ذلك وليس لكثير من اهل الكلام في كثير
مما ينصرونه ما يكونون عارفين بحقيقة دين الاسلام في ذلك ولا ما جات به السنة وكان
عليه السلف فينصرون ما ظهر من قول اهل السنة بغير الماخذ التي كانت ماخذهم في الحقيقة بل بماخذ
اخر قد تلقوها عن غيرهم من اهل البدع فيقع في كلام هولا من التناقض والاضطراب والخطا
ما ذم به السلف مثل هذا الكلام واهله فان كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير والكلام المذموم
هو المخالف للكتاب والسنة وكلما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف
للشرع والعقل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا فهولا لما اشتهر عندهم عن اهل السنة
انهم يستثنون في الايمان وراوا ان هذا لا يمكن الا اذا جعل الايمان هو ما يموت العبد عليه
وهو ما يوافي به العبد ربه ظنوا ان الايمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا القول
ولم يقل به احد من السلف ولكن هولا حكوه عنهم بحسب ظنهم لما راوا ان قولهم لا يتوجه
الا على هذا الاصل وهم يدعون ان ما نصروه من اصل جهم في الايمان هو قول المحققين
والنظار من اصحاب الحديث ومثل هذا يوجد كثيرا في مذاهب السلف التي خالفها بعض

النظار واظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول السلف فيقول من عرف حجته هولاء
دون السلف او من يعظم لما يراه من غيره عليه هذا قول المحققين وقال المحققون
ويكون ذلك من الاقوال الباطلة المخالفة للعقل مع الشرع وهذا كثيرا ما يوجد في كلام
بعض المبتدعين وبعض المحدثين من يقول انا بالله عالم وانا اعلم انه لا يكون عند المتاخرين
من المحققين الا ما هو دون تحقيق السلف لا في العلم ولا في العمل ومن كان له خبرة بالنظريات
والعقليات والعمليات علم ان مذهب الصحابة دائما ارجح من قول من بعدهم وانه لا يبتدع
احد قولا في الاسلام الا كان خطا وكان الصواب قد سبق اليه من قبله قال ابو القسم
الانصاري فيما حكاه عن ابي اسحق الاسفرايني لما ذكر قول ابي الحسن واصحابه في الايمان
وصححه انه تصديق القلب قال ومن اصحابنا من قال بالموافاة ويشترط في الايمان الحقيقي
ان يوافي ربه به ويختم عليه ومنهم من لم يجعل ذلك شرطا فيه في الحال قال الانصاري
ولا ذكر ان معظم ايمة السلف كانوا يقولون الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان
القول ٢ وعمل بالجوارح قال والاكثرون منهم على الموافاة ومن قال بالموافاة فانما يقوله فيمن
لم يرد الخبر بانه من اهل الجنة واما من ورد الخبر بانه من اهل الجنة فانه يقطع
على ايمانه كالعشرة من الصحابة قال والذي اختاره المحققون ان الايمان هو التصديق
اختلاف ع وقد ذكرنا اقوالهم في الموافاة وان الذي عليه الاكثر انه شرط في صحة الايمان وحقيقته في الحال
وكونه معتدا عند الله به وفي حكمه فمن قال ان ذلك شرط فيه يستثنون في الاطلاق
في الحال لا انهم يتشككون في حقيقة التوحيد والمعرفة لكنهم يقولون ان الذي يجب الايمان
الذي نحن موصوفون به في الحال اهو معتد به عند الله على معنى انا ننتفع به في العاقبة
ونجتني من ثماره فاذا قيل لهم امومنون انتم حقا يقولون ان شا الله ويقولون نرجوا
فيقولون نحن مومنون ان شا الله يعنون بهذا الاستثنا تفويض الامر في العاقبة
الى الله تعالى وانما يكون الايمان معتدا به في حكم الله اذا كان في علم الله الفوز والنجاه
واذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم الله من الاشقياء يكون ايمانه الذي تحلى به في الحال
عارية قال ولا فرق عند الصائرين الى هذا المذهب بين ان يقول انا من اهل الجنة
قطعا وبين ان يقول انا مومن حقا قلت فهذا كان من اهل الجنة واما على قول اداء الواجبات
وترك المحرمات فمن مات على هذا كان من اهل الجنة واما على قول الجهمية والمرجية

وهو

وهو القول الذي نصره هولاء الذين نصروا قول جهم فانه يموت على الايمان قطعا ويكون
كامل الايمان عندهم وهو مع هذا عندهم من اهل الكباير الذين يدخلون النار فلا يلزم اذا
وافى بالايمان ان يكون من اهل الجنة وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده فان
الله وعد المومنين بالجنة ولذلك قالوا لا سيما والله تعالى يقول وعد الله المومنين
والمومنات جنات الاية قال فهولاء يعني القايلين بالموافاة جعلوا الثبات على
هذا التصديق والايمان الذي وصفناه الى العاقبة والوفاة به في المال شرطا في الايمان
شرعا لا لغة ولا عقلا قال وهذا مذهب سلف اصحاب الحديث والاكثرين
قال وهو اختيار الامام ابن فورك وكان الامام محمد بن اسحق بن خزيمة يغلو فيه
وكان يقول من قال انا مومن حقا فهو مبتدع واما مذهب سلف اصحاب الحديث
كابن مسعود واصحابه والثوري وابن عيينة واكثر علما الكوفة ويحيى بن سعيد القطان
فيما يرويه عن علما اهل البصرة واحمد بن حنبل وغيره من ايمة السنة فكانوا يستثنون
في الايمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس في هولا من قال انا استثني لاجل الموافاة وان
الايمان انما هو اسم لما يوافي به بل صرح ايمة هولاء بان الاستثنا انما هو لان الايمان يتضمن فعل
جميع الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى
فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم بلا علم كما سنذكر اقوالهم ان شا الله في ذلك
واما الموافاة فما علمت احدا من السلف علل بها الاستثنا ولكن كثير من المتاخرين
يعلل بها من اصحاب الحديث من اصحاب احمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعلل بها
نظارهم كابي الحسن الاشعري واكثر اصحابه لكن ليس هذا قول سلف اصحاب الحديث
ثم قال فان قال قايل اذا قلتم ان الايمان المامور به في الشريعة هو ما وصفتموه من شرايطه
وليس ذلك مستلقا من اللغة فكيف يستقيم قولكم ان الايمان لغوي قلنا الايمان هو التصديق
لغة وشرعا غير ان الشرع ضم الى التصديق اوصافا وشرايط مجموعها يصير
مجزيا مقبولا كما قلنا في الصلاة والصوم والحج ونحوها والصلاة في اللغة هو الدعا غير ان
الشرع ضم اليها شرايط فهذا بيان ما ذكروه في مسمى الايمان فانهم لما زعموا
انه في اللغة التصديق والشرع لم يغيره اوردوا على انفسهم فان قيل اليس الصلاة
والحج والزكاة معدولة عن اللغة مستعملة في غير ما وضعت له في اللغة قلنا قد اختلف العلما

نعم لكن الصحيح انها مقرره على استعمال اهل اللغه ومبقاه على مقتضياتها وليست
منقوله ولا مجازا لكن زيد فيها امور ولو سلمنا للخصم كون هذه الالفاظ منقوله او محموله
على وجه من المجاز بدليل مقطوع به فعليه اقامه الدليل على وجود ذلك في الايمان فانه
لا يجب ازاله ظواهر القران بسبب ازاله ظاهر منها فيقال انتم في الاستثنا جعلتم
الشرع زاد فيه وجعلتموه كالصلاه والزكاه مع انه لا يمكن احدا ان يذكر من الشرع
دليلا على ان الايمان لا يسمى به الا الموافي به وبتقدير ذلك فمعلوم ان دلاله الشرع على
ضم الاعمال اليه اكثر واشهر فكيف لم يدخل الاعمال في مسماه شرعا وقوله لا بد
من دليل مقطوع به عنه جوابان احدهما النقض بالموافاه فانه لا يقطع فيه الثاني لا نسلم
بل نحن نقطع بان حب الله ورسوله وخشيه الله ونحو ذلك داخل في مسمى الايمان
في كلام الله ورسوله اعظم مما يقطع ببعض افعال الصلاه والصوم والحج كمسايل النزاع
ثم ابو الحسن وابن فورك وغيرهما من القايلين بالموافاه وهم لا يجعلون الشرع ضم اليه
شيا بل عندهم كل من سلبه الشرع اسم الايمان فقد عدم من قلبه التصديق قال
ومن اصحابنا من لم يجعل الموافاه على الايمان شرطا في كونه ايمانا حقيقيا في الحال وان
جعل ذلك شرطا في استحقاق الثواب عليه وهذا مذهب المعتزله والكراميه
وهو اختيار ابي اسحق الاسفرايني وكلام القاضي يدل عليه قال وهو اختيار شيخنا
ابي المعالي فانه قال الايمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ولكن الايمان الذي هو علم الفوز
وايه النجاه ايمان الموافاه فاعتنا السلف به وقرنوه بالاستثنا ولم يقصدوا الشك في
الايمان الناجز قال ومن صار الى هذا قال الايمان صفه يشتق منها اسم المومن وهو المعرفه
والتصديق كما ان العالم يشتق من العلم فاذا عرفت ذلك من نفسي قطعت به كما
قطعت باني عالم وعارف ومصدق فان ورد في المستقبل ما يزيله خرج اذ ذاك عن
استحقاق هذا الوصف ولا يقال تبينا انه لم يكن ايمانا تاما [illegible] بل كان ايمانا ناجزا فتغير
وبطل وليس كذلك قوله انا من اهل الجنه فان ذلك مغيب عنه وهو مرجو قال ومن صار
الى القول الاول يتمسك باشياء منها ان مال الايمان عباده العمر وهو كطاعه واحده
فيتوقف صحه اولها على سلامه اخرها كما نقول في الصلاه والصيام والحج قال ولا شك
انه لا يسمى في الحال وليا ولا سعيدا ولا مرضيا عند الله وكذلك الكافر لا يسمى في الحال

عدو الله

الله ولا شقيا الا على معنى انه يجري عليه احكام الاعدا في الحال لاظهاره من نفسه
علامتهم قلت هذا الذي قالوا انه لا شك فيه هو قول ابن كلاب والاشعري واصحابه
ومن وافقهم من اصحاب احمد ومالك والشافعي وغيرهم واما اكثر الناس فيقولون
بل هو اذا كان كافرا فهو عدو لله ثم اذا امن واتقى صار وليا لله قال يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموده الى قوله عسى الله ان
يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم موده والله قدير والله غفور رحيم وكذلك كان
فان هولا اهل مكه الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح امن اكثرهم وصاروا
من اولياء الله ورسوله وابن كلاب واتباعه بنوا ذلك على ان الولايه صفه قديمه
لذات الله هي الاراده او المحبه والرضا ونحو ذلك فمعناها اراده اثابته بعد
الموت وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم انه يموت مومنا لم يزل وليا لله لانه
لم يزل الله مريدا لادخاله الجنه وكذلك العداوه واما الجمهور فيقولون الولايه
والعداوه وان تضمنت محبه الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو تعالى
يرضى عن الانسان ويحبه بعد ان يومن ويعمل صالحا وانما يسخط عليه ويغضب
بعد ان يكفر كما قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاخبر
ان الاعمال اسخطته وكذلك قال فلما اسفونا انتقمنا منهم قال المفسرون اغضبونا
وكذلك قال الله تعالى ان تشكروا يرضه لكم وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري
عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد
بارزني بالمحاربه وما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضت عليه ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي
يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره
الموت واكره مساته ولا بد له منه فاخبر انه لا يزال يتقرب اليه بالنوافل
حتى يحبه ثم قال فاذا احببته كنت كذا وكذا وهذا يبين انه انما احبه بعده
بعد اتيانه بمحابه والقران قد دل على مثل ذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني

يحببكم الله فقوله يحببكم جواب الامر في قوله فاتبعوني وهو بمنزلة الجزاء مع الشرط
ولهذا جزم وهذا ثواب عملهم وهو اتباع الرسول فاثابهم على ذلك بان احبهم وجزاء
الشرط وثواب العمل ومسبب السبب لا يكون الا بعده لا قبله وهذا كقوله
تعالى ادعوني استجب لكم وقوله يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وقوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومثل هذا كثير وكذلك قوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب
المتقين وقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وكانوا قد سالوه لو
علمنا اي العمل احب الى الله لعملناه وقوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون فهذا يدل على ان حبه ومقته جزاء
عملهم وانه يحبهم اذا اتقوا وقاتلوا ولهذا رغبهم في العمل بذلك كما يرغبهم بسائر ما يعدهم
به وجزاء العمل بعد العمل وكذلك قوله اذ تدعون الى الايمان فتكفرون فانه مقتهم اذ تدعون
الى الايمان فتكفرون ومثل هذا قوله لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا فقوله لقد رضي
رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك بين انه رضي عنهم هذا الوقت فان حرف اذ ظرف لما
مضى من الزمان فعلم انه ذلك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وثوابا عليه والمسبب
لا يكون قبل سببه والموقت بوقت لا يكون قبل وقته واذا كان راضيا عنهم من
جهة فهذا الرضى الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن قبلها كما ثبت في الصحيح انه
يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة هل رضيتم فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا ربنا واي شيء افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا بعده وهذا يدل على انه في
ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يتعقبه سخط ابدا ودل على ان غيره من الرضوان
قد يتعقبه سخط وفي الصحيحين من حديث الشفاعة يقول كل من الرسل ان ربي قد
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وفي الصحاح من
غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل

راحلته

بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فاضطجع ينتظر
الموت فلما استيقظ اذا هو بها عليها طعامه وشرابه وفي رواية كيف تجدون
فرحه بها قالوا عظيما يا رسول الله قال لله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته
وكذلك ضحكه الى رجلين يقتل احدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة وضحكه الى الذي يدخل
الجنة اخر الناس ويقول اتسخر بي وانت رب العالمين فيقول لا ولكني على ما اشاء قادر
وكل هذا صحيح وفي دعاء القنوت وتولني فيمن توليت والقديم لا يتصور طلبه وقد قال
الله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقال والله ولي المتقين فهذا
القول لهم جزاء صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه فلا يكون متقدما عليه وان
كان انما صاروا صالحين ومتقين بمشيئته وقدرته وفضله واحسانه لكن تعلقه بكونهم
متقين وصالحين يدل على ان هذا التولي هو بعد ذلك مثل كونه مع المتقين والصالحين
وهكذا الرحمة قال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث صحيح وكذلك قوله ان تشكروا يرضه
لكم علق الرضا به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب والجزاء انما يكون
بعد الشرط وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله يدل على انه يشاء
فيما بعد وكذلك قوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان اذا ظرف
لما يستقبل من الزمان فدل على انه اذا اراده كونه واذا اراده قال له كن فيكون
وكذلك قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم فبين فيه انه سيرى ذلك في المستقبل
اذا عملوه والماخذ الثاني في الاستثناء ان الايمان المطلق يتضمن فعل ما امر الله به
عبده كله وترك المحرمات كلها فاذا قال الرجل انا مؤمن بهذا الاعتبار فقد
شهد لنفسه بانه من الابرار المتقين القائمين بفعل جميع ما امروا به وترك كل ما
نهوا عنه فيكون من اولياء الله وهذا من تزكية الانسان لنفسه وشهادته لنفسه
بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي ان يشهد لنفسه بالجنة
ان مات على هذه الحال ولا احد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه
بالايمان كشهادته لنفسه بالجنة اذا مات على هذه الحال وهذا ماخذ عامة السلف
الذين كانوا يستثنون وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى اخر كما سنذكره ان شاء الله

قال الخلال في كتاب السنة ثنا سليمان بن الأشعث يعني أبا داود السجستاني قال سمعت
أبا عبد الله قال له رجل قيل لي أمؤمن أنت قلت نعم هل علي في ذلك شيء هل الناس إلا مؤمن
وكافر فغضب أحمد وقال هذا كلام الإرجاء قال الله وآخرون مرجون لأمر الله من
هؤلاء ثم قال أحمد أليس الإيمان قولا وعملا قال له الرجل بلى قال فجئنا بالقول قال
نعم قال فجئنا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثني
قال أبو داود أخبرني أحمد بن أبي شريح أن أحمد بن حنبل كتب إليه في هذه المسألة
أن الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجئ بالعمل فنحن نستثني في العمل وذكر
الخلال هذا الجواب من رواية الفضل بن زياد وقال وزاد الفضل سمعت
أبا عبد الله يقول كان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندري
أيقبل منا أم لا قلت والقبول متعلق بفعله كما أمر فكل من اتقى الله في عمله ففعله
كما أمر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل كما قال تعالى والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون قالت عائشة يا رسول الله هو الرجل
يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف قال لا يا ابنة الصديق بل هو الرجل يصلي
ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وروى الخلال عن أبي طالب قال سمعت أبا
عبد الله يقول لا بد من الاستثناء لأنهم إذا قالوا أنا مؤمن فقد جاء بالقول فإنما
الاستثناء بالعمل لا بالقول وعن إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أبا عبد الله يقول أذهب
إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان لأن الإيمان قول وعمل والعمل الفعل فقد
جئنا بالقول ونخشى أن نكون فرطنا في العمل فيعجبني أن يستثني في الإيمان يقول أنا
مؤمن إن شاء الله قال وسمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم بكم لاحقون
الاستثناء هاهنا على أي شيء يقع قال على البقاع لا يدري أيدفن في الموضع الذي
سلم عليه أم في غيره وعن الميموني أنه سأل أبا عبد الله عن قوله ورأيه في مؤمن إن شاء
الله قال أقول مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو لأنه لا يدري كيف البراءة للأعمال على ما
افترض عليه أم لا ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله وهذا مطابق لما تقدم من أن
المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة إذا مات على ذلك وأن المفرط بترك
المأمور أو فعل المحظور لا يطلق عليه أنه مؤمن وأن المؤمن المطلق هو البر التقي ولي الله

على ج

عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله

فإذا قال أنا مؤمن قطعا كان كقوله أنا بر تقي ولي لله قطعا وقد كان أحمد وغيره
من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ويكرهون
الجواب لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم فإن الرجل يعلم من
نفسه أنه ليس بكافر بل يجد قلبه مصدقا بما جاء به الرسول فيقول أنا مؤمن فيثبت
أن الإيمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به فلما علم
السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب ويفصلون في الجواب وهذا لأن
لفظ الإيمان فيه إطلاق وتقييد فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه
شاهد لنفسه بالكمال ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال أنا مؤمن بلا استثناء
إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل
ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه وقال المروذي
قيل لأبي عبد الله نقول نحن المؤمنون فقال نقول نحن المسلمون وقال أيضا قلت لأبي
عبد الله نقول إنا مسلمون ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثناء
إذا لم يكن قصده قصد المرجئة أن الإيمان مجرد القول بل تركه لما يعلم
أن في قلبه إيمانا وإن كان لا يجزم بكمال إيمانه قال الخلال أخبرني أحمد بن أصرم
المزني أن أبا عبد الله قيل له إذا سألني الرجل فقال أمؤمن أنت قال سؤالك
إياي بدعة لا يشك في إيمانه أو قال لا نشك في إيماننا قال المزني وحفظي أن أبا عبد الله
قال أقول كما قال طاوس آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الخلال أخبرني
حرب بن إسماعيل وأبو داود قال أبو داود سمعت أحمد قال سمعت سفيان بن عيينة
يقول إذا سئل أمؤمن أنت لم يجبه ويقول سؤالك إياي بدعة ولا أشك في إيماني
وقال إن شاء الله ليس يكره ولا يداخل الشك فهذا خبر عن أحمد أنه قال لا نشك
في إيماننا وأن السائل لا يشك في إيمان المسؤول وهذا أبلغ وهو إنما يجزم بأنه مؤمن
مصدق بما جاء به الرسول لا يجزم بأنه قائم بالواجب فعلم أن أحمد وغيره
من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلوب من الإيمان في
هذه الحال ويجعلون الاستثناء عائدا إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور
ويحتجون أيضا بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه وهذا مأخذ ثان وإن كان

يعني

الله

نشك فيما في قلوبنا من الايمان فالاستثناء فيما يعلم وجوده قد جاءت به السنة لما
فيه من الحكمة وعن محمد بن الحسن بن هرون قال سالنا ابا عبد الله عن
الاستثناء في الايمان فقال نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطا للعمل وقد
استثنى ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري قال الله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني لارجو ان اكون اتقاكم لله
وقال في الميت وعليه نبعث ان شاء الله فقد بين احمد انه يستثني مخافة
واحتياطا للعمل فانه يخاف ان لا يكون قد كمل المامور به فيحتاط بالاستثنا
وقال على غير معنى شك مما يعلمه الانسان من نفسه والا فهو يشك في تكميل العمل
الذي خاف ان لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في اصله قال الخلال اخبرني
محمد بن ابي هرون ان حبيش بن سندي حدثهم في هذه المسالة قال ابو عبد الله قول
النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال وانا ان شاء الله بكم لاحقون وقد نعيت
اليه نفسه وعلم انه صاير الى الموت وفي قصة صاحب القبر عليه حييت وعليه مت
وعليه تبعث ان شاء الله وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم اني اختبات دعوتي وهي نايله
ان شاء الله من لا يشرك بالله شيئا وفي مسالة الرجل النبي صلى الله عليه وسلم احدنا
يصبح جنبا يصوم فقال اني لافعل ذلك ثم اصوم فقال انك لست مثلنا انت قد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال والله اني لارجو ان اكون اخشاكم
لله وهذا كثير واشباهه على اليقين قال ودخل عليه شيخ فساله عن الايمان فقال
قول وعمل فقال له يزيد فقال وينقص فقال له اقول مومن ان شاء الله قال نعم
فقال له انهم يقولون لي انك شاك قال بيس ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال
اليس يقولون الايمان قول وعمل ويزيد وينقص قال نعم قال هولا يستثنون قال له
كيف يا ابا عبد الله قال قل لهم زعمتم ان الايمان قول وعمل فالقول قد اتيتم به والعمل
فلم تاتوا به فهذا الاستثنا لهذا العمل قيل له يستثنى في الايمان قال نعم اقول انا
مومن ان شاء الله استثني على اليقين لا على الشك ثم قال الله لتدخلن المسجد الحرام ان
شاء الله امنين فقد اخبر الله تعالى انهم داخلون المسجد الحرام فقد بين احمد في كلامه
انه يستثني مع تيقنه بما هو الان موجود فيه يقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك

ويستثني مع تيقنه لما هو الان موجود فيه لكون العمل من الايمان وهو لا يتيقن انه
اكمله بل يشك في ذلك فنفى الشك واثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه واثبت الشك
فيما لا يعلم وجوده وبين ان الاستثنا مستحب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل اتى به ام لا وهو
جاير ايضا لما يتيقنه فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز لقول النبي صلى الله عليه وسلم
والله اني لارجو ان اكون اخشاكم لله وهذا امر موجود في الحال ليس بمستقبل وهو
كونه اخشانا فانه لا يرجو ان يصير اخشانا لله بل هو يرجو ان يكون حين هذا القول
اخشانا لله كما يرجو المومن اذا عمل عملا ان يكون الله يقبله منه ويخاف ان لا يكون
يقبله منه كما قال تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والقبول
هو امر حاضر او ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك انما له عاقبة مستقبلة محمودة او
مذمومة والانسان يجوز وجوده وعدمه فقال انه يرجوه وانه يخافه فتعلق
الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لان عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلة فهو يرجو
ان يكون الله يقبل عمله فيثيبه عليه ويرحمه في المستقبل ويخاف ان لا يكون يقبله فيحرم
ثوابه كما يخاف ان يكون الله قد سخط عليه في معصية فيعاقبه عليها واذا كان الانسان
سعى فيما يطلبه كتاجر او بريد رسله في حاجة يقضيها في بعض الاوقات فاذا
مضى ذلك الوقت يقول لارجو ان يكون فلان قد قضى ذلك الامر وقضاه ماض
لكن ما يحصل له بهذا من الفرح والسرور وغير ذلك من مقاصده مستقبل ويقول
الانسان في الوقت الذي جرت عادة الحاج بدخولهم الى مكة ارجو ان يكونوا دخلوا
ويقول في سرية بعثت الى الكفار نرجو ان يكون الله قد نصر المومنين وغنمهم ويقال
في نيل مصر عند وقت ارتفاعه نرجو ان يكون قد صعد النيل ويقول الحاضر في
مصر مثل هذا الوقت نرجو ان يكون النيل هذا العام نيلا مرتفعا ويقال لمن له ارض
يحب ان تمطر اذا مطرت بعض النواحي ارجو ان يكون المطر عاما وارجو ان يكون قد
مطرت الارض الفلانية وذلك لان المرجو هو ما يفرح بوجوده ويسر والمكروه
يتالم بوجوده وهذا يتعلق بالعلم والعلم بذلك مستقبل فاذا علم ان المسلمين انتصروا او الحاج
قد دخلوا او المطر قد نزل فرح بذلك وحصل به مقاصد اخر له واذا كان الامر بخلاف

المطلوب

ذلك ليحصل ذلك المحبوب فيتقوا ان يدوم واخاف ان المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك
وهو مستقبل ولذلك المطلوب بالايمان من السعادة والنجاة هو امر مستقبل فيستثنى
في الحاضر بذلك لان المطلوب به مستقبل وكل مطلوب مستقبل معلق بمشيئة الله
وان جزم بوجوده لانه لا يكون مستقبل الا بمشيئة الله فقولنا يكون هذا ان شاء الله حق
فانه لا يكون الا ان يشاء الله والشك في اللفظ ليس فيه الا التعليق وليس من ضرورة
التعليق الشك بل هذا بحسب علم المتكلم فتارة يكون شاكا وتارة لا يكون شاكا فلما
كان الشك يصحبها كثيرا لعدم علم الانسان بالعواقب ظن الظان ان الشك داخل في
معناها وليس كذلك فقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله لا يتصور فيه شك من الله
بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين ولهذا ما ان تعلب فهذا استثناء من الله وقد علمه والخلق
يستثنون فيما لا يعلمون وقال ابو عبيدة وابن قتيبة ان بمعنى اذ اي بمعنى اذ شاء الله
ومقصودهم بهذا تحقيق الفعل بان كان محققا مثل اذ مع ان اذ ظرف توقيت وان حرف
تعليق فان قيل فالعرب يقول اذا احمر البسر فاتني ولا يقول ان احمر البسر قيل
ان المقصود هنا توقيت الاتيان بحين احمراره فاتوا بالظرف المحقق ولفظ ان
لا يدل على توقيت بل هي تعليق محض يقتضي ارتباط الفعل الثاني بالاول ونظير ما نحن
فيه ان يقولوا البسر يحمر ويطيب ان شاء الله وهذا حق فهذا نظير ذلك فان
قيل طايفة من الناس فروا من هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لامر مشكوك فيه فقال
الزجاج لتدخلن المسجد الحرام اي ان شاء الله امركم الله به وقيل الاستثناء يعود الى الامن
والخوف اي لتدخلنه امنين فاما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم او بعضكم
لانه علم ان بعضهم يموت ففي الاستثناء انهم لم يدخلوا جميعهم قيل كل هذه الاقوال وقع
اصحابها فيما فروا منه مع خروجهم عن معنى القران فحرفوه تحريفا لم ينتفعوا
به فان قول من قال اي امركم الله به فهو تعالى قد علم هل يامرهم او لا يامرهم فعلمه بان
يامرهم بدخوله كعلمه بانهم سيدخلون فعلقوا الاستثناء بما لم يدل عليه اللفظ وعلم الله
متعلق بالظاهر والمضمر جميعا وكذلك الامن والخوف فهو يعلم انهم يدخلون امنين
او خايفين وقد اخبر انهم يدخلون امنين مع علمه بانهم يدخلون امنين فكلاهما لم يكن فيه
شك عند الله بل ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم او بعضهم يقال المعلق بالمشيئة

دخول من اريد باللفظ فان كان اراد الجميع لا بد ان يدخلوه وان اريد الاكثر كان دخولهم
هو المعلق بالمشيئة وما لم يرد لا يجوز ان يعلق بان وانما علق بان ما سيكون وكان هذا وعدا
مجزوما به ولهذا لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية الم تكن تحدثنا
انا ناتي البيت ونطوف به قال بلى اقلت لك انك تاتيه هذا العام قال لا قال فانك اتيه ومطوف
به فان قيل لم لم يعلق غير هذا من مواعيد القران قيل لان هذه الاية نزلت بعد
مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكانوا قد اعتمروا ذلك العام واجتهدوا
في الدخول فصدهم المشركون فرجعوا وبهم من الالم ما لا يعلمه الا الله فكانوا منتظرين
لتحقيق هذا الوعد ذلك العام اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم وعدهم وعدا مطلقا وقد
روي انه راه في المنام قايلا يقول له لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله فاصبح يحدث
الناس برؤياه وامرهم بالخروج الى العمرة فلم تحصل لهم العمرة ذلك العام فنزلت هذه
الاية واعدة لهم بما وعدهم به الرسول من الامر الذي كانوا يظنون الظنون حصوله ذلك
العام وكان قوله ان شاء الله هنا تحقيقا لدخوله وان الله يحقق ذلك كما يقول الرجل
فيما عزم على ان يفعله لا محالة والله لافعلن كذا ان شاء الله لا يقولها لشك في ارادته وعزمه
بل تحقيقا لعزمه وارادته فانه يخاف اذا لم يقل ان شاء الله ان ينقض الله عزمه ولا يحصل
ما طلبه كما في الصحيحين ان سليمن عليه السلام قال والله لاطوفن الليلة على مائة امراة كل
منهن تاتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل
منهن الا امراة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فهو اذا قال ان شاء الله لم يكن
لشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذ الامور لا تحصل الا بمشيئة الله فاذا
تالى العبد عليه من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فانه من يتالى على الله يكذبه
ولهذا يروى لا انعمت لمقد رامرا وقيل لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بفسخ العزايم
ونقض الهمم وقد قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لان قوله
افعل فيه معنى الطلب والخبر وطلبه جازم واما كون مطلوبه يقع فهذا يكون
ان شاءه وطلبه للفعل يجب ان يكون من الله بحوله وقوته ففي الطلب عليه ان الله
وفي الخبر لا خبر الا بما علمه الله فاذا جزم بلا تعليق كان المتالي على الله فيكذبه الله والمسلم

في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلبًا لا تردد فيه يقول ان شاء الله
لتحقيق مطلوبه وحصول ما اقسم عليه لكونه لا يكون إلا بمشيئة الله لا للتردد في
ارادته والرب تعالى مريد لما يخلقه جازمًا وعلمه به ارادة جازمة لا مثنوية فيها وما
شاء فعل فانه تعالى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ليس كالعبد الذي يريد ما لا
يكون ويكون ما لا يريد فقوله سبحانه ان شاء الله تحقيق ان يكون لا محالة بمشيئتي
انا وعدتكم به يكون
وارادتي واني ما شئت كان وما لم اشأ لم يكن فكان الاستثناء هنا لقصد التحقيق
لكونهم لن يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام واما سائر ما وعدوا به فلم يكن
لذلك ولهذا تنازع الفقهاء فيمن اراد باستثنائه في اليمين هذا المعنى هل يكون
مستثنيًا به ام يلزمه الكفارة اذا حنث بخلاف من تردد في ارادته فانه يكون
مستثنيًا بلا نزاع والصحيح في الجميع انه يكون مستثنيًا لعموم المشيئة ولأن
الرجل وان كانت ارادته للمحلوف به جازمة فقد علقه بمشيئة الله فهو يجزم
بارادته له لا يجزم بحصول مراده ولا هو ايضًا مريد له بتقدير ان لا يكون فان
هذا تمني لا ارادة فهو انما التزمه اذا شاء الله فاذا لم يشاء لم يلزمه بيمينه ولا
حلف انه يكون وان كانت ارادته له جازمة فليس كالمريد الملتزم باليمين فلا
كفارة عليه وقد تبين بما ذكرناه ان قول القائل ان شاء الله يكون مع كمال ارادته
وحصول المطلوب وهو يقولها لتحقيق المطلوب لاستعانته بالله في ذلك لا
لشك في الارادة هذا ما يحلف عليه ويريده كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان
شاء الله فانه خبر عما اراد الله كونه وهو عالم بانه سيكون وقد علقه بقوله ان
شاء الله فلذلك ما يخبر به الانسان عن مستقبل امره مما هو جازم بارادته
وجازم بوقوعه فيقول فيه ان شاء الله لتحقيق وقوعه لا للشك في ارادته
ولا في العلم بوقوعه ولهذا يذكر الاستثناء عند كمال الرغبة في المعلق وهو ارادة
الانسان له فيه خواطر الخوف تعارض الرجاء فيقول ان شاء الله لتحقيق رجاه
مع علمه بانه سيكون كما يسأل الله ويدعوه الامر الذي قد علم انه يكون كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد اخبرهم بمصارع المشركين ثم هو بعد هذا يدخل
الى العريش يستغيث ربه ويقول اللهم انجز لي ما وعدتني لان العلم بما يقدره لا ينافي

ان يكون قدره باسباب والدعاء من اعظم اسبابه كذلك الرجاء رحمة الله وخوف
عذابه من اعظم الاسباب في النجاة من عذابه وحصول رحمته والاستثناء
بالمشيئة يحصل في الخبر المحض وفي الخبر الذي معه طلب فالاول الذي حلف على
جملة خبرية لا يقصد بها حضًا ولا منعًا بل تصديقًا او تكذيبًا كقوله والله ليكونن
كذا ان شاء الله او لا يكون كذا والمستثني قد يكون عالمًا بان هذا يكون او لا يكون كما
في قوله لتدخلن فان هذا جواب خبر محض والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله
والله لا تفعلن كذا او لا افعله ان شاء الله فان صيغته صيغة خبر ضمنها الطلب ولم
يقل والله اني لمريد هذا ولا عازم عليه بل قال والله ليكونن فاذا لم يكن فقد حنث
لوقوع الامر بخلاف ما حلف عليه بحسب ما فاذا قال ان شاء الله فانما حلف عليه
بتقدير ان يشاءه الله لا مطلقًا ولهذا ذهب كثير من الفقهاء الى انه متى لم يوجد
المحلوف عليه حنث لانه متى وجد الفعل المحلوف انه لا يفعله حنث سواء كان
ناسيًا او مخطئًا او جاهلًا فانهم لحظوا ان هذا في معنى الخبر فاذا وجد بخلاف
مخبره فقد حنث وقال الآخرون بل هذا مقصوده الحض والمنع كالامر
والنهي ومتى نهي الانسان عن شيء ففعله ناسيًا او مخطئًا لم يكن مخالفًا فكذلك
هذا فالاول وقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله والله ليقعن
المطر او لا يقع وهذا خبر محض ليس فيه حض ولا منع ولو حلف على اعتقاده
فبان الامر بخلاف ما حلف عليه حنث وبهذا يظهر الفرق بين الحلف على الماضي
والحلف على المستقبل فان اليمين على الماضي غير منعقدة فاذا اخطأ فيها لم يلزمه
كفارة كالغموس بخلاف المستقبل وليس عليه ان يستثني في المستقبل اذا كان
فعله قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم
وذلك على الله يسير فامره ان يقسم على ما سيكون ولذلك قوله وقال الذين كفروا
لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم فامره ان يقسم على الحاضر وقوله ويستنبئونك
احق هو قل اي وربي انه لحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا وامامًا مقسطًا وقال والذي نفسي بيده
لا تذهب الدنيا حتى ياتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيم قتل

وقال هلك كسرى اوليهلكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده واذا هلك قيصر
فلا قيصر بعده والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وكلاهما في الصحيح
فاقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله
سبحانه اعلم

بلغ

